علي الجارم بك

ديوان الجارم

الجزء الثاني

ملتزم طبعه ونشره
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

علي الجارم بك

ديوان الجارم

الجزء الثاني

ملتزم طبعه ونشره

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

وفاء الدين

هل يستطيع الشعر أن يقوم بوفاء ذلك الدين الذى أثقله به أدباء مصر وشعراؤها ، وأدباء الأقطار العربية وشعراؤها ؟

فقد استقبلوا الجزء الأول من الديوان بما شاء فضلهم الواسع وأدبهم الجم وحسن تقديرهم لأخيهم من عبارات الثناء والإعجاب وكريم الحفاوة .

وفاضت أنهر الجرائد والمجلات فى مصر وغيرها فى مدى ثلاثة أشهر بالحديث فى الديوان ، بين تنقيب عن بدائعه ، وتحليل لقصائده ، واقتباس من روائعه ، ودراسة لما فيه من أسرار وفن .

ولو حاولت أن أخص كل أديب بالشكر ، لعجز القلم وخشى مغبة الزلل ، فقد يطغى عليه النسيان فيذهل عن ذكر من هو أولى بالذكر ، وأجدر بالثنـاء .

وما لى لا أسارع إلى شكر الشعر نفسه ، وإلى صوغ أسمى عبارات المديح له وأجملها ، وهو الذى لولاه ما شرُفت بصداقة من لا يحصون عدداً من كرام الأصدقاء ، وما ظفرت بجميل عطفهم ، وغالى مودتهم .

ولو لم يكن للشعر الذى يكدّ النفس ، ويرهق العاطفة ، ويجهد الخيال ، من جزاء إلا أن ينال هذا التقدير لكفاه بعض ذلك ثوابا .

هذه كلمة موجزة أرسلها فى الآفاق إلى كل صديق ، وإلى كل شاعر ، وإلى كل كاتب ، وإلى كل أديب ، وأرجو أن يكون فيها وفاء لبعض الدين.

١٩٣٨/١٠/٦ — على الجارم

فهرست
للقصائد

فهرست

مرتب على حسب حروف الهجاء

يشتمل على أهم الموضوعات التى بالديوان ، وقد رمز فيه للصفحة بحرف ص ، والبيت بحرف س .

فهرست

للأعلام

على حسب الحروف الهجائية

وقد ترجم لها بالشرح ورمز لرقم الترجمة بالحرف (س)

٭
٭ ٭

٭
٭ ٭

٭
٭ ٭

٭
٭ ٭

٭
٭ ٭

٭
٭ ٭

فهرست

للقـــــــوافى

على حسب الحروف الهجائية وعلى حسب تاريخ نظمها

عيد الجلوس الملكي

في مايو سنة ١٩٣٨

جَمَعْتُ مِنْ فَرْعِ ذَاتِ الدَّلِّ أَوْتَارِي ... وَصُغْتُ مِنْ بَسَمَاتِ الْغِيدِ أَشْعَارِي (١)

وَعِشْتُ لِلْفَنِّ أَحْيَا فِي بَدَائِعِهِ ... بَيْنَ الظِّلَالِ، وَبَيْنَ السَّلْسَلِ الْجَارِي (٢)

أَشْدُو ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُصْغِي لِسَاجِعَةٍ ... مِنَ الْخُلُودِ فَأَنْصِتْ تَحْتَ أَوْكَارِي (٣)

كَادَتْ تَزُقُّ يَرَاعِي الطَّيْرُ تَحْسَبُهُ ... وَقَدْ تَغَنَّى بِشِعْرِي سِنَّ مِنْقَارِ (٤)

---

(١) الفرْع : الشعر . الدل والدلال : تدلل المرأة ترى صاحبها كأنها تخالفه وما بها خلاف . والدل أيضاً : حسن المنظر . الأوتار : جمع وتر ، وهو في الأصل وتر القوس ، ويراد بها هنا أوتار العود . صُغْت : نظمت ، من صاغ الرجل الذهب جعله حلياً . الغيد : جمع غيْداء المرأة الناعمة

والمعنى : أن الشاعر يدعى أن له عوداً اتخذ أوتاره من شعر غانية ذات دلال وإعجاب بحسنها ، يغنى عليه آناشيد ساحرة من شعره ، صاغها من بسمات الحسان

(٢) الفن هنا الشعر . البدائع : جمع بديعة وهي المخترع المبتكر من كل شيء ، السلسل والسلسال : الماء العذب الصافي الذي يستسيغه شاربه

أبان الشاعر أنه يحيا للشعر ويعيش في جنات من روائعه قد كنفها ظل وارف وماء نمير

(٣) أشدو : أغني . الساجعة : الحمامة المغردة . الأوكار : جمع وكر عش الطائر يقول إنه يتغنى بشعره كالطائر الغرد ، فعلى من يريد متعة النفس بتغريد حمامة من حمائم الفردوس أن ينصت إلى إنشاده وتغنيه

(٤) زق الطائر فرخه من باب قتل : أطعمه . اليراع واليراعة : القلم . سن المنقار : طرفه . يريد أن صرير قلمه على القرطاس كالتغريد حتى إذا سمعه الطير وهو يصر خاله أحد أفراخه فأقبل يزقه ويطعمه

قَدْ عَلَّمَتْهُ التَّغَنِّي فَوْقَ أَيْكَتِهِ فَفَاقَهَا فِي التَّغَنِّي فَوْقَ أَسْطَارِ (٥)
كَأَنَّ دَاوُدَ أَلْقَى عِنْدَ تَرْبِيَتِهِ أَثَارَةً مِنْ تَرَانِيمٍ وَأَسْرَارِ (٦)
أَعْدَدْتُهُ قَبَسًا يُذْكِي تَوَقُّدُهُ عَزْمَ الشَّبَابِ. وَيَهْدِي لَيْلَةَ السَّارِي (٧)
وَيَكْشِفُ الْأَمَلَ الْمَحْجُوبَ سَاطِعُهُ وَالْيَأْسُ يَغْشَى بِأَسْدَافٍ وَأَسْتَارِ (٨)

✲
✲ ✲

الشِّعْرُ عَاطِفَةٌ تَقْتَادُ عَاطِفَةً وَفِكْرَةٌ تَتَجَلَّى بَيْنَ أَفْكَارِ (٩)
الشِّعْرُ إِنْ لَامَسَ الْأَرْوَاحَ أَلْهَبَهَا كَمَا تَقَابَلَ تَيَّارٌ بِتَيَّارِ (١٠)

---

(٥) الأيكة : واحدة الأيك وهو الشجر الكثير الملتف . الأسطار : جمع سطر أحد سطور الكتاب

تخيل الشاعر قلمه فننا من أفنان الأيك علمته طيور الدوح التغريد والتغني ، ولما انفصل من دوحته وصار قلما فاق صريره على صفحات القراطيس الطير في تغريده وتغنيه .

(٦) داود عليه السلام : نبي كتابه المنزل يسمى الزبور ، وما كان يتغنى بتلاوته منه يسمى المزامير جمع مزمار . أثارة الشيء : بقيته ، يقال عند فلان أثارة من علم أو مال أى بقية وكذا الأثرة . الترانيم : جمع ترنيم وهو ترجيع الصوت فى تطريب وتغن . الأسرار : جمع سر وهو هنا الحكمة والمعنى السامى . والمعنى أن الشاعر حين يسطر بقلمه شعره تسمع لهذا القلم نغمات وترنيما ، وتقرأ بين سطوره حكماً ومعانى رائعة كأنها بعض ترانيم داود الساحرة وحكمه الغالية .

(٧) القبس : الشعلة من النار وكذا المقباس . يذكى : يشعل من أذكى النار . السارى : السائر ليلا . لقد صاغ الشاعر شعره من نار ونور ، فبناره يوقظ همة الشباب ويذكى حميتهم ، وبنوره يهدى السائر فى ظلمات الحياة سواء السبيل .

(٨) المحجوب : المستور . يغشى : يغطى . الأسداف : جمع سَدَف : الستر .
يعنى أن روح شعره القوية ومعانيه النبيلة مصباح يشع نوره فيكشف الأستار عن الأمل للناشئين ويحفزهم إلى تحقيق أمانيهم على رغم ما يحول بينهم وبينها من يأس وقنوط .

(٩) يريد أن الشعر خاطر الشاعر يسحر به النفوس فيقتادها إلى حيث يريد وأن الشعر بين الأفكار فكرة جلية واضحة .

(١٠) شبه الشاعر فى هذا البيت الشعر تتأثر به النفوس وتشتعل الخواطر، بتيار من الكهرباء يلقاه آخر فيكون الضوء ويكون النور وتكون الحرارة .

الشِّعْرُ مِصْبَاحُ أَقْوَامٍ إِذَا الْتَمَسُوا ... نُورَ الْحَيَاةِ، وَزَنْدُ الْأُمَّةِ الْوَارِى (١١)

الشِّعْرُ أُنْشُودَةُ الْفَنَّانِ يُرْسِلُهَا ... إِلَى الْقُلُوبِ ، فَتَحْيَا بَعْدَ إِقْفَارِ (١٢)

الشِّعْرُ هَمْسُ غُصُونِ الدَّوْحِ مَائِسَةً ... وَدَمْعَةُ الطَّلِّ فِى أَجْفَانِ أَزْهَارِ (١٣)

الشِّعْرُ لِلْمُلْكِ جَيْشٌ لَا يُصَاوِلُهُ ... جِلَادُ مُرْهَفَةٍ أَوْ فَتْكُ بَتَّارِ (١٤)

يَغْزُو وَيُنْصَرُ ، لَا أَشْلَاءُ مَعْرَكَةٍ ... تُرَى وَلَا وَثَبَاتٌ حَوْلَ أَسْوَارِ (١٥)

إِذَا تَخَطَّرَ فِى الْأَفْوَاهِ تُنْشِدُهُ ... غَضَّ الْجُفُونَ حَيَاءً كُلُّ خَطَّارِ (١٦)

---

(١١) الزند : العود الأعلى الذى يقدح به النار ، والزندة العود الأسفل وهما زندان . الوارى : الذى يخرج النار ، من ورى الزند وريا خرجت ناره . يريد أن الشعر لا غنى عنه لمن يتطلب الحياة السامية فهو مصباح يهتدى به فى ظلمات هذا الزمن وقوة تشعل الهمم وزند يذكى العزائم

(١٢) الأنشودة : الأغنية . الفنان : صاحب الفن . الاقفار : مصدر أقفرت الدار خلت ؛ يقصد أن الشعر موسيقا تهز القلوب وتعمر النفوس بنبيل الشعور والوجدان فتنتعش بعد ضيق وتتحرك بعد جمود وسكون .

(١٣) الهمس : الصوت الخفى وباب الفعل ضرب . الدوح : الشجر العظام مفرده دوحة . مائسة : مائلة من ماس يميس فهو مائس . الطـل : الندى . أجفان : جمع جفن وهو غطاء العين من أعلى وأسفل . يشبه الشاعر جمال الشعر وأخذه بمجامع القلوب بحفيف الغصون يداعبها الهواء فتميس وتتمايل يمنة ويسرة ، ويشبهه بقطرة الندى تترقرق على أوراق الزهر فيفتن الناس منظرها ويسحرهم جمالها .

(١٤) يصاوله : يواثبه . الجلاد والمجالدة بالسيوف : المضاربة بها . المرهفة : المشحوذة المرققة من أرهف سيفه إذا رققه وشحذه . البتار : السيف القاطع . يقول إن الشعر جيش روحى ذو خطر جليل فى إقامة الممالك وتثبيت العروش لا يساميه فى ذلك جيوش تطعن بالرماح وتتجالد بمرهفات السيوف .

(١٥) أشلاء الانسان : أعضاؤه بعد البلى والتفرق ومفرده شلو . وثبات : قفزات وطفرات والمفرد وثبة . الأسوار جمع سور حائط المدينة . يقوم الشعر مقام الجيوش الغازية فيظفر بالأعداء ظفراً معنوياً دون إراقة دماء وتمزيق أعضاء ، فلست ترى فى معارك الشعر مجالدة بالسيوف ولا مواثبة حول أسوار وحصون ، وإن رأيت فى معاركه ذلة لقوم وإعزازاً لآخرين ، ذلك لأن عدة المعركة اللسان وكلمها ليس من كلوم السنان.

(١٦) تخطر : اهتز وتبختر ، من خطر الرمح يخطر خطرانا اهتز . غض طرفه : خفضه . خطار : رمح خطار ذو اهتزاز ، ورجل خطار بالرمح طعان به . يريد أن الشعر إذا نطقت به الأفواه فى انشاد ونغم ، كان له من الأثر فى النفوس والسلطان الجبار على الأفئدة ما يذهب بقوة الرماح ويخجلها ، لأن أثره فوق أثرها .

وَإِنْ أَغَارَ تَنَادَى كُلُّ ذِي هَلَعٍ ... إِلَى الْفِرَارِ، وَأَوْدَى كُلُّ مِغْوَارِ (١٧)

قَدْ كَانَ حَسَّانُ جَيْشًا فِي قَصَائِدِهِ ... أَشَدَّ مِنْ كُلِّ زَحَّافٍ وَجَرَّارِ (١٨)

وَكَانَ مُلْكُ بَنِي مَرْوَانَ فِي أُطُمٍ ... عَالٍ مِنَ الشِّعْرِ، يَرْمِي الشُّهْبَ بِالنَّارِ (١٩)

وَهَلْ زَهَتْ بِبَنِي الْعَبَّاسِ دَوْلَتُهُمْ ... إِلَّا بِأَمْثَالِ حَمَّادٍ وَبَشَّارِ ؟ (٢٠)

فَقُلْ لِمَنْ رَاحَ لِلْأَهْرَامِ يَرْفَعُهَا ... الْخُلْدُ فِي الشِّعْرِ لَا فِي رَصْفِ أَحْجَارِ (٢١)

---

(١٧) تنادى القوم : نادى بعضهم بعضاً . هلع : الهلع أشد الجزع . أودى : هلك . مغوار : بطل كثير الغارات . المعنى أن الشعر إذا استخدم فى الدفاع عن الأنصار ومناوأة الأعداء لم يقف فى طريقه جبان رعديد ولا شجاع صنديد . يفر الأول خشية ورهبة ويهلك الثانى إباء ومنعة

(١٨) حسان : حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه السلام دافع عنه بلسانه فأخاف المعاندين وأذل الجاحدين . الزحاف : كثير الزحف . الجرار : الجيش الكثير المدد ، يقال : كتيبة جرارة : ثقيلة السير لكثرة عددها . لقد كان حسان بشعره وقصائده جيشاً فلّ جيوش الأعداء وأذل نفوس الجاحدين الناهضين لمحمد عليه السلام ودينه ، حتى كان قوله أشد على هؤلاء المشركين من وقع الحسام فى غلس الظلام .

(١٩) أطم : الأطم القصر وكل حصن مبنى بحجارة والجمع آطام وأطوم . الشهب : جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة والشهب أيضاً الدرارى . يقول إن ملك بنى أمية قد ثبّت الشعر دعامته وأعلى منارته فصار به فى حصن حصين يهزأ بالنجوم ولا يبالى بالأحداث .

(٢٠) زهت : ازدهرت وأشرقت . حماد : هو حماد بن عمر من أهل الكوفة شاعر عباسى كان معلماً وشاعراً محسناً وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون حماد عجرد وهو هذا وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوى وكانوا يتعاشرون ويتنادمون وقد اتهموا بالزندقة كلهم .
وبشار : هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلى ولاء الفارسى أصلا . أخذ العربية عن أعراب البصرة ونبغ فى الشعر لذكائه وكان هجاء ماجناً . يقول إن بنى العباس لم تعظم دولتهم ولم يزدهر ملكهم إلا بما كان لهم من نوابغ الشعراء من أمثال حماد وبشار . ولقد ساق الأبيات الثلاثة دليلا على ما أثبت للشعر من قوة ساحرة على الأفئدة وأثر بالغ فى النفوس .

(٢١) فى هذا البيت لم يسلك الشاعر مسلك شعراء المصريين الذين يفخرون بمجد الفراعنة ويعتزون بالأهرام وأبى الهول . فيقول ليس الخلد فى رصف الأحجار ولا فى نحت التماثيل وإنما هو فى الشعر يهز العاطفة ويسيطر على النفوس .

كَمْ حِكْمَةٍ فِيهِ لَا تَفْنَى بَشَاشَتُهَا ... وَمِنْ حَدِيثٍ عَلَى الْأَيَّامِ سَيَّارِ (٢٢)

الشِّعْرُ لِلْمُلْكِ مِرْآةٌ مُخَلَّدَةٌ ... عَلَى تَعَاقُبِ أَجْيَالٍ وَأَدْهَارِ (٢٣)

صَوَّرْتُ فِيهِ سَنَا الْفَارُوقِ مُؤْتَلِقًا ... يَزْدَانُ بِاثْنَيْنِ : إِجْلَالٍ وَإِكْبَارِ (٢٤)

وَصُغْتُهُ فَاتِنَ الْأَلْوَانِ مُزْدَهِرًا ... كَأَنَّمَا نَقَشَتْهُ كَفُّ آذَارِ (٢٥)

✡
✡ ✡

مُلْكٌ مِنَ النُّورِ قَدْ ضَاءَتْ دَعَائِمُهُ ... كَأَنَّمَا شِيدَ مِنْ هَالَاتِ أَقْمَارِ (٢٦)

وَدَوْلَةٌ رَكَزَ الْإِسْلَامُ رَايَتَهُ ... فِيهَا عَلَى طَوْدِ تَارِيخٍ وَآثَارِ (٢٧)

---

(٢٢) البشاشة : طلاقة الوجه والمراد بها هنا الجدة والطلاوة . سيار : منتشر ذائع . ويستدل بهذا البيت على صحة ما قال فى سابقه فيقول : إن فى الشعر كثيراً من الحكمة التى لا تأتى الأيام على جدتها ولا يذهب الدهر بثمراتها فى تهذيب النفوس ، وإن فيه كثيراً من أحاديث طريفة وأخبار طلية تسير مسير الشمس والقمر ، فليس يوازن الخلد فيه بالخلد فى الأهرام وغيرها من تماثيل وأحجار

(٢٣) وفى هذا أيضاً يقول إن الشعر مرآة مجلوة باقية ترى فيها صورة الدول على مر السنين وتعاقب الدهور .

(٢٤) السنا : الضياء . مؤتلقاً : من ائتلق البرق لمع . الاجلال والاكبار : التعظيم وفى هذا البيت يقول إنه فى شعره وبشعره قد جلا فى صورة بديعة رائعة إشراق حكم الفاروق وعصره الزاهر محلى بجمالين رائعين هما الاعظام لذات جلالته والاكبار لعماله وما يسبغ على أمته من أياد ونعم .

(٢٥) فاتن : مأخوذ من الفتنة وهى الاعجاب بالشىء . مزدهراً : متألقاً مشرقا . آذار شهر رومى يوافق شهر مارس . يقول الشاعر إنه نظم شعره رائعاً منوع الأغراض يسحر النفس حتى ليخال قارئه أنه ليس صنعة شاعر وإنما هو زهر الربيع أحكم الله إبداعه وأجاد تنسيقه فى إبانه .

(٢٦) ضاء يضوء : أشرق وأنار. دعائمه : جمع دعامة وهى عماد البيت . شاد المنزل يشيده : طلاه بالشيد من جص ونحوه والمراد هنا بُنى ورُفع . هالات : جمع هالة وهى دارة القمر التى تحيط به . يدعى الشاعر أن ملك الفاروق بما حوى من عدل وعلم مُلك من النور ، كأنه بنى من دارات البدور .

(٢٧) ركز : ركزت الرمح أو غيره أثبته بالأرض . الطود : الجبل . الآثار : جمع أثر ما خلفه القوم من مآثر ومحامد . فى هذا البيت يفخر الشاعر بدولة الفاروق وأنها ملاذ الإسلام وموئله ، وفيها عزّ ورفعت رايته فوق حصن حصين من تاريخ مجيد لهذه الأمة وآثار محمودة لأبطالها حتى امتنع عن عبث العابثين وكيد الكائدين .

وَعَاهِلٌ مِنْ صَمِيمِ النِّيلِ نَبْعَتُهُ ... أَمَا تَرَى لِيَدَيْهِ وَكْفَ أَمْطَارِ (٢٨)

أَحْيَا النُّفُوسَ بِآمَالٍ تُضَاحِكُهَا ... فَالْيَأْسُ فِيهَا غَرِيبُ الْأَهْلِ وَالدَّارِ (٢٩)

☆
☆ ☆

كَأَنَّ أَيَّامَهُ وَالْبِرُّ يَغْمُرُهَا ... صَحَائِفُ الطُّهْرِ فِي أَيْمَانِ أَبْرَارِ (٣٠)

كَأَنَّمَا عَهْدُهُ وَالْبِشْرُ يَمْلَؤُهُ ... تَبَسُّمُ الشَّرْقِ عَنْ أَنْفَاسِ أَسْحَارِ (٣١)

كَأَنَّ ذِكْرَاهُ لَمَّا سَارَ سَائِرُهَا ... عَبِيرُ دَانِيَةِ الظِّلَّيْنِ مِعْطَارِ (٣٢)

كَأَنَّ أَمْدَاحَهُ فِي أُذْنِ سَامِعِهَا ... مَسَاقِطُ الشَّهْدِ مِنْ أَعْوَادِ مُشْتَارِ (٣٣)

---

(٢٨) العاهل : الملك الأعظم أو الخليفة . صميم الشيء : خالصه . النبعة : الشجرة تتخذ منها القسي والجمع نبع . وكف المطر : سيله . المعنى أن ذلك الملك العظيم من دوحة كريمة أرواها النيل بمائه فكانت على مثال النيل في خيره وفيضه ، وليس ذلك بدعا على الفاروق سليل النيل فان فيض يده بالعطايا دليل ذلك وبرهانه .

(٢٩) يقول بعث هذا العاهل العظيم في نفوس أهل هذه الدولة الحياة بما يؤملون فيه من خير وبما يرجون من مستقبل باسم فلن يجد اليأس في عصره سبيلا إلى نفوسهم .

(٣٠) الطهر : البعد عن الدنايا . يغمرها : يحيط بها ويعلوها . أيمان : جمع يمين وهي اليد اليمنى . أبرار : جمع بر وهو الصادق التقي المطيع . يشبه عصره وقد فاض فيه الخير على الناس وعمهم اليمن وانتشر بينهم التقى بتقواه بصحائف سطر فيها آيات من الشرف والعفة في أيدي الكرام المطهرين تشهد بجليل أعمالهم وجميل آثارهم .

(٣١) البشر هنا البهجة والسرور . أنفاس : جمع نفس : نسيم الهواء ولعل المراد به هنا الضوء فهم يقولون تنفس الصبح تبلج وظهر . أسحار : جمع سحر الوقت قبيل الصبح . وهو في هذا البيت يشبه عصر الفاروق والفرح والبشر يتجليان فيه بانفراج شفتي الشرق عن أضواء متألقة وقت السحر فيها روعة وهدوء وجمال ترتاح له النفوس .

(٣٢) دانية الظلين : قريبتهما ووارفتهما والمراد بالظلين ظل الصباح وظل ما بعد الزوال . معطار ومعطير : كثيرة التعطر والمراد بها هنا الحديقة التي يفوح شذاها ويمتد ظلها . العبير : مثل كريم أخلاط منوعة تجمع من الطيب . يشبه ذكرى الفاروق وتحدث الناس بمكارمه وآلائه بعبير جنة فيحاء ذات ظل وارف في الصباح والمساء ينعش النفوس شذاها وتحيي القلوب رياها .

(٣٣) المشتار : من يستخرج العسل من الخلية . ويشبه مدائح الفاروق تستمع بها آذان السامعين بسقوط الشهد من أعواد مشتاره يلذ في الفم مذاقه .

كَأَنَّ طَلْعَتَهُ وَالشَّوْقُ يَرْقُبُهَا ... وَجْهُ الصَّبَاحِ يُحَيِّي نِضْوَ أَسْفَارِ (٣٤)

☆
☆ ☆

« فَارُوقُ » يَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتَهَا ... وَأَسْعَدَ النَّاسِ فِي وِرْدٍ وَإِصْدَارِ (٣٥)

وَابْنَ الْمُلُوكِ الْأُلَى فَلَّتْ عَزَائِمُهُمْ ... مِنْ حَدِّ كُلِّ صَلِيبِ الْحَدِّ جَبَّارِ (٣٦)

أَقْمَارُ مَمْلَكَةٍ ، آسَادُ مَلْحَمَةٍ ... أَمْلَاكُ مَرْحَمَةٍ ، صُنَّاعُ أَقْطَارِ (٣٧)

مِنْ كُلِّ نَدْبٍ بَعِيدِ الرَّأْيِ مُسْتَبِقٍ ... إِلَى الْجِهَادِ مُغَارِ الْفَتْلِ صَبَّارِ (٣٨)

اَلْمَجْدُ أَبْقَى لَهُمْ ذِكْرَى مُخَلَّدَةً ... أَعْمَارُهُمْ وُصِلَتْ مِنْهَا بِأَعْمَارِ (٣٩)

---

(٣٤) النضو : المهزول . يشبه الشاعر محيا الفاروق فى إشراقه وبهائه واشتياق الناس إلى اجتلاء طلعته وترقبهم إياها بتباشير الصباح تشرق على الذى أنضاه السفر فتبعث إلى نفسه أمناً بعد خوف وراحة بعد عنـاء .

(٣٥) البهجة : الحسن . الورد : ضد الصدَر من ورد الماء أتاه ليستق . والاصدار : الرجوع من صدر عن المكان إذا رجع عنه والمراد بالورد والاصدار ، تصريف الأمور .

(٣٦) فلّ الجيش من باب قتل فانفل كسره فانكسر . العزائم : جمع عزيمة الارادة من عزم على الشيء أو عزمه من باب ضرب إذا عقد النية على فعله . الصلب والصليب : الشديد . حد بمعنى الشدة . يقول إن الفاروق من قوم عرفوا بشدة البأس وقوة الشكيمة فارادتهم وقوتهم تحطم كل قوة ولا يقف فى طريقها بأس الجبابرة ولا عتو العاتين .

(٣٧) الملحمة : القتال . أملاك : جمع ملك من ملائـكة السماء . صناع أقطار : المراد به هنا أنهم ساسة فاتحون يقول إن أصول الفاروق من الآباء والأجداد هداة الممالك التى يملكونها وزينة الأقطار التى يحكمونها ، وهم فى القتال آساد فى القوة والبأس وفى العطف ملائك رحمة ورسل شفقة وهم فاتحو الأقطار ومدبرو الممالك بما منحوا من سداد وقوة .

(٣٨) الندب : الخفيف فى الحاجة . بعيد الرأى : ذو دهاء وحنكة . مستبق إلى الجهاد : سباق إليه . مغار الفتل كناية عن : الصلابة وقوة الجسم . يقول إن هؤلاء القوم الذين أنجبوا الفاروق خفاف فى الحاجات لا يتوانون عن مكرمة ، وهم ذوو حزم ورأى ناضج سباقون إلى الجهاد أقوياء العزائم كثيرو الجلد والصبر فى الأحداث والملمات .

(٣٩) المجد : العز والشرف ، والماجد : الـكريم الشريف . يقول إن شرف هؤلاء وكرمهم أبقى لهم على الدهر ذكرى مخلدة ، فأعمارهم بهذه الذكرى موصولة بأعمار باقية لا يأتى عليها صرف الزمان وتعاقب الحدثان .

٭
٭ ٭

الشَّعْبُ شَعْبُكَ ، وَالْأَيَّامُ بَاسِمَةٌ وَالدَّهْرُ كَالزَّهْرِ ، فِي صَفْوٍ وَإِنْضَارِ (٤٠)
أَحَبَّكَ الشَّعْبُ فَانْعَمْ فِي مَحَبَّتِهِ فَأَنْتَ مِلْءُ قُلُوبٍ ، مِلْءُ أَبْصَارِ (٤١)
مُرْ وَانْهَ فِي الْحَقِّ ، فَالْأَسْمَاعُ مُصْغِيَةٌ فِدَاؤُكَ النَّفْسُ مِنْ نَاهٍ وَأَمَّارِ (٤٢)
وَارْفَعْ لِوَاءَكَ فَوْقَ الشَّرْقِ تَلْثِمُهُ أَفْوَاهُ أَوْدِيَةٍ فِيهِ وَأَمْصَارِ (٤٣)

٭
٭ ٭

ذِكْرَاكَ فِي الدَّهْرِ آيَاتٌ مُطَهَّرَةٌ تَحْلُو بِغَنٍّ وَتَرْتِيلٍ وَتَكْرَارِ (٤٤)
شَدَوْتُ بِاسْمِكَ حَتَّى كِدْتُ مِنْ طَرَبٍ أَظُنُّنِي ذَا جَنَاحٍ بَيْنَ أَطْيَارِ (٤٥)

---

(٤٠) الشعب : القبيلة العظيمة وهو هنا جمهور الأمة وسوادها . إنضار : مصدر أنضره الله بمعنى نعمه والمراد به هنا البهاء والحسن . يقول إن جمهور الأمة وسوادها أسرى إحسانك بما أوليته من نعمة وأسديت إليه من عرف وإن عصرك زاهر بالمكرمات ودهرك فى جماله كالزهر فى روعته ونضرته

(٤١) المعنى أن الفاروق قد جذب قلوب شعبه بمآثره ومكارمه فسيطر الاخلاص على تلك القلوب فلينعم بمحبة الشعب فهو منه حبة القلب وإنسان العين .

(٤٢) مصغية : أصغى إليه بسمعه مال واستمع وصغى إليه فؤاده مال . أمار : كثير الأمر يقول إذا كانت تلك منزلة الفاروق من قلوب شعبه فليأمر الفاروق فى الحق بما يشاء ولينه عما يشاء فهو المسيطر على الآذان والقلوب .

(٤٣) اللواء : العلم . تلثمه : تقبله وفعله من باب فهم وضرب . أودية : جمع واد وهو من ودى الشيء إذا سال ، والوادى كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل . يدعو الشاعر الفاروق أن يملأ الشرق بنفوذه وسلطانه وأن يرفع رايته على أقطاره . تلك الراية التى ينظر إليها الشرق نظرة الاجلال والمحبة لما لصاحبها من عدل وتقى .

(٤٤) غن : مصدر غن يغن من باب تعب ، والغن والغنة الصوت الجميل الذى يخرج من الخيشوم . الترتيل : التمهل فى القراءة . يشبه سيرة الفاروق بين الناس بما حوت من هدى وإرشاد وحكمة وسداد بآيات الله المقدسة فهذه السيرة تزداد مع التكرار حسنا يتغنى بها الشعب ويرتلها كما يرتل الآيات المطهرة .

(٤٥) شدا : غنى . يقول الشاعر إنه تغنى باسم الفاروق وبمآثر الفاروق حتى استخفه الطرب فخال نفسه طائرا غردا يشدو بين الطيور فوق الأغصان .

فَإِنْ سَمِعْتَ رَنِينًا كُلُّهُ عَجَبٌ فَالْعُودُ عُودِي، وَالْأَوْتَارُ أَوْتَارِي (٤٦)

جُلُوسُكَ الْيَوْمَ أَثْمَارُ الْمُنَى يَنَعَتْ يَا حُسْنَهَا مِنْ مُنًى خُضْرٍ وَأَثْمَارِ! (٤٧)

عِيدٌ بِهِ الْأَرْضُ وَالْآفَاقُ مُشْرِقَةٌ تَمَازَجَتْ فِيهِ أَنْوَارٌ بِأَنْوَارِ (٤٨)

عِيدٌ كَأَنَّ اللَّيَالِي قَدْ وَهَبْنَ لَهُ مَا فِي الْخَلِيقَةِ مِنْ يُمْنٍ وَإِيسَارِ (٤٩)

النِّيلُ فِيهِ جَرَى يُمْلِي بَشَائِرَهُ وَيَنْثَنِي بَيْنَ أَدْوَاحٍ وَأَشْجَارِ (٥٠)

إِذَا الرَّبِيعُ رَمَى فِيهِ أَزَاهِرَهُ جَزَاهُ بِالتِّبْرِ دِينَارًا بِدِينَارِ (٥١)

---

(٤٦) رنين : صوت . يقول إذا سمعت صوتاً يستثير العجب ويبلغ من نفس سامعه فذلك من إيقاعي وتطريبي ، وليس غيري من يجيد ذلك الايقاع ولا هذا التطريب .

(٤٧) المنى : جمع منية وهو ما يتمناه المرء ويحبه . ينعت : ينع الثمر وأينع نضج وبابه ضرب وجلس وقطع وخضع : المعنى أن يوم جلوسك على عرش آبائك وأجدادك هو غاية ما كنا نتمنى فما أجمل تحقيق هذه الاماني الطيبة ، وما أجمل أن يقتطف الآمل ثمار الأمل اليانعة .

(٤٨) الآفاق : جمع أفق وهو الناحية من الأرض ومن السماء . الأنوار : الأولى جمع نَور وهو الزهر . والأنوار الثانية : جمع نور بمعنى الضوء المعنى أن عيد جلوس الفاروق ربيع زينت بأزهاره الأرض ونور وضّاء أشرقت به نواحي السماء واختلط النور والاشراق في ذلك العيد بالورود والأزهار فكان من ذلك جمال فوق جمال .

(٤٩) الخليقة : الطبيعة أو الخلق . اليمن : البركة . الايسار : اليسر ضد العسر المعنى أن عيد جلوس الفاروق قد اكتنفه اليمن والخير وعم الناس فيه الفرح واليسر حتى خيل إلى الشاعر أن الليالي (وهي الضنينة بالاسعاد والاقبال) قد وهبت لذلك العيد كل ما في الوجود من يمن وبركة .

(٥٠) يملي : من أملى الكتاب عليه إملاء ألقاه . البشارة : اسم لما يستبشر به السامع ويسر منه . ينثني : ينعطف . الأدواح : الشجر العظيم . يقول إن النيل في هذا العيد قد كان مبعث بهجة ومسرة وقد شارك الناس في أفراحهم فظهرت سفنه ومراكبه مزدانة بالأنوار والأعلام تبعث مناظره السرور إلى النفوس . وكان انعطافه بين الدوح والشجر في هذه الحال مثار الابتهاج والحبور .

(٥١) الأزاهر : جمع زَهْر . التبر : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغا . قد كان من حق النيل إذا ألقت إليه الأشجار بزهرها ألا يكافئها على هذا لأن ذلك الزهر نعمة من نعمه ، ولكن الفرح بهذا العيد قد هزّ أريحيته فجعله يجازي على الزهرة بدينار من تبر طميه وغرينه لتبقى الشجرة نامية مزهرة تقديراً للعيد وصاحبه .

أَوِ الْحمَائِمُ غَنَّتْ فَوْقَ مَائِجَةٍ ... حَبَا الْحمَائِمَ تَهْدَارًا بِتَهْدَارِ (٥٢)

٭
٭ ٭

يَا كَالِئَ الدِّينِ وَالدُّسْتُورِ مِنْ جَنَفٍ ... وَحَارِسَ النِّيلِ مِنْ أَوْضَارِ أَكْدَارِ (٥٣)
وَحَافِزَ الشَّعْبِ يَدْعُوهُ فَيَتْبَعُهُ ... إِلَى النُّجُومِ جَرِيئًا غَيْرَ خَوَّارِ (٥٤)
اَلْعِلْمُ لِلشَّعْبِ رُكْنٌ غَيْرُ مُنْصَدِعٍ ... وَالشَّعْبُ بِالْعِلْمِ صَفٌّ غَيْرُ مُنْهَارِ (٥٥)
اِخْتَارَكَ اللهُ لِلْإِسْلَامِ تَنْصُرُهُ ... فَكُنْتَ مَوْئِلَهُ يَا خَيْرَ مُخْتَارِ (٥٦)
عِشْ فِي الْقُلُوبِ فَقَدْ أُعْطِيتَ مَقَالِدَهَا ... وَفِي نَعِيمٍ عَمِيمِ الْغَيْثِ مِدْرَارِ (٥٧)

---

(٥٢) الحمائم : جمع حمامة . مائجـة : مائه المضطرب . حباه : يحبوه أعطاه . التهدار : من هدر الحمام يهـدِر إذا سجع ، ولقد بلغ من سرور النيل بهذا العيد أنه يقابل تغريد الحمائم بصوت خريره العذب كأنه يشكر لها حسن صنيعها فيقابل سجعها بخرير وتهدار .

(٥٣) الـكالئ : الحافظ . الجنف : الجور والظلم . الأوضار : جمع وضر القذارة .

(٥٤) حفزه : حثه . الخوار : كثير الجبن .

(٥٥) منصدع : متهدم .

(٥٦) الموئل : الملجأ .

(٥٧) المقالد : جمع مقلد المفتاح . المدرار : السماء المدرار الـكثيرة المطر والمراد به هنا الـكثير من مطر وغيره .

عِيدُ جُلُوسِ الفارُوق فى السُّودَان

حينما زار الشاعر السودان فى سنة ١٩٣٧ م واحتفى السودان حكومته وشعبه بعيد جلوس الفاروق أنشد الشاعر هذه القصيدة فى حفل رسمىّ حاشد

عِيـــدَ الْجُلُوسِ صَدَقْتَ وَعْـــدَكَ بِالْمُنَى وَصَدَقْتُ وَعْدِى (١)
عَلَّمْتُ طَـــيْرَ الْوَادِيَيْـــنِ فَغَرَّدَتْ بِحَنِـينِ وَجْدِى (٢)
وَنَظَمْتُ فِيـــكَ فَرَائِداً كَانَتْ لِجِيـدِكَ خَيْرَ عِقْدِ (٣)
الشِعْرُ يُبْدِى فِيـــكَ زِيـــنَتَهُ ، وَوَجْهُ الرَّوْضِ يُبْدِى (٤)
نَـثَرَ الرَّبِيـــعُ بِكَ الْوُرُو دَ نَضِيرَةً وَنَـثَرْتُ وَرْدِى (٥)

---

(١) المنى : جمع منية وهى ما يتمناه الانسان ، يقول إن عيد الجلوس صدق الناس ما وعدهم به من الأمانى ، والمراد أنه طلع عليهم بما كانوا يرجونه من تحقيق الآمال ، وصدقت وعدى فأشدت بذكره ومجدت بالشعر شأنه .

(٢) يريد بالواديين مصر والسودان . والتغريد : التطريب فى الصوت والغناء . والحنين : الشوق وتوقان النفس . والوجد : المحبة ، يقول إنى علمت طيور الواديين حسن التغريد فرددت الغناء بحنين وجدى ، والمعنى أنى علمت بأشعارى التى أصدح بها فى مدح المليك شعراء الواديين الاجادة فكرروا أناشيدى التى تفيض بعاطفتى الشوق والمحبة .

(٣) الفرائد : جمع فريدة وهى الجوهرة النفيسة . والجيد : العنق . والعقد : القلادة ، يقول إنى نظمت من الجواهر النفيسة خير عقد فى جيد هذا العيد ، والمعنى أن شعرى كان خير ما ازدان به ذلك اليوم السعيد .

(٤) يبدى : يظهر . والروض : جمع روضة وهى أرض ذات ماء وعشب وشجر وزهر ، يقول إن الشعر يظهر حسنه وبهاءه فيك أيها اليوم كما تظهر الأرض زينتها وزخرفها ، وهو بذلك يشير إلى جمال الربيع كما صرح به فى الأبيات الآتية .

(٥) نضيرة : غضة جميلة ، يقول إذا زين الربيع الأرض بورده فى هذا العيد فانى قد زينت العيد بشعر يشبه الورد .

وَوَشْىَ الْبُرُودَ مِنَ الْأَزَا ... هِرِ وَانْتَقَى لَكَ خَيْرَ بُرْدِ (٦)
فِيهِ الرِّيَاضُ تَبَرَّجَتْ ... وَتَثَنَّيْنَ مِنْ جِيدٍ وَقَدِّ (٧)
كَمْ مِنْ عُيُونٍ غَضَّةٍ ... فِيهَا وَمِنْ ثَغْرٍ وَخَدِّ (٨)
وَجَرَى النَّسِيمُ مُضَمَّخَ الْـ ... أَرْدَانِ مِنْ مِسْكٍ وَنَدِّ (٩)

* * *

عِيدَ الْجُلُوسِ وَكَمْ حَوَتْ ... ذِكْرَاكَ مِنْ عِزٍّ وَمَجْدِ (١٠)
أَصْبَحْتَ وَحْدَكَ فِي الزَّمَا ... نِ وَصِرْتُ فِي الشُّعَرَاءِ وَحْدِي (١١)

---

(٦) وشيت الثوب وشياً من باب وعد : رقمته ونقشته . والبرود : جمع برد وهو ثوب مخطط يقول إن فصل الربيع أنبت من أزهاره الجميلة المختلفة الألوان والأشكال ما يشبه الثياب الموشاة المنقوشة ، واختار منها لعيد الجلوس خير ثوب .

(٧) الرياض : جمع روضة وهى الموضع المعجب بنباته ومياهه وأشجاره وأزهاره . وتبرجت : أظهرت زينتها ومحاسنها . والجيد : العنق . والقد : القوام وهو القامة وحسن الطول والتقطيع ، ويريد بأجياد الرياض وقدودها أغصانها المتمايلة .

(٨) غضة : ناضرة ذات حسن ورونق ، يقول إن فى ازدهار هذه الرياض كثيراً مما يشبه العيون الجميلة كالنرجس ، والثغور كالأقاحى ، والخدودكالورد ، ولما وصف الرياض بالتبرج ، وشبهها بالحسان جعل لها جيداً وقداً وعيوناً وثغراً وخداً .

(٩) ضمخه بالطيب : لطخه به . والأردان : جمع رُدن وهو أصل الكم . والمسك : طيب معروف وهو أفضل الطيب عند العرب . والند : نوع من الطيب أو هو العنبر ، أو عود طيب الرائحة يتبخر به ، والمعنى أن النسيم يجرى حاملا أخلاطا من الطيب هى عبير ما مر به من ورود الرياض وأزهارها ، أشاد الشاعر فى الأبيات السابقة بعيد الجلوس ، وخلع عليه من حلل الطبيعة وبهاء الرياض ، وسيوضح فى الأبيات الآتية أثر الشعر فى إظهار فضل الملوك وتزيين ملكهم وتمكينه حتى إنه ليعد قوة وعدة لا تقل عن قوة الجيوش .

(١٠) حوت : ضمت وجمعت . والذكرى : الذكر أو التذكر وهو ضد النسيان . والمجد : العز والشرف . المعنى أن ذكراك تجمع كثيراً من معانى العز والسودد والكرم والشرف ونحوها من صفات المليك وصفات آبائه السابقين .

(١١) يقول إنك أيها اليوم قد انفردت بين الأيام بالسعد والسودد ، وأصبحت واحد الزمان كما أصبحت وحيداً بين الشعراء .

عِنْدِي لَكَ الدُّرَرُ الْحِسَا نُ وَأَيْنَ إِنْ لَمْ تُلْفَ عِنْدِي؟ (١٢)

اَلشِّعْرُ لِلْأَمْلَاكِ خَيْـرُ ذَخِيرَةٍ وَأَعَزُّ بَنْدِ (١٣)

صَاغَتْ سَوَائِرُهُ لَهُمْ تَاجَيْنِ مِنْ مَجْدٍ وَخُلْدِ (١٤)

وَلَرُبَّ قَافِيَةٍ بِهَا مَا شِئْتَ مِنْ خَيْلٍ وَجُنْدِ (١٥)

تَسْرِي فَلَا صَعْبٌ بِصَعْبٍ لَا وَلَا بُعْدٌ بِبُعْدِ (١٦)

تَثِبُ الْجِبَالَ وَمَا لَهَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ مِنْ مَصَدِّ (١٧)

اَلشِّعْرُ زَنْدٌ لِلْقَوِيِّ وَعُدَّةٌ لِلْمُسْتَعِدِّ (١٨)

---

(١٢) الدرر : جمع درة وهى اللؤلؤة العظيمة . والحسان : جمع حسنة ، أو جمع حسناء . وتلفى : توجد ، يقول لعبد الجلوس : عندى لك من الأبيات والعبارات الشعرية الساحرة ما يشبه اللآلئ العظيمة الحسناء ، وأين توجد هذه الدرر إن لم توجد عندى ؟ ، ينكر وجودها عند غيره .

(١٣) الأملاك : جمع ملك . والذخيرة : ما تدخره أى تعده لوقت الحاجة . والبند : العلم الكبير

(١٤) صاغ الصائغ الذهب يصوغه صوغاً : جعله حليا . والسوائر : جمع سائرة أى ذائعة منتشرة . والمجد : العز والشرف . والخلد : دوام البقاء ، يقول إن المدائح الشعرية التى تسير سير الريح تصوغ للملوك تاجاً من العز والشرف وتاجاً من الخلود والبقاء ، والمعنى أن الشعر الجيد السائر يزيد عز الملوك وشرفهم ويخلد آثارهم وأفضالهم .

(١٥) القافية : آخر كلمة فى البيت ، أو آخر حرف ساكن فيه إلى أول ساكن يليه مع الحركة التى قبل الساكن ، أو هى الحرف تبنى عليه القصيدة ، والمراد بالقافية القصيدة كلها ، والمعنى أنه رب قصيدة بليغة ساحرة تسرى بين الأقوام وتذيع فتفعل فى إعزاز الملك وتمكينه ما تفعل الخيل والجنود .

(١٦) تسرى : تسير ، والمعنى أنها تسير سير الرياح فلا تعرف فى سيرها صعوبة ولا بعداً .

(١٧) المصد : اسم مكان من صددته عن كذا صداً من باب قتل أى منعته وصرفته ، يقول إن هذه القصيدة تتخطى الجبال ولا تقف الكواكب فى طريقها .

(١٨) الزند : موصل طرف الذراع فى الكف ، وهو من مكامن القوة فى الانسان . والعدة : الاستعداد والتأهب . واستعد للامر : تهيأ له وتأهب ، يقول إن الشعر ينبوع قوة واستعداد يزيد القوى قوة وهو خير عتاد لمن يأخذ الأهبة للوثوب .

كَمْ زَانَ مِنْ مُلْكٍ كَمَا ازْ دَانَ الْمُهَنَّــدِ بِالْفِرِنْدِ(١٩)

☆
☆ ☆

عِيــدَ الْجُلُوسِ وَأَنْتَ فِي الْ أَعْيَــادِ فَرْدٌ أَيُّ فَرْدِ!(٢٠)
أَلْفَى بِكَ الْآمَــالُ الْبَعِيــدُ لِمِصْرَ أَكْرَمَ مُسْتَمَدِّ(٢١)
وَتَوَاتَرَتْ نِعَــمُ الْإِلَــهِ تَجِلُّ عَنْ حَصْرٍ وَعَدِّ(٢٢)

☆
☆ ☆

« فَارُوقُ » يَا أُسَّ الرَّجَا ءِ وَمُلْتَقَى الرُّكْنِ الْأَشَدِّ(٢٣)
جُمِّلْتَ بِالقَــوْلِ السَّدِيــدِ وَسَاطِعِ الرَّأْيِ الْأَسَدِّ(٢٤)
وَهَبَتْ لَكَ الدُّنْيَــا مَفَا تِحَ مَجْدِهَا مِنْ غَيْرِ رَدِّ(٢٥)

---

(١٩) ازدان : تزين . والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند . والفرند جوهر السيف ووشيه وماؤه وبريقه ، يقول إن الشعر يزين الملك ويجمله كما يزدان السيف بجوهره أو ببريقه ومائه

(٢٠) المعنى أن عيد الجلوس قد انفرد من سائر الأعياد بالبهاء والجمال والجلال .

(٢١) ألفى : وجد . والمستمد : المكان الذى يطلب منه المدد ، أو الزمان الذى يطلب فيه ، يقول إن آمال مصر الرفيعة وأمانيها البعيدة قد وجدت فى عيد الجلوس أنفس وخير وقت لحياتها وإشراقها ، يريد أنه قد تحقق لمصر فى هذا العيد ما كانت تؤمله من حرية وسيادة ورفاهة وطمأنينة وعز ومجد .

(٢٢) تواترت : تتابعت وتوالت من غير أن تنقطع . وتجل : تعظم .

(٢٣) الأس : الأساس والأصل . والركن : زاوية البناء ، وهى أقوى ما فيه وأشده ، والكلام على التشبيه .

(٢٤) السديد : الصائب القاصد المستقيم . والساطع : العالى . والأسد : اسم تفضيل من سد رأيه وقوله يسد بالكسر سداداً أى صار سديداً ، يقول إنك جملت بالقول الصائب والرأى العالى الأسد .

(٢٥) المجد : العز والشرف ، وقوله « من غير رد » احتراس جميل لأن الهبة يصح أن تسترد

وَضَمَمْتَ بُرْدَ شَبَابِكَ الزَّا ... هِى عَلَى جِدٍّ وَجَدٍّ (٢٦)

خُلُقٌ كَأَزْرَارِ النَّسِيـ ... ـمِ تَفَتَّحَتْ عَنْ نَفْحِ رَنْدِ (٢٧)

وَعَزِيمَةٌ لَوْ لَاطَمَتْ ... أُحُدًا مَضَتْ أَيَّامُ أُحْدِ (٢٨)

طَهُرَتْ مِنَ الصَّلَفِ الذَّمِيـ ... ـمِ وَعُنْفُوَانِ الْمُسْتَبِدِّ (٢٩)

تَجْرِى عَلَى سَنَنِ الْمُهَيْـ ... ـمِنِ بَيْنَ إِيمَانٍ وَرُشْدِ (٣٠)

مَنْ سَارَ فِى نُورِ الْإِلَـ ... ـهِ سَعَى إِلَيْهِ كُلُّ قَصْدِ (٣١)

---

(٢٦) البرد : الثوب ، والزاهى : ذو المنظر الحسن ، والزاهى أيضاً : اللامع المضىء . والجد بالكسر : الاجتهاد فى الأمر . والجد بالفتح : السعد والعظمة .

(٢٧) أزرار القميص واحدها زر . والنسيم الريح الطيبة . ونفح الطيب من باب قطع : فاح وتضوع أى هبت ريحه وانتشرت . والرند : شجر طيب الرائحة من أشجار البادية ، وربما سموا العود رنداً ، قال الخليل : والرند أيضاً الآس لطيبه .

(٢٨) العزيمة : الارادة القوية القاطعة . واللطم : ضرب الخد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة . لطمه يلطمه ، ولاطمه ملاطمة ولطاما . وأحد بضمتين جبل بقرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم من جهة الشام ، وكانت به الغزوة المشهورة المعروفة بغزوة أحد ، والمعنى أن للمليك عزيمة قاطعة تهد الجبال .

(٢٩) الصلف : أن يتمدح الانسان بما ليس عنده ، والصلف : التكبر . وعنفوان الشىء : أوله ، والمراد شدته . والمستبد بالأمر : المنفرد به من غير مشارك له . يقول إن عزيمة المليك نقيت وخلصت من الكبر والادعاء المذموم ومن شدة المتفرد بالأمر الذى لا يستشير .

(٣٠) السنن : الطريقة والسنة . والمهيمن : من أسماء الله تعالى بمعنى الرقيب والحافظ . والرشد : الصلاح ، وهو خلاف الغى والضلال ، يقول إن المليك يسير على سنة الله عز وجل بين إيمان به وصلاح هو ثمرة ذلك الايمان القوى المكين ، واختيار الشاعر لاسم المهيمن من أسماء الله تعالى يتضمن الدعاء للمليك بحفظ الله تعالى ودوام تأييده ورعايته .

(٣١) القصد : مصدر قصدت الشىء وله وإليه من باب ضرب أى طلبته بعينه ، والمراد بالقصد هنا المقصود ، والمعنى أن الذى يسير فى نور الله تعالى وهدايته تتيسر له الأمور وتنقاد حتى كأن المطالب تسعى بنفسها إليه .

وَمَضَى فَعَادَ الوَهْدُ مُسْتَوِيًا وَطَأْطَأَ كُلُّ نَجْدِ(٣٢)

الْمَجْدُ وَهْوَ مُنَى الْحَيَاةِ أُعِدَّ لِلْبَطَلِ الْمُجِدّْ(٣٣)

حَسْنَاءُ دُونَ حِجَابِهَا رَصَدَانِ مِنْ هَجْرٍ وَصَدّْ(٣٤)

تَقِفُ الْعُيُونُ حِيَالَهَا حَيْرَى عَلَى شَغَفٍ وَسُهْدِ(٣٥)

مَهْرُ الْبُطُولَةِ مَا أَجَلَّ فَمَنْ يُوَفِّي أَوْ يُؤَدِّي !(٣٦)

لَا تَبْكِ إِنْ عَزَّ السَّبِيلُ فَإِنَّ نَوْحَكَ غَيْرُ مُجْدِي(٣٧)

وَاعْمَلْ بِجُهْدِكَ ما اسْتَطَعْتَ فَلَنْ تَفُوزَ بِغَيْرِ جُهْدِ(٣٨)

---

(٣٢) الوهد : الأرض المنخفضة . وطأطأ رأسه : طامنه وخفضه . والنجد : ما ارتفع من الأرض . يقول : إن من سار فى نور الله وهدايته مهدت له الطرق ، فما كان منها منخفضاً استوى واعتدل ، وما كان منها مرتفعاً انخفض حتى يستوى ويعتدل أيضاً . والمراد أن أموره تستقيم وتصلح وتتيسر .

(٣٣) المجد : العز والشرف . والمنى : جمع منية ، وهى ما يتمناه الانسان . والبطل : الشجاع .

(٣٤) الرصد : القوم يرصدون ويرقبون ، يستوى فيه الواحد والجمع . والهجر : ضد الوصل . والصد : الانصراف والاعراض . يشبه المجد بحسناء يحجبها حارسان من صد وإعراض ، فهو لهذا عزيز صعب المنال .

(٣٥) حيالها : بإزائها . وحيرى : متحيرة لا تدرى وجه الصواب . والشغف : شدة الهوى . والسهد : الأرق . أى أن طلاب المجد به مشغوفون لا يستقر لهم جنب ولا تغمض لهم عين حتى يظفروا بما يريدون .

(٣٦) البطولة : الشجاعة . وأجل : أعظم ، أى أن المجد صعب يتطلب من الجهد والمشقة ما يعز على أكثر الناس .

(٣٧) عز : شق وامتنع . والنوح : البكاء . وغير مجد : غير مغن وغير نافع . ينعى على القانطين قنوطهم إن أصابهم الفشل يوماً ويستحثهم على مواصلة السعى وتجنب الأسف .

(٣٨) الجهد : الوسع والطاقة ، يقول : ابذل فى سبيل المجد جهد المستطيع ، فلن تفوز إلا ببذل الجهد .

فَالسَّـــيْفُ غِمْـدٌ ما أَقَا مَ وَلَمْ يُفارِقْ جَوْفَ غِمْدِ(٣٩)

* * *

« فَارُوقُ » فَرْدٌ فِي الْجَـلَا لِ يَجِلُّ عَنْ وَصْفٍ وَحَدِّ(٤٠)

الْعَبْــقَرِيَّةُ أَنْ تُحَلِّـــقَ لِلنُّجُومِ بِغَــيْرِ نِدِّ(٤١)

وَتَنالَ قَسْرًا مِنْ فَمِ الدُّنْــيَا حَلاوَةَ كُلِّ حَمْـدِ(٤٢)

* * *

مَنْ كَالْمَلِيكِ إِذَا انْتَمَى بَهَرَ الْعُلَا بِأَبٍ وَجَـدِّ؟(٤٣)

كَانَا لِمِصْرَ وَأَهْلِهَـا عَضُدًا يَصُولُ بِخَيْرِ زَنْدِ(٤٤)

(٣٩) يقول إن السيف كالغمد ما دام مقيماً فى غمده ، أى إن السيف لا تعرف قيمته ، ولا يمتاز من غمده إلا إذا استخدم وعمل ، وكذلك جهد الانسان وقوته لا تثمر إلا إذا استخدمت ووجهت إلى النفع وكسب الحمد والمجد . بين الشاعر بهذا البيت وستة الأبيات قبله علو مكانة المجد ، وبعد غايته ، وصعوبة الوصول إليه ، وما يتطلبه من جهد ومشقة ، وهو بذلك يدعو إلى تمجيد الماجدين وعرفان فضلهم ، بل إلى تمجيد عنوان مجد مصر وسيد أمجادها حضرة صاحب الجلالة مليكها .

(٤٠) الجلال : العظمة . ويجل : يعظم ، والمعنى أن الله عز وجل جعل « فاروقاً » واحد زمانه فى العظمة والجلال ، وجعل جلاله لا يدركه وصف . ولا يحيط به حد .

(٤١) العبقرية : الحذق والكمال والسيادة ، والعبقرى : الحاذق القوى ، والكامل ، والسيد والذى ليس فوقه شىء ، نسبة إلى عبقر ، وهو فيما تزعم العرب موضع من أرض الجن ينسبون إليه كل شىء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعه وقوته . وتحليق الطائر : ارتفاعه فى طيرانه ، والعبقرية مبتدأ خبره المصدر المؤول من أن والفعل بعده . والند : المثل والنظير ، يقول : إن العبقرية هى أن تطير إلى حيث الكواكب ، وتعلو علو النجوم من غير نظير .

(٤٢) تنال : معطوف على تحلق فى البيت قبله . والقسر : القهر والكره ، يقول إن العبقرية نيالك حلاوة الحمد من فم الدنيا قسراً وقهراً ، والمراد أن حمد الناس وثناءهم لا ينال عفواً ، ولا يدرك طوعاً ، ولا يأتى من طريق الحظ أو المصادفة .

(٤٣) نميت الرجل إلى أبيه : نسبته إليه ، وانتمى هو : انتسب . وبهره بهراً من باب نفع : غلبه وفضله ، وأبو المليك هو المغفور له الملك فؤاد الأول ، وجده الأقرب هو المغفور له الخديو إسماعيل ، وجده الأعلى هو المغفور له محمد على باشا ، والمعنى أن المليك ورث المجد كابراً عن كابر .

(٤٤) كانا : أى أبو المليك وجده . والعضد : الساعد ، وهو ما بين المرفق إلى الكتف ، والمراد به المعين والنصير . ويصول : يستطيل ويقهر . والزند : ما انحسر عنه اللحم من الذراع ، أو هو موصل طرف الذراع فى الكف ، والمراد به هنا اليد ، والمعنى أن مصر كانت تعتمد على آباء المليك تستطيل بنصرتهم وبأسهم ، وتستمد منهم العز والمنعة .

رَكِبَا الْعَزَائِمَ لِلْعَظَا ئِمِ بَيْنَ إِيجَافٍ وَشَدِّ (٤٥)
مَلَكَا خِطَامَ الْحَادِثَا تِ وَمِقْوَدَ الدَّهْرِ الْأَلَدِّ (٤٦)
وَتَحَدَّيَا قَصَبَ السِّبَا قِ فَأَذْعَنَتْ عِنْدَ التَّحَدِّي (٤٧)
شَرَفٌ إِذَا اخْتَارَ الْمُقَا مَ أَقَامَ فِي عُلْيَا مَعَدِّ (٤٨)
فَلَكَمْ تَنَقَّلَ فِي الْعُلَا مِنْ مَهْدِ مَكْرُمَةٍ لِمَهْدِ (٤٩)
مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ صَادِقِ الرَّ مَيَاتِ كَالْوَتَرِ الْعُرُدِّ (٥٠)
جَعْدٍ أَبِيٍّ يَنْتَمِي لِمُوَثَّقِ الْعَزَمَاتِ جَعْدِ (٥١)

---

(٤٥) العزائم : جمع عزيمة وهي الأرادة القوية القاطعة . وعظائم الأمور : جلائلها وكبرياتها . والايجاف : مصدر أوجف الراكب بعيره أو فرسه أي حمله على الوجيف وهو العدو أو العنق في السير . والشد : العدو ، يقول إنهما ركبا لعظائم الأمور عزائمهم القوية وسارا بين إسراع وعدو .

(٤٦) الخطام : الزمام وهو المقود أي الحبل الذي تقاد به الدابة . وحادثات الدهر وحوادثه وأحداثه وحدثانه : نوب الزمان ونوازله . والألد : الشديد الخصومة ، والمعنى أن الزمان على الرغم من شدة جموحه قد دان لهما ، وانقادت لمشيئتهما حوادثه .

(٤٧) تحديت فلاناً إذا باريته في فعل ونازعته الغلبة . والقصب : كل نبات تكون ساقه أنابيب وكعوبا ، الواحدة قصبة ، وقصب السباق أصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصباً ، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع . وأذعنت : خضعت وذلت ، يقول إنهما تحديا القصب الذي يتسابق إلى إحرازه المشمرون المبرزون فأذعن القصب لهما وذل وخضع ، والمعنى أنهما طلبا الغايات البعيدة التي يستبق إليها ذوو الهمم الرفيعة فدانت لهم تلك الغايات وانقادت .

(٤٨) الشرف : العلاء والرفعة ، والمقام : اسم مكان من أقام يقيم . ومعد بن عدنان : أبو العرب ، والمعنى أن شرف المليك وآبائه لا يضارعه إلا الشرف العربي الرفيع .

(٤٩) المهد : الموضع يهيأ للصبي ويوطأ ، والمراد الأصل والمقر . والمكرمة : اسم من الكرم وفعل الخير ، يقول إن ذلك الشرف تنقل في العلا ولازم الفضل والخير والمكرمات .

(٥٠) الأروع : الوسيم الشجاع . والوتر : شرعة القوس ومعلقها . والعرد : القوي المتين الصلب .

(٥١) الجعد : الكريم . والأبي : العف الغني النفس الذي يأبى الدنايا ويكرهها . وينتمي : ينتسب . والموثق العزمات : القوي الارادة المحكم التدبير .

جَــلْدٍ ، وَهَلْ خَضَعَ الزَما ... نُ لِغَيْرِ صُلْبِ الْعُودِ جَلدِ ؟ (٥٢)

*
* *

إِنِّى نَزَلْتُ بِجِــيرَةٍ ... بُسْلٍ عَلَى النَّجَدَاتِ حَشْدِ (٥٣)

أُنْسِيتُ أَهْــلِى بَيْنَهُمْ ... وَسَلَوْتُ إِخْوَانِى وَوُلْدِى (٥٤)

اَلضَّيْفُ فِى سَاحَاتِهِــمْ ... يَجْتَازُ مِنْ رِفْدٍ لِرِفْدِ (٥٥)

عَقَــدُوا خَنَاصِرَهُمْ عَلَى ... صِدْقِ الْوَفَاءِ أَشَدَّ عَقْدِ (٥٦)

وَمَضَتْ أَوَاصِــرُنَا تُمَــدُّ ... إِلَى الْعُرُوبَةِ خَيْرَ مَدِّ (٥٧)

*
* *

« فَارُوقُ » عِشْ نَجْمًا يُضِــىءُ ... بِيُمْنِ إِقْبَالٍ وَسَعْدِ (٥٨)

---

(٥٢) الجلد : صفة من الجلد وهو الصلابة ، يقول إن الزمان لا يخضع إلا للشجعان البواسل ذوى الجلد والصلابة ، أشاد الشاعر فى هذا البيت وتسعة الأبيات قبله بحسب المليك ونسبه وكرمه وشرفه ، وسيمدح فى الأبيات الآتية إخواننا وجيراننا السودانيين الذين ألقى هذه القصيدة فى نخبة عظيمة منهم اجتمعت فى الخرطوم الاحتفاء بعيد جلوس جلالة الملك .

(٥٣) الجيرة : الجيران جمع جار . والبسل : جمع باسل وهو الشجاع . والنجدات : جمع نجدة وهى الاعانة والنصرة . والحشد : من يخفون فى التعاون أو يجيبون من دعاهم مسرعين ، وهو وصف بالمصدر .

(٥٤) سلوت : نسيت . وولدى : أولادى ، يقول إنى نسيت بين هؤلاء الجيران أهلى وأصدقائى وأولادى ، لما فيهم من كرم الضيافة وشدة العطف والمحبة والوفاء .

(٥٥) الساحات : جمع ساحة وهى الناحية وفضاء بين دور الحى . ويجتاز : يسير . والرفد : العطاء والصلة ، والمراد به هنا مطلق الكرم . يقول إن الضيف فى نواحيهم ودورهم يسير وينتقل من رفد إلى رفد وذلك لتشابههم فى السخاء وتشاكلهم فى الكرم .

(٥٦) الخناصر : جمع خنصر وهى الاصبع الصغرى ، وعقد الخناصر على الشىء كناية عن شدة الاستمساك به والحرص عليه .

(٥٧) الأواصر : جمع آصرة وهى الرحم والقرابة . تمد : تمتد وتنبسط . والعروبة : مصدر عرب لسانه إذا كان عربياً فصيحاً ، يقول إن صلات القرابة بيننا وبين السودانيين تمتد خير امتداد إلى العرب ولغتهم ودينهم .

(٥٨) اليمن : البركة . والمراد بالاقبال إقبال الدولة واطراد التأييد والعز . يدعو بأن يعيش المليك نجماً متلألئاً فى سماء العلا ، ويحيا حياة طيبة مقرونة بالبركة والخير والاقبال والسعادة .

قَدْ كَانَ عَهْدُكَ فِي عُهُو   دِ الْمَالِكِينَ أَجَلَّ عَهْدِ(٥٩)
بَلَغَتْ بِهِ مِصْرُ الْمَدَى   وَتَخَلَّصَتْ مِنْ كُلِّ قِدِّ(٦٠)
خُذْهَا عُجَالَةَ شَاعِرٍ   تُغْنِي عَنِ الْقَوْلِ الْمُعَدِّ(٦١)
سَلَكَتْ سَبِيلاً لَيِّناً   سَهْلاً وَجَافَتْ كُلَّ صَلْدِ(٦٢)
وَالرَّوْضُ إِنْ صَدَحَتْ بَلاَ   بِلُهُ صَدَحْنَ بِغَيْرِ كَدِّ(٦٣)
فَاهْنَأْ بِعِيدِكَ فِي نَعِيـ   ـمٍ مُشْرِقِ الْبَسَمَاتِ رَغْدِ(٦٤)
تَفْدِيكَ مِصْرُ وَنِيلُهَا   عَاشَ الْمُفَدَّى وَالْمُفَدِّي !(٦٥)

---

(٥٩) أجل : أعظم ، يقول إن عهد مليكنا أعظم عهود الملوك ، وأسعد الأزمنة .

(٦٠) المدى : الغاية . والقد بالكسر : سير يقد من جلد غير مدبوغ يقيد به الأسير ونحوه ، يقول إن مصر قد بلغت فى عهد جلالة الملك فاروق غاية ما كانت تصبو إليه ، وتخلصت من كل ما كان يقيدها ويحد حريتها فيما مضى ، يشير إلى ما تم فى هذا العهد السعيد من إكمال استقلال مصر بمعاهدة الصداقة التى أبرمت بينها وبين بريطانيا .

(٦١) العجالة : ما تعجلته من شىء ، يقول تقبل هذه القصيدة المتعجلة المغنية عن الكلام المعد .

(٦٢) جافت : باعدت . والصلد : الصلب ، يقول إنه سلك فى إنشائها مسلك اللين والسهولة .

(٦٣) الروض : جمع روضة . وصدح : رفع صوته بغناء . والكد : الشدة فى العمل ، يقول إن الشعر سجية فيه لا يجد فى قرضه صعوبة كالتغريد الذى هو من طبائع الطير لا تلقى فيه عنتا .

(٦٤) مشرق : مضىء . والبسمات : جمع بسمه وهى الضحك من غير صوت . ورغد : هنىء .

(٦٥) يقول إن مصر وأهلها والنيل وهو مصدر حياتها يجعلان الأرواح فداء لك ، ثم دعا بالحياة للمفدى وهو جلالة المليك والمفدى وهو مصر ونيلها .

رَشِيدُ تحيّي الفَارُوق

نظم الشاعر هذه القصيدة فى شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦ م يحيي فيها حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم حينما شرف مدينة رشيد بلد الشاعر بالمرور عليها بسفينته الملكية .

أَغْدِقْ عَلَيْهَــــا سَحَابَا وَامْلأْ مَدَاها شَبَــابَا (١)

وَافْتَحْ عَلَى النَاسِ فِيهَـا لِلْخَــيْرِ بَابًا فَبَـابا (٢)

جُزْتَ الطَرِيقَ فَصَارَتْ تِـبْرًا وَكَانَتْ تُرَابا (٣)

اَلْيُمْنُ يَحْــدو ذَهَابًا وَالسَعْدُ يَشْـدُو إِيَابا (٤)

(١) أغدق المطر : كثر قطره ، وعليها أى على رشيد . وسحابا حال من فاعل أغدق . والمدى : الأمد والغاية ، والمراد الفضاء بمن فيه وما فيه ، والخطاب لجلالة الملك « فاروق » يقول إن مدينة « رشيد » فى حاجة إلى أياديك السابغة فأمطرها من فضل نعمك ، وهى مدينة طال عليها القدم وشاخت ، فاملأ أرجاءها حياة وهمة وفتوة .

(٢) يشير بهذا البيت إلى ما طبع عليه المليك من الحنان والرحمة وحب الخير لبلاده ، فهو يفتح على الناس أبواب الخيرات متتابعة متتالية ويسدى إليهم من أياديه الغر وعوارفه الحسان ، ثم يقول إن أهل هذه المدينة العريقة فى المجد فى أشد الحاجة إلى من يفتح لهم سبلا للعمل والارتزاق .

(٣) جاز الطريق : سلكها وسار فيها . والتبر : ما كان من الذهب غير مضروب ولا مصوغ ، والمعنى أن المكان يشرف بشرف من سلكه أو حل به ، وقد شرفت بك الطريق التى سلكتها ، وعلا بعلائك قدرها ، وعزت وكرمت على الناس حتى صار ترابها كالتبر . وصف الشاعر فى هذا البيت والأبيات التى تليه الطريق التى مر بها جلالة الملك بين الاسكندرية ورشيد ، وهذه الطريق تشتمل على نخيل مبعثر فى نواحيها ، وعلى حدائق مزهرة ، وعلى كثبان رملية ، ويرى السالك فيها إلى يساره البحر الأبيض صاخباً بأمواجه ، ثم إذا قطع جزءاً طويلا من الطريق رأى النيل يجرى بين المروج والبساتين . وقد جعل الشاعر وصف هذه المناظر جميعها ذريعة إلى الاشادة بأخلاق جلالة الملك وصفاته العالية ، وهذا فن جديد فى المديح .

(٤) اليمن : البركة . ويحدو : يغنى من حدوت بالابل أحدو حدواً أى حثثتها على السير بالحداء وهو الغناء لها . ويشدو : يغنى ويترنم . والاياب : مصدر آب أى رجع ، يقول إن اليمن والسعد يلازمان ركابك فهما يتغنيان بما ثرك ذهابا وإيابا .

وَالنَخلُ ماسَتْ وَمَالَتْ تَشَوُّقًا وَاجْتِذَابًا(٥)
قَدْ هَزَّهَا الشَوْقُ حَتَّى كادَتْ تُجَارِى الرِكَابًا(٦)

*
* *

وَالزَهْرُ يَنْضَحُ عِطْرًا بَيْنَ الرُبَا وَمَلَابًا(٧)
لَهُ ابْتِسَامُ حَبِيبٍ أَنْسَى الْمُحِبَّ الْعِتَابًا(٨)
يَرْنُو فَيُرْخِى حَيَاءً مِنَ الْكِمامِ نِقَابًا(٩)
رَأَى شَبَابًا وَضِيئًا عَمَّ الْقُرَى وَالرِحَابًا(١٠)

---

(٥) ماست : تبخترت ، والتبختر : مشية حسنة المرح المختال المعجب بنفسه ، والمراد مجرد اهتزاز المرح . والتشوق : الاشتياق وهو نزاع النفس إلى الشيء ، يقال شوقه أى هيج شوقه فتشوق . يقول إن النخل لشدة فرحها بطلعة المليك تبخترت ومالت مشتاقة منجذبة إليه .

(٦) جاراه مجاراة : جرى معه . والركاب : المطى وهى الابل ونحوها مما يركب ويسار عليه ، الواحدة راحلة ، ولا واحد للركاب من لفظها ، يقول إن الشوق قد هيج النخل حتى كادت تجرى مع ركاب المليك .

(٧) ينضح : يرشح ، وبابه قطع ، والنضح أيضاً : الرش . والربا : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض . والملاب : نوع من الطيب ، أو هو الزعفران ، يقول إن الزهر ينضح على الجو عطراً وينشر بين الربا طيباً كأنما قد شارك الناس فى الاحتفاء بمقدم المليك .

(٨) الابتسام : التبسم وهو أقل الضحك وأحسنه . والعتاب : اللامة ، يشبه تفتح الزهر بابتسام الحبيب ابتساماً ساحراً جذاباً بهر المحب وأنساه ما كان قد اعتزمه من لوم الحبيب وعتابه .

(٩) يرنو : ينظر من الرنو وهو إدامة النظر بسكون الطرف . ويرخى : يسدل . والكمام : جمع كم بكسر الكاف وهو غطاء الزهر أى ما يكون حوله من ورق أخضر يغطيه قبل تفتحه ويسمى البرعوم . والنقاب : ما تغطى به المرأة وجهها ، يقول إن الزهر ينظر إلى طلعة المليك معجباً به فيغلبه الحياء وتبهره الهيبة فيغضى ويغض طرفه ويرخى على وجهه من كمامه ما يشبه النقاب .

(١٠) وضيء : صفة من الوضاءة وهى الحسن . والرحاب : جمع رحبة وهى الساحة والأرض الواسعة ومسيل ماء الوادى من جانبيه ، يقول إن الزهر رأى فى المليك ما بهره وأخجله: رأى شبابا جميلا عم القرى والبلاد وشمل الساحات والرحاب .

رَأى خَلائِقَ زُهْـــرًا كَالْمِسْكِ طَابَتْ وَطَابَا (١١)

٭
٭ ٭

تَطَامَنَتْ هَضَبَــــاتٌ ماذَا أَصَابَ الْهِضَابَا ؟ (١٢)

كَانَتْ تُسَـــامِي الثُّرَيَّا وَالْيَوْمَ تَحْـنِي الرِّقَابَا (١٣)

رَأَتْ جَـــــلالاً مَهِيبًا فَمَـا وَنَتْ أَنْ تَهَابَا (١٤)

وَهَالَهَا مِنْـكَ عَـــزْمٌ لَوْ لَامَسَ الصَّخْرَ ذَابَا (١٥)

٭
٭ ٭

وَالْبَحْرُ يَدْنُو وَيَعْـــلُو تَطَلُّعًـــــــا وَارْتِقَابَا (١٦)

---

(١١) الخلائق : جمع خليقة وهى الطبيعة والخلق . وزهر : جمع زهراء أى صافية خالصة غراء . والمسك : أفضل أنواع الطيب عند العرب . وطاب : جمل وحسن ، يقول إن مما أخجل الزهر وبهره أن رأى فى المليك طبائع كريمة وسجايا نبيلة شاع ذكرها فعطر الأرجاء وأطلق الألسنة بالثناء ، وهى تشبه المسك فى أن لها من الطيب ماله .

(١٢) تطامنت : انخفضت . الهضبات والهضاب : جمع هضبة وهى الكثيب المرتفع ، يقول أرى هضابا قد تطامنت وانخفضت ، ثم يستفهم متعجباً دهشاً ، أى شىء أصاب هـذه الهضاب حتى جعلها تتطامن وتغير طبيعتها ؟

(١٣) تسامى : تفاخر وتبارى فى السمو . والثريا : اسم لنجوم كثيرة متقاربة يضرب المثل بها فى الرفعة والعلو . وحنيت العود أحنية حنيا ، وحنوته أحنوه حنواً : ثنيته وحنى الرقاب هنا كناية عن التطامن والانخفاض ، يقول : كانت هذه الهضاب تفاخر الثريا وتباريها فى الرفعة والعلو ، واليوم نراها متطامنة تحنى رقابها هيبة وخضوعاً وتعظيما وإجلالا .

(١٤) الجلال : العظمة . ومهيب ، اسم مفعول من الهيبة وهى الاجلال والمخافة ، هابه يهابه ويهيبه أى عظمه وخافه ، فالمهيب من يهابه الناس .

وما ونت : ما تأخرت ، وضح الشاعر فى هذا البيت والذى بعده سبب تطامن الهضاب فقال : إنها رأت جلال المليك وعظمته المهيبة فما ونت أن تهاب ذلك الجلال وتعظمه وقد ظهر ذلك التعظيم فى تطامنها وحنى رقابها .

(١٥) هالها : أفزعها . والعزم : الارادة القاطعة ، يقول : وقد هال هذه الهضاب من المليك عزم قوى يذيب الصخر .

(١٦) يدنو : يقرب . والتطلع : رفع البصر إلى الشىء العالى . والارتقاب : الانتظار يقول إن البحر طفق يقرب ويعلو كأنما يتطلع إلى المليك وينتظر قدومه .

لَمَّا تَلَقَّاكَ قُلْنَا لاقَى الْعُبَابُ الْعُبَابَا (١٧)
« فَارُوقُ » أَعْظَمُ نَفْسًا مِنْهُ وَأَسْخَى جَنَابَا (١٨)
يُزْجِي السَّحَابَ ثِقَالًا وَأَنْتَ تُزْجِي الرِّغَابَا (١٩)

* * *

وَالنِّيلُ يَنْسَابُ تِيهًا بَيْنَ الْمُرُوجِ انْسِيَابَا (٢٠)
كَالْخَوْدِ ضَمَّتْ ثِيَابًا عُجْبًا وَأَرْخَتْ ثِيَابَا (٢١)
صَفَا لُجَيْنًا نَقِيًّا وَمَاجَ تِبْرًا مُذَابَا (٢٢)

---

(١٧) تلقاك : استقبلك . والعباب : معظم السيل وكثرته وارتفاعه أو موجه ، والمراد بالعباب هنا البحر ، يقول لما استقبلك البحر قلنا لاقى البحرُ البحر ، شبه المليك بالبحر فى الجود والعظمة والجلال وسيبين فى البيتين الآتيين أن المليك أعظم من البحر وأسخى .

(١٨) أسخى : اسم تفضيل من السخاء وهو الجود والكرم . والجناب : الفناء والناحية ، يقول إن جلالة المليك أعظم من البحر نفساً ، وأسخى منه جناباً ، وأكرم فِناء .

(١٩) يزجى : يسوق سوقاً رفيقاً ، والمراد أن السحاب يتكون من ماء البحر فان الشمس تسخن بعضه بحرارتها فيسطع بخاراً ثم يتجمع سحاباً . وثقال : جمع ثقيلة . والرغاب : جمع رغبة . وهذا البيت شبه تعليل للشطر الثانى من البيت قبله ، يقول إنك أسخى من البحر جنابا لأنه يزجى السحاب الثقال وأنت تزجى الرغائب ، وتحقق الآمال .

(٢٠) ينساب : يجرى . والتيه : الكبر والعجب والفخر . والمروج : جمع مرج وهو أرض ذات نبات ، أو هو الموضع ترعى فيه الدواب . يقول إن النيل يجرى بين المروج والرياض مرحاً فخوراً يحمل سفينة المليك .

(٢١) الخود : المرأة الحسنة الخَلق الشابة الناعمة . والعجب : الكبر والفخر . يشبه النيل فى مرحه وفخره بفتاة ناعمة حسناء تضم ثيابها مرة ثم ترخيها مرة أخرى إعجاباً بنفسها واختيالا ، وهو يشير بهذا إلى حركة الموج من جيئة وذهوب .

(٢٢) اللجين : الفضة . وماج : اضطربت أمواجه . والتبر ما كان من الذهب غير مضروب ولا مصوغ . يقول إن النيل إذا هدأ وصفا كان كالفضة الخالصة ، وإذا ماج واضطرب وعكر كان كالذهب المذاب . يشير بذلك إلى الغرين ذى اللون الذهبي .

أَلْقَى الدَّرَاهِمَ بُشْرَى بِكُمْ فَكَانَتْ حَبَابَا(٢٣)
تَوَثَّبَ الْمَوْجُ فِيهِ لِنَظْرَةٍ ثُمَّ ثَابَا(٢٤)
جَرَى ذَلُولًا بِمَلْكٍ مَاضٍ أَذَلَّ الصِّعَابَا(٢٥)
إِذَا رَأَى كَانَ حَقًّا أَوْ قَالَ كَانَ صَوَابَا(٢٦)

*
* *

وَالنَّاسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ تَهْوِي إِلَيْكَ انْصِبَابَا(٢٧)
جَاءُوا شُعُوبًا شُعُوبًا حَتَّى أَسَالُوا الشِّعَابَا(٢٨)
يَرْجُونَ مِنْكَ دُنُوًّا فَيَرْجِعُونَ اهْتِيَابَا(٢٩)

---

(٢٣) الحباب : فقاقيع الماء التي تطفو كأنها الدراهم ، وتسمى اليعاليل . يقول إن النيل نثر من نفاخاته وفقاقيعه ما يشبه الدراهم فرحاً بالمليك واستبشاراً ، وهو يشير بذلك إلى ما اعتاده بعض الأغنياء من نثر الدراهم وغيرها على الناس فى أفراحهم وأعراسهم .

(٢٤) ثاب : رجع . يقول إن الموج كان يثب ليظفر بنظرة إلى المليك المحبوب ثم يعود .

(٢٥) ذلول : سهل منقاد . وماض : نافذ . والصعاب : جمع صعب أو صعبة . يقول إن النيل جرى كالدابة الذلول وهو يحمل سفينة ملك قوى العزم نافذ الارادة أذل بقوة عزيمته وشدة بأسه صعاب الأمور .

(٢٦) يصف المليك بنفاذ البصيرة والحذق بالأمور وحسن النظر والتدبير وصدق العقيدة وسداد القول .

(٢٧) الصوب : الجهة . وتهوى : تميل وتقبل وتنصب وتجتمع . والانصباب : مصدر انصب الناس على الماء ونحوه أى اجتمعوا عليه . بعد أن انتهى الشاعر من وصف الطريق أخذ فى وصف القوم المتزاحمين لرؤية جلالة المليك .

(٢٨) الشعوب : جمع شعب وهو القبيلة العظيمة . والشعاب : جمع شِعب بكسر الشين وهو الطريق . يقول إن الناس جاءوا لرؤية المليك والاحتفاء به زرافات وجماعات حتى جعلوا الطرق تزدحم وتفيض بهم .

(٢٩) الدنو : القرب . والاهتياب ، مصدر اهتابه بمعنى هابه أى أجله وعظمه . يقول إن الناس يرجون الاقتراب من المليك ولكنهم يرجعون من مهابته وإجلاله .

وَالشَّمْسُ أَعْلَى مَكَانًا ... مِنْ أَنْ تُنَالَ اقْتِرَابَا(٣٠)

لَهُمْ دُعَاءٌ أَمَاطَتْ ... لَهُ السَّمَاءُ الْحِجَابَا(٣١)

إِنْ تَلْقَهُمْ تَلْقَ مَوْجًا ... إِنْ قَارَبَ الشَّطَّ آبَا(٣٢)

تَلْقَ عَجِيجًا وَشَوْقًا ... وَزَفْرَةً وَاصْطِخَابَا(٣٣)

قُلُوبُهُمْ فِي يَدَيْهِمْ ... تُهْدَى إِلَيْكَ احْتِسَابَا(٣٤)

وَحُبُّهُمْ فِي وُجُوهٍ ... فَاقْرَأْهُ فِيهَا كِتَابَا(٣٥)

لَاحَ السَّفِينُ فَهَامَتْ ... « رَشِيدُ » تَعْدُو وِثَابَا(٣٦)

---

(٣٠) يقول إن الشمس أرفع موضعاً وأعلى مكاناً من أن ينالها أحدٌ بالاقتراب منها ، وفى هذا البيت تشبيه ضمنى للمليك بالشمس فى علو القدر وبعد المنزلة وعظم الشأن .

(٣١) أماطت : كشفت ، يقول إن للجماهير دعاء بحياة المليك وتأييده ودوام عزه ، وقد كشفت السماء الحجاب لذلك الدعاء فصعد إليها ، والمعنى أن الله عز وجل تقبل دعاء الناس واستجاب لهم

(٣٢) الشط جانب النهر . وآب : رجع ، يصف الجماهير بالكثرة والازدحام والتدافع ويقول إنهم كموج البحر كلما قارب الشاطىء صده الشاطىء فعاد — يشير بذلك إلى ما وصفه فى بيت سابق من أنهم كلما حفزهم الشوق والحب إلى الاقتراب من حضرة المليك رجعهم الاهتياب والاكبار والتعظيم والاجلال .

(٣٣) العجيج : رفع الصوت مصدر عج يعج من باب ضرب . والزفرة : التنفس الطويل الممدود ، والاصطخاب : الجلبة والأصوات المختلطة ، والعجيج والزفرة والاصطخاب كلهـا من مظاهر الزحام ، يقول إنك ترى الناس قد ازدحموا فى طريق المليك يحفزهم إليه شوق شديد .

(٣٤) الاحتساب : مصدر احتسب الأجر على الله أى ادّخره عنده لا يرجو ثواب الدنيا يقول إن الناس يحملون قلوبهم فى أيديهم ويهدونها إلى المليك لا يرجون أجراً ولا جزاء يشير بذلك إلى ما يضمره الناس للمليك ويظهرون من إخلاص شديد ومحبة خالصة .

(٣٥) يقول إن حب الناس باد فى وجوههم ، ظاهر فى بشاشتهم وسرورهم فاقرأه مكتوباً فيها مخطوطاً عليها .

(٣٦) لاح : بدا وظهر . والسفين : السفينة . وهامت : انطلقت انطلاق من أذهله الفرح . وتعدو : تجرى وتسارع . والوثاب : مصدر وثب . يقول إن السفينة التى تحمل المليك ظهرت فهامت رشيد بها ، وأقبلت عليها ، وسارعت إليها تعدو وتثب .

وَأَقْبَلَتْ وَهْيَ تَرْنُو مَآذِناً وَقِبَاباً(٣٧)
تَوَدُّ خَوْضاً إِلَيْهِ لَوِ اسْتَطَاعَتْ ذَهَاباً(٣٨)
وَالشَّوْقُ إِنْ غَالَ نَفْساً لا تَسْتَطِيعُ غِلَاباً(٣٩)
أَعْلَامُهَا خَافِقَاتٌ كَمَا هَزَزْتَ الْقِضَاباً(٤٠)
قَدْ زَارَهَا مِنْكَ غَيْثٌ فَانْهَلَّ فِيهَا انْسِكَاباً(٤١)
وَلُحْتَ فِيهَا فَصَارَتْ خِصْباً وَكَانَتْ يَبَاباً(٤٢)
اللهُ أَكْبَرُ عَادَتْ بَعْدَ الْمَشِيبِ كَعَاباً!(٤٣)

---

(٣٧) ترنو : تديم النظر مع سكون الطرف فى طرب وهزة فرح . ومآذن المساجد : واحدتها مئذنة . والقباب : جمع قبة . يقول إن (رشيد) بمآذنها وقبابها أقبلت على المليك وهى تديم النظر إليه معجبة به فرحة طربة . يشير الشاعر بهذا البيت إلى صلاح المليك وتقواه ومحافظته على الصلاة لأن المساجد إنما تقبل على من يعمرها ويغشاها .

(٣٨) خاض الرجل الماء يخوضه خوضاً : مشى فيه . يقول إن (رشيد) تود أن تخوض الماء إلى سفينة المليك لو استطاعت ذلك .

(٣٩) غاله : أخذه من حيث لم يدر والمراد استولى وسيطر . والغلاب : المغالبة مصدر غالبه يقول إن الشوق إذا استولى على النفوس لا تستطيع مغالبته ، ولا تقوى على مقاومته .

(٤٠) الأعلام : جمع علم وهو الراية . وخافقات : مهتزة . والقضاب : السيف القطاع .

(٤١) الغيث : المطر . وانهل المطر انهلالا : سال بشدة . والانسكاب : الانصباب . يقول قد زار (رشيد) من المليك غيث غزير ينهل فيها وينصب انصباباً ، شبه المليك بالغيث لأن الناس يرجون من المليك ما يرجى من الغيث ، فالغيث يحيى الأرض ويخصبها ، والمليك يحيى الآمال ، ويزجى الرغائب .

(٤٢) لاح : ظهر . والخصب : ضد الجدب . واليباب : الخراب . يصف المليك بأنه ينبوع خير وإحسان لشعبه ، يبسط السعد واليمن حيثما حل وأينما سار .

(٤٣) الكعاب : الجارية نهد ثدياها . يقول إن (رشيد) بفضل زيارة المليك عادت بعد الشيب شابة قوية فتية . يشير بذلك إلى ما بعثته الزيارة الملكية الكريمة فى نفوس الناس من الهمة والنشاط والمرح والسرور .

إنْ سُوئِلَتْ عَنْ سِنِيهَا قَالَتْ نَسِيتُ الْحِسَابَا(٤٤)
فِيهَا نُهًى ثَاقِبَاتٌ كَمَا أَضَاءَتَ الثِّقَابَا(٤٥)
كَالتِّبْرِ غَطَّاهُ تُرْبٌ وَالدُّرِّ فِي الْبَحْرِ غَابَا(٤٦)
كَمْ عَامِرَاتِ عُقُولٍ تَأْوِى الدِّيَارُ الْخَرَابَا!(٤٧)
صَحِبْتُ فِيهَا شَبَابِي فَمَا ذَمَمْتَ الصِّحَابَا(٤٨)
سَقْيًا لِمَلْعَبِ أُنْسٍ شَابَ الزَّمَانُ وَشَابَا!(٤٩)
إنْ يَجْرِ فِي الْوَهْمِ يَوْمًا جَرَتْ دُمُوعِي اكْتِئَابَا(٥٠)

---

(٤٤) سوئلت : سئلت ، والمعنى أن (رشيد) وهى مدينة قديمة العهد قد عاد إليها شبابها بزيارة المليك ، ولبست ثوب الجمال ، فاذا سألها سائل عن عمرها أنكرته وادعت أنها لا تعرف عدد سنيها ، وهذا شأن النساء إذا دب إليهن الهرم .

(٤٥) النهى : جمع نهية وهى العقل . وثاقبات : جمع ثاقبة أى متوقدة ذكية ، والمراد بأضأت أوقدت . والثقاب : ما تثقب به النار أى توقد . يقول إن فى (رشيد) عقولا راجحة ذكية كالنار الثاقبة المتقدة .

(٤٦) التبر : الذهب قبل أن يصاغ ويصنع . والترب : التراب . والدر : جمع درة وهى اللؤلؤة العظيمة الكبيرة . يقول إن أذكياء (رشيد) الذين لم تظهرهم الشهرة كالتبر المغطى بالتراب، أو كالدر المكنون فى جوف البحر .

(٤٧) يقول إن كثيراً من العقول الراجحة العامرة تقيم بالمنازل الخربة والديار الخاملة ، فلا غرو إن حوت « رشيد » على قلة نباهتها أصحاب العقول الكبيرة . نبه الشاعر الناس فى هذا البيت والبيتين قبله على فضل « رشيد » وذكاء أهلها .

(٤٨) الصحاب : الصحبة . يقول إنى نشأت برشيد وقضيت فيها زمن الشباب فما ذممت ذلك العهد .

(٤٩) الأنس : سكون النفس واطمئنانها وهو خلاف الوحشة ، يدعو بالسقيا لملعب الأنس الذى كان يمرح فيه مع أصحابه إبان الطفولة ، ويأسف على أن تقادم عليه العهد ، وشاب كما شاب زمانه

(٥٠) يريد بالوهم البال والفكر . والاكتئاب : الحزن . يقول إن جرت ذكرى هذا الملعب فى بالى يوما جرت دموعى حزناً على فوات ذلك العهد السعيد .

مَنْ غاضَ ماءُ صِباهُ رَأى الْحَيَاةَ سَرَابا (٥١)

أَبُوكَ راشَ جَنَاحِي حَتَّى لَمَسْتُ السَّحابا (٥٢)

وَكانَ يُصغِى لِشِعْرِى وَكانَ شِعْرِى عُجَابا (٥٣)

☆
☆ ☆

« رَشِيدُ » لاَقَتْ رَشِيداً شَهْماً مُجِيبًا مُجَابا (٥٤)

سَوَّاهُ مَوْلاَهُ نُورًا صِرْفاً ، وَمَجْداً لُبَابا (٥٥)

نَالَتْ بِيُمْنِ سَنَاهُ مِصرُ الْمُنَى وَالطِّلاَبا (٥٦)

---

(٥١) غاض الماء : قل ونضب : والسراب ما يرى نصف النهار يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، يقول إن من فقد صباه فقد معه لذة الحياة ونعيمها ورآها كالسراب

(٥٢) راشه : جعل فيه الريش ، يقول إن المغفور له الملك فؤاداً كسا جناحه ريشاً فاستطاع أن يرتفع فى طيرانه حتى لمس السحاب ، والمعنى أنه شجعه وقواه وأعلى قدره .

(٥٣) يصغى : يستمع . والعجاب : العجيب ، أو هو ما جاوز حد العجب ، والمراد أنه بليغ رائع ساحر يتعجب منه .

(٥٤) رشيد الأولى اسم بلد الشاعر وهى من بلاد مديرية الغربية فى أقصى شماليها الغربى على فرع النيل الغربى بالقرب من مصبه فى بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) . ورشيد الثانية صفة من الرشد وهو الصلاح والاستقامة على طريق الحق وحسن تقدير الأمور . والشهم : الذكى الفؤاد المتوقد والسيد النافذ الحكم ، يقول إن « رشيد » لاقت ملكا صالحاً ذكى الفؤاد متوقد الذهن نافذ الحكم يجيب من سأله ويعطى من قصده ويجيبه الناس إلى كل ما يأمرهم به فطاعته فرض عليهم وهم له محبون .

(٥٥) صرف : بحت غير ممزوج ولا مخلوط . والمجد : العز والشرف . واللباب : الخالص ، والمعنى أن الله عز وجل خلق المليك فسوّاه فعدله وجعل نفسه صافية وطلعته مشرقة ووجهه وضيئا يسعى نوره بين يديه ، ثم وهب له العز والشرف الرفيع ، كأنما خلقه من صميم النور وخالص المجد .

(٥٦) اليمن : البركة ، والسنا : الضوء . والمنى : جمع منية وهى ما يتمناه الانسان . والطلاب : ما تطلبه من غيرك ، يقول إن مصر نالت أمانيها وطلباتها بهداية المليك وحسن إرشاده ويمن طلعته ، والشاعر يشير بذلك إلى ما ظفرت به مصر فى عهد المليك السعيد من حرية واستقلال وطمأنينة ورخاء .

الزِّفافُ المَلَكِى

يناير سنة ١٩٣٨ م

اِنظِمِ الدُّرَّ تَوْءماً وَفَرِيدَا وَامْلَأِ الْأَرْضَ والسَماء نَشِيدَا (١)

وَإِذَا مَـرَّ بِالنُّجُومِ خَيَالٌ فَتَخَيَّرْ مِنَ النُّجُومِ عُقُودَا (٢)

آنَ يا شِعْرُ أَنْ تُغَنِّى فَأَرْسِلْ مِنْ قَوافِيكَ ما يَهُزُّ الْوُجُودَا (٣)

---

(١) الدر : اللآلئ العظيمة ، الواحدة درة . والتوأم : اسم لولد يكون معه آخر فى بطن واحد ، ويقال : توأم الذكر وتوأمة للأنثى والجمع توائم ، وهما توأمان وتوأم . وتوائم اللآلئ : ما تشابك منها . وفريداً : واحداً فرداً ، والفريد أيضاً : الدر الذى يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة ، فالدر فيها فريد ، والذهب مفرد ، والواحدة فريدة . والنشيد : الشعر المتناشد بين القوم ينشده بعضهم بعضاً ، من قولهم أنشدنى شعراً إنشاداً حسناً أى قرأه رافعاً به صوته . يقول الشاعر مخاطباً نفسه : انظم من الشعر ما يشبه قلائد اللآلئ ، واجعل بعضها مفصلا وبعضها توائم ، واملأ به آفاق الأرض والسماء . وصف شعره بالحسن والتنوع والبهاء لمّا شبهه بالتوائم والمفصلات من عقود اللآلئ ، ثم وصفه فى الشطر الثانى بالذيوع والانتشار وتغنى الناس به .

(٢) العقود : جمع عقد وهو القلادة ، يقول وإذا مر خيالك الشعرى بنجوم السماء فاختر منها ما تنظمه عقوداً وقلائد تليق بهذا الغرض النبيل ويزدان بها ذلك المهرجان العظيم .

(٣) القوافى : جمع قافية وهى من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما ، فهذا البيت مثلا قافيته من الجيم إلى الألف « جودا » ، والمراد بقوافى الشعر هنا أبياته وأوزانه . بالغ حتى جعل الشعر مغنيا ثم قال : حان يا شعر أن تغنى فأرسل من أبياتك ما يهز أعطاف الكون ، والمعنى أنه رائع شديد التأثير يسمعه العالم فتعرُوه هزة الطرب والاعجاب .

أسْكِتِ الصادِحاتِ يهتِفْنَ في الدو ح وكُنْ في عِشاشِهَا تَغْرِيدَا(٤)

حَفِظَتْ رنَّةً وَقَدْ رَدَّدَتْهَا فابْعَثِ اللَّحْنَ « جارِمِيًّا » جَدِيدَا(٥)

وَاصْعَدِ الْجَوَّ للسَّمَوَاتِ وَانْقُلْ لُغَةَ الْخُلْدِ إنْ مَلَكْتَ صُعُودا(٦)

نَغَمَاتٌ مِنَ الْمَلائِكِ تَسْرِى فِي الْفَرَادِيسِ مَا عَرَفْنَ حُدُودا(٧)

صَفَّقَ الْكَوْثَرُ الطَّهُورُ لِمَسْرَا هَا وَجَرَّ الذُّيُولَ يَمْشِى وَئِيدا(٨)

---

(٤) الصادحات : المغردات من الطير . صدح الرجل والطائر كمنع ، رفع صوته بغناء . ويهتفن : يسجعن ويغردن ، هتفت الحمامة تهتف هتافا : صاتت . والدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة .

ومعنى هذا البيت أن شعره أعذب وألطف وأحسن وقعاً من هتاف الطير وصداحها ، فهى إذا سمعته سكتت وأنصتت إليه ، يقول أسكت أيها الشعر صدح الطير وخذ مكانها فى العشاش صادحاً مفردا .

(٥) حفظت : أى صادحات الطير . والرنة : الصوت ، والمراد السجعات والتغريدات المتشابهة المكررة . ورددتها : رجعتها وكررتها . واللحن : مصدر لحن فى قراءته من باب قطع إذا طرب بها وغرد ، أو هو النغم بعد ضبطه وتقديره ، ومن كلامهم : هذا لحن معبد أى من صنعه ووضعه .

(٦) الخلد : الدوام والبقاء ، والمراد بلغة الخلد لغة الملأ الأعلى من الملائكة وغيرهم ، وقد صرح بهذا فى البيت الآتى .

(٧) النغمات : جمع نغمة وهى جرس الكلام وحسن الصوت فى القراءة . وتسرى : تسير . والفراديس : جمع فردوس وهو حديقة فى الجنة ، وأصله البستان يجمع كل ما يكون فى البساتين ، يصف لغة الملائكة بأنها ترانيم تسبيح فى الجنات لا تعرف حدود لمدى صوتها .

(٨) الكوثر : نهر فى الجنة . والطهور : صيغة مبالغة من الطهر وهو النقاء ، ومسراها : سيرها أى النغمات . والوئيد : التأنى والتمهل . جعل خرير مياه الكوثر تصفيق الاعجاب والاستحسان حينما مرت به هذه النغمات الساحرة ، ثم أن تأثره بها قد اشتد حتى تملكه الزهو والتيه والمرح فجر ذيول الفخر ومشى وئيداً .

وَسَمَتْ صَوْبَ هَمْسِهَا كُلُّ حَوْرَا ءَ تُدَانِى رَأْسًا وَتَعْطِفُ جِيدَا(٩)
وَالتَّهَالِيلُ تَمْلَأُ الْمَلَأَ الْأَعْـلَى وَتَعْنُو لِقُدْسِهِ تَمْجِيدَا(١٠)
فَرَحٌ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِالْفَا رُوقِ فَازَتْ بِهِ الْبَشَائِرُ عِيدَا(١١)
غَنِّ يَا شِعْرُ بِالْأَمَانِى حِسَانًا ضَاحِكَاتٍ وَبِالزَّمَانِ وَدِيدَا(١٢)
أَجِدِ الْقَوْلَ مَا اسْتَطَعْتَ وَإِلَّا فَمَتَى يَا تُرَى تَكُونُ مُجِيدَا(١٣)
عَجَزَ النَّاىُ فَابْتَكِرْ مِنْ قَوَافِيـكَ وَرَنَّاتِهِنَّ نَايًا وَعُودَا(١٤)

---

(٩) صوب : جهة . والهمس : الصوت الخفى . وحوراء : صفة من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها ، وتدانى : تقرب . وتعطف : تميل وتثنى . والجيد : العنق . وفى الشطر الثانى تصوير لهيئة المستمع المصغى إلى كلام غيره . يقول إنه لما سرت هذه النغمات فى الفراديس وسمعتها الحور العين من نساء الجنة سمت نحو صوتها مستمعة منصتة إليها مقبلة كل الاقبال عليها .

(١٠) التهاليل : جمع تهليل مصدر هلل أى قال : لا إله إلا الله ، أو هو جمع تهليلة اسم مرة منه . والملأ فى الأصل : الجماعة ، والمراد بالملأ الأعلى هنا أهل السموات . وتعنو : تخضع . والقدس : الطهر . والتمجيد : الاعظام والاجلال والثناء . يقول إن تهاليل أهل السماء وأدعيتهم للفاروق تملأ جوانب الملأ الأعلى وهنالك تعنو لقدسه إجلالا وتعظيما .

(١١) البشائر : جمع بشارة وهى البشرى والفرح . يقول إن الفرح بزفاف الفاروق قد عم السماء والارض وكان فيهما عيداً فازت به البشائر واجتمعت فيه الأفراح كلها .

(١٢) الأمانى بالياء المشددة وقد خففت هنا لضرورة وزن الشعر : جمع أمنية وهى ما يحبه الانسان ويتمناه ويقدر حصوله . ووديداً : محباً . والمعنى أن هذا مجال فسيح لنظم الشعر وإجادته فالناس قد ظفروا بالأمانى الحسان الضاحكة المشرقة ، والزمان قد صادقهم وأحبهم وجرى بما يأملون .

(١٣) تُرى : تُظن .

(١٤) الناى : آلة من المعازف ، غير عربية ، وابتكر الشىء : اخترعه على غير مثال سابق ، وأصله من قولهم . ابتكر الشىء إذا أخذ أوله ، وابتكر الفاكهة : أكل باكورتها وهى أول ما يدرك منها . والقوافى : جمع قافية وهى من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما فهذا البيت مثلا قافيته من العين إلى الألف « عودا »

والمراد بالقوافى هنا الأوزان والبحور . والرنات : جمع رنة وهى الصوت . والعود من آلات اللهو والعزف والطرب .

والمعنى أن المعازف وآلات اللهو قد عجزت عن إشباع الناس وتمثيل فرحهم فى هذا اليوم السعيد فاخترع يا شعر من قوافيك وأوزانك ونغماتك ما يفوق الناى والعيدان وأشباهها .

وَتَخَيَّرْ مِنَ الْخَمَائِلِ أَنْدَا هَا وَرَدِّدْ خِلالَهَا تَرْدِيدَا(١٥)
هاتِهَا مَوْصِلِيَّةً تَمْلِكُ السَّمْـعَ وَطَرِّبْ بِهَا وَغَنِّ «الرَّشِيدا»(١٦)
وَابْعَثِ الرَّوْضَ مِنْ كَرَاهُ وَقَبِّلْ وَجَنَاتٍ مِنْ زَهْرِهِ وَخُدُودا(١٧)
وَتَرَنَّمْ تُجِبْ صَدَاكَ الْقَمَارِى وَتَمِلْ نَحْوَكَ الْغُصُونُ قُدُودا(١٨)
أَرْسِلِ الصَّوْتَ رَنَّةً تَمْلَأُ الدُّنْـيَا وَتَبْقَى عَلَى الزَّمَانِ خُلُودا(١٩)
لا تُبَالِ الْقُيُودَ مِنْ فاعِلاتُنْ أَنْتَ أَحْرَى بِأَنْ تُذِلَّ الْقُيُودَا(٢٠)

(١٥) الخمائل : جمع خميلة وهى الشجر المجتمع الكثيف . وأندى : اسم تفضيل من ندى بمعنى ابتل ، والمراد أنضرها وأجملها . والترديد : الترجيع والتكرار .

(١٦) هاتها : أى القصيدة التى هو بصدد نظمها . وموصلية : نسبة إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلى مغنى الرشيد والمضروب به المثل فى تجويد الغناء وتنويعه والتفنن فيه وهو فارسى الأصل ، وقد أخذ الغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين . وهارون الرشيد خامس خلفاء بنى العباس ومن أعظمهم شهرة وأبعدهم صيتاً ، تولى الخلافة من سنة ١٧٠ هـ إلى سنة ١٩٣ هـ .

(١٧) الروض : جمع روضة وهى أرض ذات عشب وكلأ وشجر . والكرى : النعاس . والوجنات : جمع وجنة وهى من الانسان ما ارتفع من لحم خده .

(١٨) الترنم : ترجيع الصوت فى الغناء . وصدى الصوت : رجوعه إذا أرسلته فى الجبال ونحوها . والقمارى : جمع قمرى أو قمرية لنوع من الحمام كأنه منسوب إلى القمرة وهى لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة ، وقد خففت ياء القمارى هنا لضرورة وزن الشعر . والقدود : جمع قد وهو قامة الانسان وحسن اعتداله .

يقول مخاطباً الشعر إنك إذا تغنيت رددت القمارى غناءك وتأثرت به الغصون فمالت إليك كالقدود .

(١٩) الرنة : الصوت . والخلود : الدوام والبقاء .

(٢٠) فاعلاتن : من أجزاء الشعر وتفاعيله التى يوزن بها وتتألف منها بحوره . وأحرى : أجدر وأحق وأولى . يقول له لا تكترث للقيود والتفاعيل التى يتقيد بها الشعر عادة فانك أخلق وأولى بأن تخضع هذه القيود وتذلها . تخيل الشاعر تفاعيل الشعر قيوداً تمنعه من الانطلاق فنهاه عن الاهتمام بها وحضه على إذلالها كى ينطلق ويملأ الدنيا كما مر فى البيت السابق .

سِرْ خَفِيفاً مَعَ النَّسَائِمِ وَابْعَثْ ‏ ‏ نَفَساً يَمْلأُ الْفَضَاءَ مَدِيدا(٢١)

يُنْصِتُ اللَّيْلُ حِينَ تُنْشِدُ يا شِعْـرُ ‏ ‏ وَيَنْفِي عَنْ مُقْلَتَيْهِ الرُّقُودا(٢٢)

ضُمَّهُ بَيْنَ سَاعِدَيْكَ وَغَرِّدْ ‏ ‏ مِثْلَمَا هَزَّتِ الْفَتَاةُ الْوَلِيدا(٢٣)

لا تَدَعْ فِي لَهَاةِ فَنِّكَ صَوْتاً ‏ ‏ إِنْ رَنَا مُصْغِياً يُرِيدُ الْمَزِيدا(٢٤)

قَدْ نَقَدْنَا لَكَ الْقَوَافِي صِحَاحاً ‏ ‏ مِثْلَمَا يَنْقُدُ الشَّحِيحُ النُّقُودَا(٢٥)

وَجَمَعْنَا حُرَّ الْكَلَامِ الَّذِي عَزَّ ‏ ‏ فَأَضْحَتْ لَهُ الْمَعَانِي عَبِيدا(٢٦)

وَحَشَدْنَا الْأَلْفَاظَ أَنْقَى مِنَ الْمَاءِ ‏ ‏ وَأَشْهَى مَسَاغَةً وَوُرُودا(٢٧)

---

(٢١) خفيفاً : صفة من الخفة ، والخفيف أيضاً أحد بحور الشعر ، وأجزاؤه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين ، والقصيدة من هذا البحر ، ففى هذه الكلمة تورية لطيفة . والنسائم : جمع نسيم ، والنسيم : نفَس الريح ، أو الريح الطيبة . ومديداً : صفة لنفساً بمعنى ممدود منبسط طويل ، والمديد أيضاً ثانى بحور الشعر ، وأجزاؤه فاعلاتن فاعلن أربع مرات وهو مجزوء وجوباً ، وفى مديد تورية أيضاً .

(٢٢) ينصت : يستمع . وأنشد الشعر : قرأه رافعاً به صوته ، وتنشد هنا إما بالبناء للمفعول ، وإما بالبناء للفاعل لأن الشاعر جرى على مخاطبة الشعر فى الأبيات السابقة . ومقلتيه : عينيه . والرقود : النوم كالرقاد .

(٢٣) ضمه : أى الليل والخطاب للشعر . والساعد من الانسان : ما بين المرفق والكف ، وهو مذكر . والتغريد : التطريب والغناء . والوليد : الطفل والصبى المولود .
يقول ضم يا شعر الليل بين يديك وغن كما تهز الفتاة الطفل وهى تغنى له .

(٢٤) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم ، ويريد بها الحنجرة ومبعث الصوت . ورَنا : استمع أى الليل تقول رنوت إلى حديث فلان . ومصغياً : مائلا بسمعه .

(٢٥) نقد الدراهم من باب نصر : أخرج منها الزيف أو نظرها ليعرف جيدها وزيفها . والقوافى : جمع قافية وهى من آخر البيت إلى أول حرف متحرك قبل ساكن بينهما والمراد بالقوافى هنا الأبيات . والشحيح : البخيل الحريص .

(٢٦) يريد بحرّ الكلام جيده ، وعز : كرم من عز الشىء إذا قل فلا يكاد يوجد لكرمه وجودته ، أو من قولهم عز فلان علىّ إذا كرم وعظم قدره . يقول إننا جمعنا لهذا الشعر من الكلام خيره وأجوده وأكرمه فجاءت المعانى مطيعة له منقادة ملائمة .

(٢٧) حشد : جمع ، وبابه ضرب ونصر . وأشهى : اسم تفضيل من شهيه كرضيه وشهاه كدعاه أى اشتهاه وأحبه ورغب فيه . ومساغة : مصدر ميمى من ساغ الشراب من باب قال إذا سهل مدخله فى الحلق . والورود مصدر ورد البعير وغيره الماء إذا بلغه ووافاه .

وَبَعَثْنَا الْخَيَالَ سِحْرًا مِنَ السِّحْـــــرِ وَنَهْجًا مِنَ الْبَيَانِ سَدِيدًا(٢٨)

طَارَ فِي الْجَوِّ مَا يَمَلُّ زَفِيفًا وَطَوَى الْأَرْضَ مَا يَمَلُّ وَخِيدًا(٢٩)

رِقَّةٌ لَوْ جَرَتْ بِسَمْعِ الْغَوَانِي أَوَّلَ الدَّهْرِ مَا عَرَفْنَ الصُّدُودَا(٣٠)

قَدْ رَآهُ مُثَقَّفُ الْحِسِّ وَحْيًا وَرَآهُ مَنْ لَا يُحِسُّ قَصِيدَا(٣١)

سَارَ يَحْثُو التُّرَابَ فِي وَجْهِ بَشَّا رٍ وَيَطْوِي ابْنَ هَانِئٍ وَالْوَلِيدَا(٣٢)

---

(٢٨) النهج : الطريق الواضح . والبيان : الفصاحة والاسن . وسديد : صفة من السداد وهو الصواب والقصد والاستقامة . شبه خياله الشعرى بالسحر لأنه يستميل القلوب ويروع الانسان ويجذبه إلى حد يكاد يشغله عن غيره ، ثم جعله فى الشطر الثانى طريقاً واضحاً مستقيما وأسلوباً جيداً صائباً من أساليب اللسن والفصاحة .

(٢٩) الزفيف : مصدر زف الطائر يزف بكسر الزاى زفا وزفيفاً إذا بسط جناحيه وأسرع فى طيرانه . وطى الأرض : كناية عن السير فيها . والوخيد : نوع من سير الابل وهو الاسراع أو أن يرمى البعير بقوائمه كمشى النعام أو سعة الخطو . وصف خياله بالانتشار والسرعة والاتساع والروعة والجمال .

(٣٠) الغوانى : جمع غانية وهى المرأة التى غنيت بحسنها وجمالها عن الزينة . والصدود : الاعراض والهجران . يقول إن بهذا الشعر رقة لو جرت بسمع الغانيات منذ أول الزمن ما عرفن الهجر ولا الاعراض ، والمعنى أن رقة هذا الشعر تجذب قلوب الغوانى ، وهن لو سمعنه أول الدهر لكان تأثيره فيهن شديداً بحيث يعودهن الوصال والاقبال على عشاقهن فلا يعرفن إعراضاً ولا صدوداً

(٣١) الوحى : الالهام . والقصيد : جمع قصيدة ، أو القصيد من الشعر ما تم شطر أبياته ، وليس إلا ثلاثة أبيات فصاعداً أو ستة عشر فصاعداً . والمعنى أن هذا الشعر قد بلغ من الجودة والجمال منزلة رفيعة بحيث يراه مثقف الحس دقيق الشعور كلاماً شبيهاً بالوحى والالهام .

(٣٢) يحثو التراب : يقبضه بيده ثم يرميه ، وهذا كناية عن الازدراء والتحقير . وبشار بن برد من الشعراء المخضرمين فى الدولتين الأموية والعباسية ، كان نابغة زمانه فى الفصاحة والشعر ، وهو أول من جمع فى شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ومهد طريق الاختراع والبديع للمتفننين وقد مات مقتولا سنة ١٦٧ هـ بعد أن نيف على التسعين . وابن هانئ هو أبو نواس الشاعر المبدع وقد أجاد فى كل فنون الشعر ، وبرع فى المجون والغزل ووصف الخمر ومجالسها ، مات سنة ١٩٦ هـ والوليد هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى البحترى من أشهر شعراء الدولة العباسية وأحد الذين سارت بذكرهم الركبان وخلد شعرهم الزمان . ولد سنة ٢٠٦ هـ بناحية « منبج » بين حلب ونهر الفرات ولازم وهو فتى أبا تمام الشاعر المشهور وعليه تخرج واقتبس طريقته فى البديع من غير إفراط ، ثم اتصل بالخليفة العباسى جعفر المتوكل على الله ووزيره الفتح بن خاقان ومدحهما وأقام فى خدمتهما إلى أن قتلا فرجع إلى « منبج » وبقى يختلف أحيانا إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤ هـ .

كلما قَامَ مُنْشِدُ الْقَوْمِ يَتْلُو ... هُ تَمَنَّى مُتَابِعٌ أَنْ يُعِيدا(٣٣)
إِنَّ يَوْمَ الْفَارُوقِ يَوْمٌ عَلَى الدهْـــرِ فَرِيدٌ، فَهَاتِ قَوْلًا فَرِيدا(٣٤)
وَتَخَيَّرْ مِنْ سِحْرِ « مَنْفِيسَ » سِرًّا ... كَتَمَتْهُ الْكُهَّانُ عَهْدًا عَهِيدًا(٣٥)
وَصُغِ الشَّمْسَ فِي الْأَصَائِلِ تَاجاً ... وَانْسُجِ الرَّوْضَ فِي الرَّبِيعِ بُرُودَا(٣٦)
إِنَّ « فَارُوقَ » فِي الْمُلُوكِ وَحِيدٌ ... فَلْتَكُنْ أَنْتَ فِي الْبَيَانِ وَحِيدا(٣٧)

---

(٣٣) المنشد : اسم فاعل من أنشد الشعر إذا قرأه رافعاً به صوته . ويتلوه : يقرؤه أى هـذا الشعر .

(٣٤) المعنى أن يوم زفاف الفاروق من الأيام الفريدة المتميزة بالبهاء والجلال والرواء فلا يناسبه من الشعر إلا ما كان فريداً مثله ممتازاً بالغاً غاية الجودة والبلاغة والجمال .

(٣٥) « منفيس » مدينة قديمة أنشأها الملك « مينا » أول الفراعنة الذين جلسوا على عرش مصر قبل ميـلاد المسيح بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، وكانت حاضرة البلاد المصرية فى ذلك العهد ومقر الملك وموطن السحر والعظمة والبهاء والجلال وموقعها الآن البدرشين ومنية رهينة وعلى مقربة منها أهرام سقارة ودهشور وفى شماليها الغربى أهرام الجيزة المشهورة . وبقيت منف رفيعة القدر عالية الشأن بعيدة الصيت إلى أن انقرضت الدولة المصرية القديمة بانقراض الأسرة الثامنة حوالى سنة ٢١٦٠ ق . م ، والكهان : جمع كاهن اسم فاعل من كهن له كمنع ونصر وكرم كهانة بالفتح أى قضى له بالغيب ، والمراد بالكهان الزعماء الدينيون . والعهد : الزمان ، وعهيداً : قديما عتيقاً . أشار الشاعر فى هذا البيت إلى شىء من مجد الفراعنة وعظمتهم ، وأشاد بمنفيس حاضرة ملكهم ، وطلب إلى الشعر أن يختار من سحر هذه المدينة العظيمة سراً من الأسرار التى كتمها كهنتها زمانا طويلا ، والمراد أن يكون الشعر ساحراً فاتناً جذاباً شديد التأثير فى النفوس شبيهاً بما اشتهر عن الفراعنة وكهانهم من السحر القوى التأثير .

(٣٦) صاغ الصائغ الذهب ونحوه من باب قال : جعله حليا . والأصائل : جمع أصيل وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب وفيه تميل الشمس إلى المغرب وتخف حرارتها ويكون لونها أشبه بلون الذهب . والروض : جمع روضة وهى الموضع المعجب بنباته وأشجاره وأزهاره ، والرياض فى فصل الربيع يكثر فيها الزهر وتبلغ غاية النضارة والبهاء . والبرود : جمع برد وهو ثوب مخطط .

(٣٧) يقول إن جلالة الملك « فاروق » متميز من سائر الملوك منفرد بكثير من صفات النبل والعظمة فلتكن يا شعر مثله ممتازاً فى البيان فريداً فى البلاغة رفيع القدر عظيم الشأن .

٭
٭ ٭

بَحَثَ الْمَجْدُ فِي الْعُصُورِ فَلَمْ يَلْـــقَ لَهُ بَيْنَ دَفَّتَيْهَا نَدِيدَا(٣٨)
مَلِكٌ فَضْـــلُهُ تَرَاهُ قَرِيباً وَمَدَى رَأْيِهِ تَرَاهُ بَعِيـدَا(٣٩)
خَدَمَتْهُ الْأَقْدَارُ حَتَّى تَمَنَّتْ لَوْ مَشَتْ حَوْلَ سُدَّتَيْهِ جُنُودَا(٤٠)
وَتَمَنَّى اخْضِرَارُ كُلِّ نَبَاتٍ لَوْ غَدَا فِي سَمَاءِ مِصْرَ بُنُودَا(٤١)
هِمَّـــةٌ تَمْتَطِي السَمَاءَ وَعَزْمٌ يَرْهَبُ الدَهْرُ سَيْـفَهُ مَغْمُودَا(٤٢)
وَثَبَاتٌ يُدْمِي جَبِـــينَ اللَّيَالِي وَيَفُتُّ الصَخْرَ الْأَصَمَّ الصَلُودَا(٤٣)
مَكْرُمَاتٌ سَارَتْ بِكُلِّ مَسَارٍ مَثَلاً يَسْبِقُ الرِيَاحَ شَرُودَا(٤٤)

---

(٣٨) المجد : الكرم والعز والشرف . ودفة الشيء : جنبه أو صفحته . والنديد : المثل والنظير .

(٣٩) المدى : الغاية . والرأي : العقل والتدبير والبصيرة والحذق بالأمور .

(٤٠) الأقدار : جمع قدر وهو القضاء الذي يقدره الله تعالى . والسدة : باب الدار ، أو فناء البيت ، والمراد به هنا بيت الملك ، والتثنية هنا على معنى الجمع .

(٤١) البنود : جمع بند وهو العلم الكبير ، فارسي معرب . يقول إن النبات تمنى أن يشارك الناس في تحية الملوك والاحتفاء بزفافه بأن يصير في سماء مصر أعلاماً خافقة ، وهو بهذا يشير إلى خضرة الأعلام المصرية التي تشبه خضرة النبات .

(٤٢) الهمة : العزم القوي . وتمتطي : تركب ، امتطى الدابة : اتخذها مطية وركوبة له . والعزم : الارادة القاطعة القوية . ويرهب : يخاف . يقول إن همة المليك رفيعة تعلو السماء ، وعزمه شديد يخاف الدهر سيفه وهو محجوب في غمده .

(٤٣) الجبين : جانب الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ ، أو من الحاجب مصعداً إلى قصاص الشعر ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها . ويفت : يكسر ، وبابه رد . والأصم : الصلب المصمت . والصلود : الصلب الأملس ، والمعنى أن ثبات المليك أقوى من الزمان وأصلب من الصخر الصلد الأصم .

(٤٤) المكرمات : جمع مكرمة وهي اسم من الكرم ، وفعل الخير مكرمة أي سبب إلى الكرم أو التكريم . والمسار : طريق السير . وشرود : صفة من الشرود مصدر شرد البعير ونحوه من باب دخل أي نفر وند . يقول إن مكرمات المليك قد عمت وانتشرت وسارت في كل طريق كالمثل السائر الطليق الذي يسبق الرياح .

*
* *

يا لِوَاءَ الْبِـــلادِ أَيُّ لِوَاءٍ لا يُفَدِّى لِوَاءَكَ الْمَعْقُودَا ؟(٤٥)

صانَهُ اللهُ فِى يَدَيْكَ فَخُذْهُ وَتَقَدَّمْ بِهِ قَوِيًّا جَلِيـدا(٤٦)

وَجَدَ النَّصْرُ فِى ذَرَاهُ مَقِيلاً فَأَبَى أَنْ يَرِيمَ أَوْ أَنْ يَحِيدا(٤٧)

وَرَأَتْ مِصْرُ فِيهِ عِزًّا مَنِيعاً وَمَثَاباً رَحْباً وَرُكْناً شَدِيدا(٤٨)

أَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ بَنَوْا فارِعَ الْمَجْـــدِ فَأَمْسَى بِمِصْرَ صَرْحًا مَشِيدا(٤٩)

عَرَفَ السَّيْفُ أَنَّهُمْ جُنْدُهُ الْبُسْـــلُ إِذَا صَافَحَ الْحَدِيدُ الْحَدِيدا(٥٠)

أَسْعَدُوا شَعْبَهُمْ فَكَانُوا سَحَاباً وَحَمَوْا عَرْشَهُمْ فَكَانُوا أُسُودا(٥١)

---

(٤٥) اللواء العلم . وفداه تفدية : قال له جعلت فداك والمراد بالمعقود هنا الوثيق المتين القوى أو المرفوع . شبه المليك فى أول البيت باللواء لأنه رمز مجدها وعظمتها وعنوان شرفها وقوتها ومظهر وجودها وعزها يحرص الناس عليه كل الحرص ويجعلون أنفسهم وكل ما يملكون فداء له ثم قال مستفهما متحديا : أى لواء فى الدنيا لا يفدى لواءك الرفيع ؟

(٤٦) صانه : حفظه أى اللواء . وجليداً : قويا شديداً صبوراً .

(٤٧) الذرى : الكنف والستر وكل ما استذريت به ، يقال أنا فى ظل فلان وفى ذراه أى فى كنفه وستره ودفئه . والمقيل : اسم مكان من قال من باب باع أى نام فى الظهيرة ، والمراد بالمقيل هنا المستقر والمكان الذى يجد فيه الانسان راحته وطمأنينته . ويريم : يبرح ويتحول . ويحيد : يميل و يعدل وينصرف .

(٤٨) منيعاً : قوياً عزيزاً مكيناً . والمثاب : مجتمع الناس بعد تفرقهم ، أو هو المرجع اسم مكان من ثاب من باب قال بمعنى رجع . والركن : الجانب الأقوى ، وما يقوّى به من ملك وجند وغيره ، والعز والمنعة .

(٤٩) الفارع : الرفيع العالى . والصرح : القصر وكل بناء عال . ومشيداً : مطلياً بالشيد وهو ما طلى به حائط من جص ونحوه .

(٥٠) البسل : جمع باسل وهو الشجاع . والشطر الثانى كناية عن المجالدة والقتال . وصف المليك ومعشره بالبسالة والشجاعة وأنهم أقدر الناس على المجالدة بالسيوف إذا استعرت الحرب والتحم المقاتلون .

(٥١) حماه : دفع عنه ومنعه وصانه .

وَمَضَوْا لِلْعُلاَ سِرَاعاً وَخَلَّوْا أَنْجُمَ اللَّيْلِ جَاثِمَاتٍ هُجُودا(٥٢)
مَلَكُوا مِقْوَدَ اللَّيَالِي صِعَاباً وَلَوَوْا هَامَةَ الزَّمَانِ عَنِيدا(٥٣)

*
* *

يَوْمَ «فارُوقَ» دُمْ عَلَى صَفْحَةِ الدَّهْـــرِ حَفِيلاً بِالْبُشْرَيَاتِ مَجِيدا(٥٤)
لَبِسَتْ فِيكَ مِصْرُ أَزْهَى حُلاَهَا ورَأَتْ فِيكَ يَوْمَهَا الْمَشْهُودا(٥٥)
عَبْدُهَا الدَّهْرُ وَاللَّيَالِي إِمَاءٌ وَالأَمَانِي تُرِيدُهَا أَنْ تُرِيدا(٥٦)
فِي ظِلالِ الْمَلِيكِ عَزَّتْ وَطَالَتْ واسْتَعَادَتْ فِرْدَوْسَهَا الْمَفْقُودا(٥٧)
وَغَدَتْ حَلْقَةً مِنَ الْمَجْدِ حَتَّى قَدْ ظَنَنَّا الطَّرِيفَ مِنْهُ تَلِيدَا(٥٨)

---

(٥٢) خلوا : تركوا . وجاثمات : جمع جاثمة اسم فاعل من جثم الطائر ونحوه إذا تلبد بالأرض . وهجوداً : نائمات .

(٥٣) المقود : الحبل تقاد به الدابة . وصعاباً : جمع صعبة ، وهى حال من الليالى . ولوى رأسه : أماله . والهامة : الرأس . وعنيداً : حال من الزمان وهى صفة من العناد بمعنى الخلاف والعصيان ، ولىّ هامة الزمان العنيد كناية عن إذلاله والتغلب عليه . والمعنى أنهم استولوا على الدهر وذللوا صعابه وحموا الناس من حدثانه ودفعوا عنهم نوازله وأجروا الأيام بأسهم على ما يحبون .

(٥٤) حفيلا : ممتلئاً .

(٥٥) أزهى : أحسن وأنضر . والحلى بضم الحاء وكسرها جمع حلية وهى الزينة وما تتحلى به النساء من المصوغات .

(٥٦) الاماء : جمع أمة . والأمانى جمع أمنية وهى ما يتمناه الانسان ويريده . ومعنى الشطر الثانى أن الأمانى تتبع إرادة مصر وتجرى على مشيئتها وذلك بفضل الفاروق الذى أعز الله به هذه البلاد وأسعدها .

(٥٧) عزت : قويت وعظم شأنها . وطالت : ارتفع قدرها وعلت مكانتها ، وأراد بالفردوس ما كان لمصر من حرية وعز ومنعة ومجد ، وأصل الفردوس : البستان يجمع كل ما يكون فى البساتين .

(٥٨) الطريف : الجديد المستحدث . والتليد : القديم . يقول إن مصر فى هذه الأيام السعيدة قد اتصل قديم مجدها بحديثه حتى تشابه الأمر وصارت حلقة من العز والشرف لا يدرى أين طرفاها .

أَقْبَلَتْ نَحْوَ سُدَّةِ الْمَلِكِ الْمَا لِي وُفُودًا تَتْلُو إِلَيْهِ وفُودا(٥٩)
مَلَئُوا سَاحَةَ الْإِمَامَةِ حَتَّى خَافَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمُ أَنْ تَمِيدا(٦٠)
وَاسْتَحَثُّوا الْخُطَا فَكَانُوا بُرُوقًا وَعَلاَ صَوْتُهُمْ فَكَانُوا رُعُودا(٦١)
وَالسُّرُورُ السُّرُورُ يَلْعَبُ بِالشَّعْـ ـبِ كَمَا هَزَّتِ النَّسَائِمُ عُودا(٦٢)
ضَحَكَاتٌ تَهْفُو إِلَى ضَحَكَاتٍ وَوُعُودٌ بِالصَّفْوِ تَلْقَى وُعُودَا(٦٣)
كُلُّهُمْ يَجْأَرُونَ بِالْعِزِّ لِلْفَا رُوقِ وَالْعَيْشِ نَاضِرًا وَرَغِيدا(٦٤)
كَبَّرُوا حِينَمَا رَأَوْكَ مُطِلاًّ وَأَبَحُّوا أَصْوَاتَهُمْ تَحْمِيدا(٦٥)
أَبْصَرُوا طَلْعَةً إِذَا مَا تَبَدَّتْ خَرَّتِ الشَّمْسُ وَالنُّجُومُ سُجُودا(٦٦)
وَرَأَوْا سَيِّدًا يُضِيءُ شَبَابًا بَاسِمًا كَالْمُنَى، وَيَهْتَزُّ جُودا(٦٧)

---

(٥٩) السدة : باب الدار أو فناؤها .

(٦٠) الساحة : الفضاء المتسع أمام الدار . وتميد : تتحرك وتهتز .

(٦١) استحثوا الخطا : أسرعوا . يقول إنهم أسرعوا إلى سدة المليك فكانوا كالبروق ، وعلت أصواتهم بتحية الملك والملكة والدعاء لهما فكانت كالرعود . صور فى هذا البيت والبيتين قبله ازدحام الناس واحتشادهم فى ساحة قصر عابدين وقصر القبة وما كان من مرحهم وفرحهم وهتافهم .

(٦٢) النسائم : جمع نسيم وهى الريح الطيبة أو نفس الريح .

(٦٣) ضحكات : جمع ضحكة اسم مرة من الضحك . وتهفو ، تذهب وتسرع .

(٦٤) يجأرون : يرفعون أصواتهم بالدعاء ويتضرعون . والعيش : المعيشة والحياة . وناضراً : حسناً غضاً . ورغيداً : ليناً ناعماً سهلا .

(٦٥) أبحوا أصواتهم : أصابوها بالبحة وهى خشونة وغلظ فى الصوت .

(٦٦) الطلعة : الوجه . وتبدت : ظهرت . وخر ساجداً : سقط . وسجوداً جمع ساجد .

(٦٧) المنى : جمع منية وهى ما يريده الانسان ويتمناه ويهواه . مدح المليك فى هذا البيت بالسيادة ونضرة الشباب واشراقه وبسماته الحلوة العذبة الجميلة التى تشبه الأمانى الحسان والآمال المشرقة ، ثم قال إنه أريحي يهتز للسخاء والجود ويطرب للندى والمعروف .

قَدْ غَرَسْتَ الْوَلَاءَ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَتَفَيَّأْ فِي ظِلِّهِ مَمْدُودَا(٦٨)

*
* *

إِنَّ عَرْشًا أَسَاسُهُ مُهَجُ الشَّعْـبِ خَلِيقٌ بِأَنْ يَكُونَ وَطِيدَا(٦٩)
فَانْظُرِ الشَّعْبَ لَا تَرَى غَيْرَ قَلْبٍ نَابِضٍ يَحْفَظُ الْوَلَاءَ الْأَكِيدَا(٧٠)
مَا رَأَتْ مِصْرُ مُنْذُ أَيَّامِ عَمْرٍو مِثْلَ أَيَّامِكَ الْحِسَانِ عُهُودَا(٧١)
قَدْ نَثَرْنَا لَكَ الْوُرُودَ قُلُوبًا وَنَثَرْنَا لَكَ الْقُلُوبَ وُرُودَا(٧٢)
وَحَفِظْنَا لَكَ الْوِدَادَ نَضِيرًا وَأَذَعْنَا لَكَ الثَّنَاءَ نَضِيدَا(٧٣)

*
* *

---

(٦٨) الولاء : الحب . وتفيأ بالشجرة : استظل بها ، وتفيأ في الظل : جلس فيه أو سار أو قام . يقول إن المليك قد غرس بالعدل والبر والاحسان حبه في قلوب الناس جميعاً فهو جدير أن يتفيأ في ظل ظليل ممدود من هذا الحب المكين العظيم .

(٦٩) المهج : جمع مهجة وهي دم القلب أو النفس والروح . ووطيد : ثابت مستقر مكين . يقول إن عرش الفاروق وملكه يقوم على قلوب الشعب ، تفديه نفوسهم ، وتحوطه محبتهم وإخلاصهم ، وهو لهذا جدير بأن يكون ثابتاً قوياً مكينا .

(٧٠) يقول إنك إذا نظرت إلى الشعب لم تر غير قلوب نابضة بحبك وأفئدة تحفظ لك الود القوى الصادق .

(٧١) عمرو بن العاص أحد دهاة العرب وساستهم وقوادهم الذين سارت بذكرهم الركبان ، وخلد مجدهم الزمان ، وقد فتح مصر باذن من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) ثم كان والياً عليها من قبله فأقام فيها ميزان العدل ونشر في ربوعها الأمن والطمأنينة والرخاء . والعهود : جمع عهد وهو الزمان . يقول إن مصر لم تر منذ أيام عمرو عهوداً مثل عهدك الزاهر المشرق السعيد .

(٧٢) المعنى أننا قد نثرنا لك وروداً هي رمز لقلوبنا ومحبتنا ، ونثرنا في طريقك قلوبنا كما تنثر الورود .

(٧٣) الوداد بتثليث الواو المودة والحب . ونضيراً : حسناً بهياً . وأذعنا : نشرنا وأفشينا ونضيداً : كثيراً منظوماً يتبع بعضه بعضاً ، وأصلها من نضد متاعه إذا وضع بعضه على بعض .

مَوْكِبٌ يَبْهَرُ الشُّمُوسَ وَمَجْدٌ حَمْلَقَ الدَّهْرُ مُذْ رَآهُ سُمُودا (٧٤)

لَمْ يُشاهِدْ سِوَاهُ بَعْدَ ابْنِ دَا وُدَ سَنًا مُشْرِقًا وَمُلْكا عَتِيدا (٧٥)

وَمَلِيكاً يَرْعَى الْإِلَهَ وَيَخْشَا هُ وَيُعْلِي الْإِيمَانَ والتَوْحِيدا (٧٦)

أكْمَلَ الدِينَ بِالزَّوَاجِ فَأَسْدَى مَثَلاً ـ لَوْدَرَى الشَّبَابُ ـ رَشِيدا (٧٧)

فَرَحٌ شَامِلٌ بِهِ بَلَغَتْ مِصْـــرُ مُنَاهَا وَحَظَّهَا الْمَنْشُودَا (٧٨)

كلُّ بَيْتٍ بِهِ غِنَاءٌ وَشَــدْوٌ عَلَّمَ الطَيْرَ ـ إنْشَدَتْ ـ أنْ تُجِيدا (٧٩)

تَتَمَنَّى الْأَغْصَانُ لَوْ رَقَصَتْ فِيـــهِ مَكَانَ الْحِسَانِ هِيفاً وَغِيدا (٨٠)

---

(٧٤) الموكب فى الأصل : القوم الركوب على الابل للزينة وجماعة الفرسان . ويبهر الشموس يغلبها ويفوقها بحسنه وعظمته وبهائه واشراقه . والمجد العز والشرف والكرم . وحملق : فتح عينيه ونظر نظراً شديداً ، وسموداً : حيرة وولهاً ، مصدر سمد من باب دخل أى قام متحيراً وهو هنا مفعول لأجله .

(٧٥) لم يشاهد أى الدهر فى البيت قبله .

وابن داود هو سيدنا سليمان عليهما السلام ، وقد أشاد القرآن بجلال ملكه وعظمته فى سورة ص وغيرها « قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رُخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامْنن أو أمسك بغير حساب » ٣٥ — ٣٩ سورة « ص »

والسنا : الضوء . والعتيد : العظيم .

(٧٦) يرعى الاله : يعرفه ويراقبه ولا يفتأ خاشعاً له .

(٧٧) أسدى إليه معروفاً . اتخذه عنده . ورشيد : صفة من الرشاد وهو الهدى والصواب . والمعنى أنه بزواجه المبكر قد أكمل دينه ، ووثق ورعه وعفافه ، ووهب للشبان من ذلك مثلا صائبا رشيداً مستقيما ، وحملهم على محاكاته فيما يصون دينهم ويجمل دنياهم .

(٧٨) المنى : جمع منية وهى ما يهواه الانسان ويتمناه ويقدر حصوله . والمنشود : المطلوب ، وهو اسم مفعول من نشد الضالة إذا طلبها وعرّفها .

(٧٩) الشدو : الغناء ، وهو مصدر شدا الشعر إذا غنى به وترنم .

(٨٠) فيه أى فى هذا الفرح أو فى هذا البيت لأن الفرح والعرس فى كل بيت . وهيف : جمع هيفاء وهى المرأة الضامرة البطن والخاصرة . وغيد : جمع غيداء وهى المرأة الناعمة المتثنية لينا ، صفة من غيد كفرح أى مالت عنقه ولانت أعطافه .

وَتَوَدُّ النُّجُومُ لَوْ كُنَّ فِيهِ بَدَلاً مِنْ سَنَا الشُّمُوعِ وَقُودا(٨١)

✲ ✲ ✲

يَا لَيَالِي الْفَارُوقِ كُونِي لِمَوْلَا كِ رِفَاءً وَلِلْبِلادِ سُعُودا(٨٢)
لَمَعَتْ فِي عُلاَكِ دُرَّةُ خِدْرٍ كَرُمَتْ نَشْأَةً وَطَابَتْ جُدُودَا(٨٣)
بَلَغَتْ قِمَّةَ الْجَلَالِ فَأَمْسَى كُلُّ مَجْدٍ لِمَجْدِهَا مَرْدُودا(٨٤)
مِنْ مِهَادِ النُّبْلِ السَنِيِّ أَضَاءَتْ فَعَلَتْ كَوْكَبًا وعَزَّتْ مُهُودا(٨٥)
وَزَهَتْ فِي مَقَاصِرِ الْمُلْكِ زَهْرَا ءَ فَزَانَتْ مَقَامَهُ الْمَحْمُودا(٨٦)

✲ ✲ ✲

يَا مَلِيكَ الْبِلَادِ فَاهْنَأْ بِمَا نِلْـتَ سَعِيدًا جَمَّ الثَّنَاءِ حَمِيدا(٨٧)
قَدْ أَشَدْنَا بِفَضْلِكَ الْوَافِرِ الْجَمِّ إِذَا اسْطَاعَ شَاعِرٌ أَنْ يُشِيدَا(٨٨)

---

(٨١) تود : تتمنى وتحب . والسنا : الضوء ، والوقود بضم الواو وفتحها . اتقاد النار والمراد ضوءها .

(٨٢) مولاك : صاحبك وسيدك . والرفاء : الوفاق والالتئام وجمع الشمل .

(٨٣) الدرة : اللؤلؤة العظيمة شبه بها الشاعر الملكة « فريدة » . والخدر : الستر ، ويطلق الخدر على البيت . الخطاب فى هذا البيت لليالى الفاروق فى البيت السابق ، يقول إنه قد لمعت وتلألأت فى علاها درة مخدرة ولؤلؤة مكنونة كرمت نشأتها وطابت أصولها .

(٨٤) يقول إنها قد بلغت غاية العظمة وذروة الجلال حتى صارت أصلا لكل مجد، ينتهى إلى عزها كل عز ، ويرتد إلى شرفها كل شرف .

(٨٥) المهاد : البساط والفراش والمراد الأصل والمعدن ، والنبل : الذكاء والنجابة والفضل ، وفعله ككرم . والسنى : الرفيع العالى . والمهود : جمع مهد .

(٨٦) زهت : جملت وحسنت وأشرقت ، أو هو من الزهو بمعنى التيه والفخر . والمقاصر : جمع مقصورة وهى الحجرة . وزهراء : حسناء بيضاء نضيرة .

(٨٧) جم : كثير .

(٨٨) أشدنا بفضلك : رفعنا أصواتنا بالثناء عليك . والوافر : الكثير التام . والجم : الكثير . ويقول إذا استطاع شاعر أن يرفع صوته بالثناء على فضل المليك فقد أشدنا بفضله الكثير التام .

أجْهَدَ الشِعْرَ أَنْ يَرَى عَزَماتٍ   يَعْجِزُ الْوَصْفُ دُونَها وَجُهُودا[٨٩]
وَمَعَانِيكَ لَا تُحَـــدُّ فَمَاذَا   يَعْمَلُ الشِعْرُ قاصِرًا مَحْدُودا؟[٩٠]
وَإِذَا مَا الْبَيَانُ عَقَّ لَبِيدًا   فِى الْمَقَامِ الْمَهِيبِ فَاعْذِرْ لَبِيدا[٩١]
عِشْ وَحِيدَ الْجَلَالِ وَالْمَجْدِ وَاسْعَدْ   أَمَلُ الْمَجْدِ أَنْ تَعِيشَ سَعِيدا[٩٢]
وَابْقَ لِلدِّينِ مَوْئِلاً وَعِمَادًا   وَابْقَ لِلشَّرْقِ سَيِّدًا وَعَمِيدا[٩٣]

---

(٨٩) أجهده : بلغ منه الجهد والمشقة ، يقال أجهد دابته إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها ، والمصدر المؤول من أن والمضارع فاعل أجهد . والعزمات : جمع عزمة وهى الارادة النافذة القوية . وجهوداً معطوف على عزمات وهى جمع جهد بمعنى الوسع والطاقة والقدرة .

(٩٠) يقول إن معانى المليك وصفاته وفضائله غير محدودة والشعر قاصر عاجز محدود، وهو لذلك لا يستطيع الاحاطة بعظمة المليك وجلاله ، كما لا يستطيع تصوير فضله وإحسانه .

(٩١) البيان : الفصاحة واللسن والبلاغة . وعق : عصى . ولبيد هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى كان فى الجاهلية سيداً شاعراً مجيداً ، وفارساً حكيماً شريفاً ، وهو من بنى عامر بن صعصعة إحدى بطون هوازن من مضر ، وأمه عبسية ، وهو من أصحاب المعلقات ، وقد عمر حتى ظهر الاسلام فأسلم وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر ، شاعر كلمة لبيد : توفى سنة ٤١ هـ شبه الشاعر به نفسه فقال إن هذا مقام جليل مهيب يعذر فيه الشاعر العظيم إذا عقه البيان .

(٩٢) الجلال : العظمة . والمجد : العز والشرف والكرم . والخطاب لجلالة الملك « فاروق » والأمر للدعاء .

(٩٣) موئلا : ملجأ . والعماد : الأبنية الرفيعة واحدتها عمادة والعميد : السيد والرئيس .

تهنئة الفاروق بعيد الفطر

سنة ١٣٥٧ — ١٩٣٨

تَبَلَّجَ بالبُشْرَى وَلاحَتْ مَوَاكِبُهْ ... ورَفَّتْ بِأَنْفَاسِ النَّسِيمِ سَبَائِبُهْ (١)
أَطَلَّ صَبَاحُ الْعِيدِ جَذْلانَ ضَاحِكاً ... يُمَازِحُ وَسْنَانَ الدُّجَى وَيُلَاعِبُه (٢)
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلُ فى صَحْوةِ الْمُنَى ... وَقَدْ سَهِرَتْ شَوْقاً إِلَيْهَا كَوَاكِبُه؟ (٣)
تُنَاجِيهِ أَلْحَانُ الهَوَى فَيُجِيبُهَا ... وَتَسْتُرُ لَوْعَاتِ المحبِّ غَيَاهِبُه (٤)
تَرَدَّى مُسُوحَ النُّسْكِ فى زِىِّ راهبٍ ... وَطَارَتْ تَسُدُّ الخَافِقَيْنِ ذَوَائِبه (٥)

---

(١) تبلج : أضاء وأشرق والضمير يعود إلى الصباح الذى سيأتى ذكره . ولاحت : ظهرت وبدت . والسبائب : الأعلام ؛ الواحدة : سبيبة . ورفت : خفقت واهتزت .

(٢) جذلان : فرحا . والوسنان : الذى غشيته سنة النوم . والدجى : ظلام الليل . وصف الليل بالنوم لركود الحركة فيه ، فكان فى ذلك هو والنائم سواء . وقد جعل ظهور ضوء الصباح فى الظلام كاشراق وجه الضاحك المازح وانفراج شفتيه عن بريق ثناياه .

يصف فى هذا البيت والذى قبله صباح العيد وقد بدا مشرقاً وضّاء حافلا بمواكب الوفود تحمل تهانيها إلى المليك ، وقد خفقت أعلامه وتبسم ليله عن صباح متلألىء وضاح .

(٣) صحوة المنى : انتعاشه وتحققه وسهدت أرقت وجفاها النوم . يعجب كيف ينام الليل فى يقظة الآمال ، مع أن كواكبه باتت أرقة مسهدة لانتظارها ، شأن الواله المشوق والعاشق المترقب .

(٤) تناجيه : تسارّه وتجاذبه الحديث . وغياهبه : ظلماته وحنادسه . وفى هذا البيت إشارة إلى ما يتلقاه الليل من مناجاة المحبين بتكرار قولهم «يا ليل» عند الغناء ، وإلى ستره لهم بظلامه .

(٥) تردى : لبس . ومسوح النسك : ما يظهر فيه الزهاد من لباس أسود . والخافقين : المغرب والمشرق . وذوائبه : أطرافه ؛ ويريد ألسنة الظلام . يصف الليل فى ظلامه بالناسك فى لباسه الأسود ، وقد طارت مع الهواء ذوائبه فانتشرت حوله .

وَأَعْجَبَه أَنْ دَارَتِ الْأَرْضُ تَحْتَــه ... كَدَوْرِ شَرِيطٍ ما تَنَاهَى عجائبُه(٦)

إِذَا أَبْصَرَ الإِحْسَانَ فيها تلألأتْ ... أَسَارِيرُه واهْتَزَّ بالعُجْبِ جَانِبُه(٧)

يَمُوجُ فَيَمْلُو البَرَّ والبَحْرَ مَوْجُه ... وتَمْلِكُ أَرْجَاءَ الفَضَاءِ مَذَاهِبُه(٨)

عَلَيْهِ النُّجُومُ السَّابِحَاتُ سَفَائِنٌ ... يُغَالِبُهَـــا أَذِيُّه وتُغَالِبُـــه(٩)

سَفَائِنُ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا الدَّهْرُ ساحِلاً ... وسَفْرٌ عَلَى الأَيَّامِ مَا مَلَّ دَائِبُه(١٠)

رَآهُ سَلِيلُ الطِّينِ يَجْتَابُ لَيْلَه ... فَهَلْ هَدَأَتْ دُونَ المَسِيرِ جَوَائِبُه؟(١١)

تَلَقَّاه فَجْرُ العِيدِ فى عُنْفُوَانِه ... تَصُولُ بِشُهْبِ الصَّافِنَاتِ كَتَائِبُه(١٢)

تَأَلَّق كَالحَقِّ المُبِينِ إِذَا بَدَا ... تَوَلَّى ظَلاَمُ الشَّكِّ وارْتَاعَ شَاحِبُه(١٣)

---

(٦) ما تناهى : ما تتناهى . يذكر دورة الأرض وأن الليل يطل عليها كأنه يشاهد شريط خيالة لا تنتهى عجائبه .

(٧) أسارير الوجه : ما يبدو كالخطوط فيه من ثنايا وتجعدات . وتلألؤ الأسارير : كناية عن البشر ؛ وهو فى الليل كناية عن إشراقه بالنور والضوء .

(٨) مذاهبه : طرقه . يشبه طغيان الظلام على الأرض ، برها وبحرها ، بالبحر يعلو موجه فيعم البلاد ويغطيها .

(٩) الأذى : الموج . جعل النجوم فى هذا البحر اللجى من الظلام سفائن يدافعها موجه ليطغى عليها فتدافعه لتظهر .

(١٠) السفر : المسافرون ؛ الواحد سافر . والدائب : المستمر فيما أخذ فيه .

(١١) سليل الطين : آدم لأنه خلق من الطين . ويجتاب : يقطع . يذكر فى هذا البيت والذى قبله حركة النجوم فى أفلاكها وأنها حركة دائمة دائبة منذ كان العالم إلى اليوم ، لا ملل معها ولا توقف .

(١٢) فى عنفوانه : فى اكتماله ورائع نوره . وتصول : تسطو وتعدو . والشهب : جمع أشهب ، وهو الذى فيه بياض يصدعه سواد . والصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف الرابعة ، ولا يكون ذلك إلا فى الجياد العتاق . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجيش . ويريد بالكتائب : جيوش الضوء ، وبشهب الصافنات : الأشعة للونها وسرعة جريها .

(١٣) تألق : أضاء وأشرق . وشاحبه : لونه الناصل ، جعل ظلام الليل أمام ضوء صباح العيد كالشك والباطل أمام نور الحق ، كلاهما إلى زوال وامحاء .

وللصُّبْحِ عِنْدِى مِنَّةٌ كُلَّمَا نَبَا ... بِى اللَّيْلُ أَوْ طَالَتْ علىّ هَيَادِبُه(١٤)
أَرَاهُ فأَلْقَى البِشْرَ فِى قَسَمَاتِهِ ... طَهُوراً كَثَغْرِ الطِّفْلِ حين تُدَاعِبُه(١٥)
وأَشْعُرُ أَنّ الْكَوْنَ عَادَتْ حَيَاتُه ... إليهِ وَأَنّ الأُنْسَ قَدْ آبَ غَائِبُه(١٦)
يَهَشُّ إليـــه كُلُّ حَيٍّ كَأَنَّمَا ... أَشَمَّتْه حُلْمُ الصِّبَا وَرَغَائِبه(١٧)
وتَصْحُو لَه الأَزْهَارُ مِنْ وسَنَاتِهَا ... تُضَاحِكه وَالطَّلُّ لَم يَجْرِ ذَائِبُه(١٨)
وتَسْتَقْبِل الأَطْيَارُ بَسْمَةَ نُوره ... فَيَبْهَرُنا مِنْ كُلِّ لَحْنٍ غَرَائِبُه(١٩)
تَرَاهَا على الأَفْنَانِ سَكْرَى من السَّنا ... يُنَاغِى أَلِيفٌ إِلْفَه فَيُجَاوِبُه(٢٠)
قِيَانٌ أَدَقَّ اللهُ أَوْتَارَ عُودِهَا ... فأَحْيَتْ أَغَانِيه وَأَشْجَتْ مَضَارِبه(٢١)

---

(١٤) نبابى الليل: أى نبا جنبي عن الليل كأنه فراش خشن ، فاستوحشت وضجرت . وهيادبه : سحائب ظلماته .

(١٥) يريد « بالبشر » : ضوء الصباح . والقسمات : ملامح الوجه . وطهوراً : أى لا يدنسه شيء . جعل ضوء صباح العيد كبسمة الطفل صفاء ، فهى لا تصدر إلا عن براءة وطهر ، وليس معها ما يشوبها من أغراض الرجال التى تختفى وراء بسماتهم .

(١٦) آب : رجع . يقول : كأن الليل وما يعاوه من كآبة الظلام ووحشته مكان رحل عنه الأنس ، وكأن النهار وما معه من ضوء وطلاقة عودته ورجوعه .

(١٧) يهش : يخف إليه فرحاً مسروراً . وجعله كحلم الصبا لذة ونشوة .

(١٨) تصحو : تتفتح . وسناتها : سباتها . يشبه حالى الزهر فى تقبضه وتفتحه بحالى الانسان فى نومه وصحوه ؛ كما جعل انفراج ورقات الأزهار فى تفتحها ضحكا ، لأن كليهما يكشف عما وراءه ، وذائب الطل : ما سال منه أمام ضوء النهار .

(١٩) يبهرنا : يحيرنا من شدة الاعجاب به . يصف تغريد الأطيار مع نور الصباح بكل غريب مليح من الألحان .

(٢٠) الأفنان : جمع فنن ، وهو الغصن . والسنا : الضوء . ويناغى : ينادى ويدعو . جعل الأطيار فى خفتها متنقلة بين الأفنان مغردة ، كمن به خمار ، ولكنه خمار الضوء وحرارته التى تسرى إلى الأنفس فتنعشها .

(٢١) القيان : الجوارى المغنيات ؛ شبه الطير بها . وأشجت : أثارت الشجو وحركت الشوق . وأغانيه : أى أغانى العود . يصف فى هذا البيت والأبيات الستة قبله الصبح وما معه من تفريج للكرب وحياة وانتعاش يلذ بها الأحياء ، وتتفتح لها الأزهار ، وتغرد الأطيار .

كأنّ ضِياءَ الصُّبْحِ والكَوْنُ مُشْرِقٌ　　سَنَا طَلْعَةِ الفَارُوقِ لاحَتْ رَكَائِبُهْ (٢٢)

أَطَلّ هِلاَلُ العِيدِ يَحْظَى بِنَظْرَةٍ　　فَأَبْصرَ نوراً يَبْهَرُ النُّورَ ثاقِبُهْ (٢٣)

وشاهَدَ فى طُهْرِ المَلائِكِ سَيِّداً　　سَمَتْ فَوْقَ أَفْلاَكِ السَّماءِ مَناسِبُهْ (٢٤)

تَراه فَتَلْقَى أُمَّةً فى شَبابِهــــا　　وتُصْغِى إلى الآمَالِ حِينَ تُخَاطِبُهْ (٢٥)

أَصَالَةُ رَأْيٍ فى ابْتِسَامِ سَمَاحَةٍ　　وصَوْلَةُ عَزْمٍ يُرْهِبُ الدَّهْرَ قاطِبُهْ (٢٦)

تَأَثَّرَ خَطْوَ الْحَزْمِ فى كُلِّ مَطْلَبٍ　　وهَلْ يَعْظُمُ المَطْلُوبُ والحَزْمُ طَالِبُهْ؟ (٢٧)

مَلِيكٌ من الأَفْلاَذِ أَعْوَادُ عَرْشِهِ　　فَمَنْ ذَا يُدَانِيه ومَنْ ذَا يُقَارِبُهْ؟ (٢٨)

مَحَبَّتُه فى كُلِّ قَلْبٍ شَغَافُهُ　　وإِحْسَانُه فى كُلِّ كَفٍّ رَوَاجِبُهْ (٢٩)

---

(٢٢) سنا الطلعة : ما يرى لها من إشراق وتألق . ولاحت : ظهرت . وركائبه : مواكبه . يصف فى هذا البيت والأبيات الستة قبله الصبح وما معه من تفريج للكرب وحياة وانتعاش يلذ بها الأحياء وتتفتح لها الأزهار ، وتغرد الأطيار .

(٢٣) يحظى : يتمتع . وثاقبه : نوره الذى يبذ كل نور .

(٣٤) الملائك : الملائكة . وسمت : علت وارتفعت . ومناسبه : أى أنسابه وأصوله . يذكر طيب عنصره الكريم .

(٢٥) جعله رمزاً للامة فى مكتمل قوتها . ومعقداً للآمال ومناطا للرجاء .

(٢٦) أصالة الرأى : جودته . وصولة العزم : سطوته وقوته . والقاطب : العابس عن غضب وشدة . والقاطب : الأسد (أيضا) . والكلام على كلا المعنيين مستقيم ؛ فعلى الأول جعل عزمه العابس يخيف الدهر . وعلى الثانى جعل من عزمه أسداً يخشى الدهر بطشه .

(٢٧) تأثر : احتذى وترسم ، جعله فيما اتصف به من حزم لا يعز عليه طلب ولا يستعصى مراد .

(٢٨) الأفلاذ : قطع الأكباد . يقول : إنه مليك يقوم عرشه على فلذات الأكباد ، ففى القلوب محله ؛ وبالنفوس يحاط ، وبالمهج يفدى ، وبعيد أن يسمو إلى مرتبته غيره أو يقرب منها .

(٢٩) شغاف القلب (هنا) : سويداؤه . والرواجب : بواطن مفاصل الأصابع ، وقيل غير ذلك ، الواحدة راجبة . جعل حبه فى صميم القلوب ، وإحسانه متصلا بالأيدي ، لا ترى يد إلا وفيها آثاره ومكارمه .

حَوَت رِيشَةُ الرَّسَّامِ بَعْضَ سِمَاتِهِ   وعَزَّتْ عَلَى رِيشِ القَرِيضِ مَنَاقِبُهْ (٣٠)
لِكُلِّ خَيالٍ فِى فَمِ الشِّعرِ غَايَةٌ   ولا تَنْتَهِى غَايَاتُه ومآرِبُه (٣١)
صِفِ البَحْرَ فِى أمواجِهِ وكُنُوزِه   وقُلْ هَـذِه آلاؤُه ومَوَاهِبُه (٣٢)
صِفِ الهِمَمَ الجُرْدَ التى تقنِصُ المُنَى   وقُلْ هَـذِه أَفْرَاسُه ونَجَائِبُه (٣٣)
صِفِ الأَنْجُمَ الزُّهْرَ اللَّوامِعَ فى الدُّجَى   وقُلْ هَـذِه أَقْدَارُه ومَرَاتِبُه (٣٤)
صِفِ السُّحْبَ أَيْنَ السُّحْبُ من فَيْضِ جُودِه   إذا وَكَفَتْ للبائِسِين سَحَائِبُه ؟ (٣٥)
تَمَنَّتْ زُهُورُ الرَّوْضِ لو أنَّ طِيبَهَا   له نَفْحَةُ الذِّكْرِ الذى هُو كَاسِبُه (٣٦)

---

(٣٠) حوت : ألمت وجمعت . والسمات : الصفات . وريش القريض : أقلامه . والمناقب : الخلال الطيبة ؛ الواحدة : منقبة .

(٣١) مآربه : مراميه . يقول فى هذا البيت والذى قبله : هان على المصور أن يبرز لنا بعض محاسنه الخلقية : ولكن عز على القريض أن يصور مناقبه ، وذلك لأن لكل خيال فى الشعر غاية ينتهى الشاعر إليها ، أما صفات الفاروق فلا تنتهى ، فالشعر منها مكدود متعب يعيا دون الالمام بها والوقوف عليها .

(٣٢) كنوز البحر : ما ينطوى عليه من جوهر كريم ومنافع للناس . والآلاء : النعم . يقول إذا عجز الشعر عن تحديد خلال الفاروق الكريمة فليسلك طريق الاجمال وليقل إن مواهبه هى البحر فى عظمه وكنوزه .

(٣٣) الجرد : من صفات الخيل ، وهى القصيرة الشعر ، وهو مما تمدح به . جعل الهمم كالخيل الجرد سرعة وخفة . وتقنص المنى : تظفر بها وتلحقها . والنجائب : كرام النوق ؛ الواحدة : نجيبة . والافراس والنجائب ، عدة الانسان فى بلوغ الغايات . يصف قوة سبقه وواسع وثباته .

(٣٤) الزهر : الناصعة البياض . والدجى : الظلام . والأقدار والمراتب : المنازل والدرجات جعل محله مع النجوم رفعة وتقديساً وطهراً .

(٣٥) فيض جوده : عميم كرمه . ووكفت : أمطرت . جعل جوده على المعوزين فوق ماء السحاب كثرة وعموما .

(٣٦) نفحة الذكر : سيرته الطيبة التى تملأ الأرجاء . وكاسبه : المتصف به . أى إن الأزهار تتمنى لو كان لها مثل نفحة سيرته العطرة .

فمـــا كَرَمٌ إلَّا ومِنْه انْبِعاثُهُ ولا شَرَفٌ إلَّا وفاروقُ صاحِبُه(٣٧)

إذَا اصطَنَع اللهُ امْرأً جَلّ سَعْيُهُ وعَمَّتْ أيَادِيهِ وطَابَتْ نقَائِبُه(٣٨)

به ازْدَادَ دِينُ اللهِ عزًّا ورَدَّدَتْ مَنَابِرُه آلاءه ومَحَــــارِبُه(٣٩)

وَقُورٌ بدَرْسِ الدِّينِ يُطْرِق خاشِعاً من النُّسْكِ يَرْجُو رَبَّه ويُرَاقِبُه(٤٠)

بجـانِبِه الشَّعبُ الوَفِىُّ يَحُوطُه وتَزْحَمُه أعْضـادُه ومَنَاكِبُه(٤١)

وجِبْرِيلُ يهْفُــو فَوْقَه بجَنَاحِه حَنَانًا، وفَيْضُ اللهِ يَنْهَلُّ سَاكِبُه(٤٢)

تَجَلَّى به عَصْرُ الرَّشِيدِ وعِزُّه وسالِفُ عَهْدِ الرَّاشِدِين وذَاهِبُه(٤٣)

---

(٣٧) انبعاثه : أى أنه منبعث عنه وصادر منه . جعله أصلا للكرم والشرف ، فما من كرم إلا وإليه مرجعه ، ولا شرف إلا وهو مقتبس منه .

(٣٨) اصطنعه : تولاه برعايته وحاطه بعنايته . وجل : عظم . وعمت : انتشرت ، والأيادى : النعم . والنقائب : الخلال الطيبة ؛ الواحدة : نقيبة . وطيبها : حسنها وبلوغها غاية الكمال . يقول : إن الفاروق لم يبلغ ما بلغ إلا لأن الله اجتباه واختاره . وكذلك شأن من يختصه الله تسمو مقاصده وتعم أياديه وتطيب خلاله .

(٣٩) رددت : رجعت وكررت . والمحارب : جمع محراب ، وهو مقام الامام فى المسجد . يذكر الدعاء له على المنابر وفى المساجد .

(٤٠) وقور : متصف بالرزانة والثبات . ويرجو : يخاف . ويراقب : يخشى . يصف وقاره وخشوعه فى مجالس الدروس الدينية .

(٤١) يحوطه : يحرسه ويقيه . يصف التفاف الشعب الوفى به وازدحامه حوله .

(٤٢) جبريل : من الملائكة . ويهفو بجناحه : يخفق ويرفرف . وخفقه فوقه : دليل على حياطته ورعايته . وفيض الله : ما يفيض به هذا المجلس من جلال وروعة . وساكبه : هاطله ومنهمره . يصف ما اتصف به هذا المجلس وما شمله الله به وزانه .

(٤٣) تجلى : وضح وبان ، والرشيد : هو هارون الرشيد أحد الخلفاء العباسيين . وكان عهده من أزهى عهود الدولة حضارة ومدنية . والراشدون : الخلفاء الأربعة وقد بلغ الدين فى عهدهم غايته . وفى الجمع بين هذين العهدين عهد الرشيد وعهد الخلفاء ، دليل على أن عهد الفاروق جامع لأسباب رفاهية الدين والدنيا .

إذا الشَّعْبُ وَالَاه فَذلِك فَرْضُهُ … وإنْ هُوَ فَدَّاه فَذَلِكَ واجِبُه(٤٤)

* * *

شَهِدْتُك يَوْمَ العِيدِ والشَّعْبُ حاشِدٌ … تَهِيمُ بِهِ أَشْـوَاقُه وتُجاذِبُه(٤٥)

له صَوْتُ صِدْقٍ بالدُّعَاءِ مُجَلْجِل … يُفَتِّحُ أبوابَ السَّمَوات صاخِبُه(٤٦)

فَعيْن اشْتِياقٍ تَرْتَجِي لُقْيَةَ المُنَى … وصَدْرُ وَلَاءٍ خافِق القَلْبِ واجِبُه(٤٧)

رأيتُ كَأَنَّ البَحْـــرَ مُدَّ بِمِثْلِهِ … وقَدْ زَأَرَتْ أمْوَاجُهُ وغَوارِبُه(٤٨)

هُنَاكَ بَدَا العِيدَانِ: وَجْهُكَ والضُّحَى … مَشَارِقُه وضَّـــاءَةٌ ومَغَارِبُه(٤٩)

طَلَعْتَ فَأَبْصَرْنَا الْجَلَالَ مُصَوَّرًا … نَرَاه فيُغْضِى طَرْفُنَا وَهُو هَائِبُه(٥٠)

لَكَ البَسْمَةُ الزَّهْرَاءُ تَخْتَلِبُ النُّهَى … ويُمْحَى بِهَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ شَوَائِبُه(٥١)

طَلَعْتَ فقُلْنَا: خَيْرُ مَنْ سَاسَ أُمَّةً … وأَشْرَفُ مَنْ شُدَّتْ عَليه عَصَائِبُه(٥٢)

---

(٤٤) والاه: أخلص له الولاء ودان له. وفرضه: واجبه. وفداه: جعل نفسه فداء له.

(٤٥) حاشد: مزدحم. وتهيم به أشواقه: تحركه وتدهشه.

(٤٦) صوت صدق: صادر عن قلوب مخلصة لا رياء فيه. ومجلجل شديد قوى. وصاخبه: عالية ومرتفعة. يصف أصوات الشعب بالدعاء له، وأنها كانت تشق أجواز الفضاء وتصل إلى عنان السماء.

(٤٧) المنى: جعل رؤيته أمنية لعيون مشوقة إليه. والولاء: الطاعة والاخلاص. أى إن الناس بين مشوق العين إلى رؤيته، وممتلىء القلب بحبه يسعى للقائه.

(٤٨) بمثله: أي ببحر مثله. يشبه الناس فى ازدحامهم وجلبتهم بالبحر الزاخر المضطرب.

(٤٩) يقول حينما رآك الناس رأوا عيدين: العيد الأول هو وجهك المشرق والعيد الثانى هو ضحى عيد الفطر.

(٥٠) يغضى: يكسر الطرف حياء. وهائبه: فى خشية منه. جعل العيون لفرط جلاله لا تستطيع أن تتجه إليه.

(٥١) الزهراء: المشرقة إشراق النجوم. وتختلب النهى: تستلب العقول. وشوائب الهم: ما يشوب النفس ويعكر صفوها. جعل بسمة الممدوح تمتلك الأفئدة وتجلو الهموم.

(٥٢) ساس أمة: ملك قيادها وحرك دفة أمورها. والعصائب: جمع عصابة، وهى ما يشد على الرأس. ويريد بها تاج الملك. جعله خير الساسة وأشرف الملوك.

لَدى مَوْكِبِ المُلْكِ عَزَّ مِثَالُه ... تُحِيطُ به فُرْسَانُه وكَواكِبُه(٥٣)

يُشاهِدُه التَّارِيخُ والعُجْبُ مِلْؤُه ... فَيَذْهَلُ عَنْ حَصْرِ الذِي هُو كاتِبُه(٥٤)

فَمَنْ شَاء مَجْدَ المُلْكِ في بُعْدِ شَأْوِه ... فَهذِي عَوالِيهِ وتِلْكَ قَوَاضِبه(٥٥)

وَهَذا الذَّكَاءُ العَبْقَرِيُّ مَلِيكُه ... وهَذِي الجُنُودُ الزَّاخِرَاتُ مَواكِبُه(٥٦)

مَلِيكٌ له عَـــزْمُ الصِّبَا ووُثُوبُه ... وآرَاءُ ما بَعْدَ الصِّبَا وتَجارِبُه(٥٧)

* * *

تَخَطَّر شَهْرُ الصَّوْمِ يَسْحَب ثَوْبَه ... فتَنْشُرُ مِسْكًا في الفَضَاءِ مَسَاحِبُه(٥٨)

تَحَمَّل للفَارُوقِ أَجْـــرَ مُجَاهِدٍ ... يَتِيه به إنْ حَاوَلَ العَدَّ حاسِبُه(٥٩)

وعَادَ إلى مَوْلَاه جَمًّـــا ثَوابُه ... مَلِيئًا مِنَ الإحْسَانِ بُجْرًا حَقَائِبُه(٦٠)

---

(٥٣) عز : امتنع . والكواكب : جماعات الفرسان . مفردها كوكبة .

(٥٤) يشاهده : أي الموكب . والحصر : العد . يصف في هذا البيت والذي قبله جلال موكب المليك بين فرسانه وكواكبه ، وكيف أن التاريخ على إحاطته بالأخبار واتساعه لها يذهل معجبا فلا يقوى على حصر ما لهذا الموكب من صفات جلت وعظمت .

(٥٥) الشأو : الغاية والمدى . العوالى : الرماح . والقواضب : السيوف .

(٥٦ العبقري : الكامل التام . والزاخرات : التي تملأ وجه الأرض وتغطيه .

(٥٧) عزم الصبا : أي عزم فتيّ قوى . وآراء ما بعد الصبا : أي آراء المتقدمين في السن الذين عركهم الدهر وحنكتهم التجارب .
جعل المليك مثلا عاليا في جلال الملك وقوته ، وفيما اتصف به من ذكاء عبقري وعزم فتى ورأى قوى .

(٥٨) تخطر : مشى في اختيال وتيه . ومساحب الثوب : ما ينجر منه على الأرض . ولا يكون ذلك إلا عن عجب وخيلاء .

(٥٩) يتيه : يدل .

(٦٠) جما ثوابه : كثيراً ثوابه . وبجراً حقائبه : منتفخة من كثرة ما فيها من الثواب .

تحدَّثتَ في المذياع عن فضل صومه ... وكم مثلٍ عالي الذرا أنت ضاربُه (٦١)

* * *

هنيئاً لك العيدُ الذي بك أشرقت ... منازلُه بشراً، وضاءت رحائبُه (٦٢)

رأتْ فيه مصرٌ همةً علويةً ... يرى كلُّ بأسٍ عزمَها فيجانبُه (٦٣)

وأبصر فيه النيلُ خيرَ مُملَّكٍ ... تجلُّ مساعيه، وتصفو مشاربُه (٦٤)

بصيرٌ إذا ساس الأمور تكشَّفت ... وبان له من كلِّ أمرٍ عواقبُه (٦٥)

يُزاولها منه حصيفٌ مُدرَّبٌ ... بعيدُ المرامي صادقُ الرأي صائبُه (٦٦)

إذا مدَّ زندَ العزمِ في إثر مطلبٍ ... تدانت أقاصيه، ولانت مصاعبُه (٦٧)

---

(٦١) الذرا : جمع ذروة ، وهي من كل شيء أعلاه . يذكر في هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله فخر شهر الصيام بالمليك وما أولاه من أياد عزّ بها وتاه وعادت بها إليه مكانته الأولى بين المسلمين ، ويشير إلى حديث المليك في المذياع عن فضل الصيام وحث المسلمين على التمسك به .

(٦٢) رحائبه : مناحيه الفسيحة الواسعة . يهنئه بالعيد ذاكراً بشره الذي فاض فخر الديار ، ونوره الذي أضاء به كل مكان .

(٦٣) علوية : نسبة إلى جده رأس الأسرة المالكية في مصر «محمد على باشا» . والبأس: القوة والشدة . ويجانبه يباعده . يذكر همة المليك التي تجلت فصغرت بجانبها كل همة وأصبحت إليها شيئاً لا يؤبه له .

(٦٤) تجل : تعظم . وتصفو مشاربه : تطيب موارده وتحلو ؛ وفي هذا إشارة إلى كثرة المنتفعين بأياديه ، لأن الورد إذا طاب كثر وراده .

(٦٥) أي إنه عليم بعواقب الأمور يدرك بثاقب بصره مغبة كل أمر قبل الاقدام عليه ، فهو لهذا لا يصدر إلا عن سداد وصواب .

(٦٦) يزاولها : أي الأمور ، ومنه ، أي المليك ، جرد منه شخصاً وصفه بالحصافة والدربة وصدق الرأي . والحصيف : الذي استحكم عقله . والمدرب : ذو الخبرة بالأمور . وبعيد المرامي : بعيد النظر . وصائبه : أي لا يخطىء مواقع الأمور .

(٦٧) يريد بزند العزم : ذراعه القوي الفتي ، والمقصود همته التي لا تنثني أمام المطالب . وتدانت : قربت . وأقاصيه : ما بعد وعزّ . ولانت : هانت وسهلت .

نَعِمْنا بالاسْتِقْلاَلِ فى يُمْنِ عَهْدِه ... وَأَسْفَرَ لَيْلٌ لم يَنَمْ فيه ناصِبُه (٦٨)

وَعزَّ حِمَى مِصْرٍ بجُهْدِ رجَالِها ... وعادَ لهَا من لامِعِ المَجْد عَازِبُه (٦٩)

فعِشْ للهُدَى والمَكْرُمَاتِ فإنَّما ... سَجَايَاكَ آياتُ الهُدَى وجَوالِبُه (٧٠)

---

(٦٨) يمن عهده : عهده المبارك . وأسفر : أضاء وانكشف . والناصب : المضنى المتعب . ويريد بهذا الليل : أيام جهاد مصر ، وما لقيت فيها من نصب وتعب .

(٦٩) الحمى : ما يجب عليك حمايته . وعازبة : ما بعد عليها قديما وامتنع .

(٧٠) سجاياك : طباعك وخلالك . وجوالبه : تجلبه وتأتى به لما بينها وبين الهدى من صلة وما فيها من حب المكرمات .

تحية الشعر للأميرة

أرادت مدرسة الأميرة فوزية الثانوية للبنات سنة ١٩٣٣ م أن تتوج أول جزء من أجزاء مجلتها بتقديمه إلى حضرة صاحبة السموّ الملكى الأميرة فوزية ، فصدّرته بهذه القصيدة .

حَيِّ الخِلالَ الطاهِراتِ واصدَحْ بخيرِ الآنساتِ (١)
حَيِّ الأميرةَ فى جلا لِ الملكِ ، باهرةَ الصفاتِ (٢)
(فوزيةً) بنتَ المُلو كِ الصِّيدِ والغُرِّ السَّراة (٣)
الواهبين لمصرَ فيما أجزلوا نورَ الحياة (٤)
والناشرين لواءها يَخْتالُ بينَ الخافقات (٥)
والنازعين تراثَها من بينِ أطْواءِ الرُّفات (٦)
قامتْ بهم مصرٌ تَتِيهُ على البلادِ الأُخْرَيات (٧)

---

(١) الخلال : الخصال ، الواحدة : خلة (بالفتح) . واصدح ، أى ردد اسمها مشيداً بذكرها .

(٢) جلال الملك : عظمته وأبهته . وباهرة الصفات : أى إن صفاتها تفوق غيرها حسنا وتفضلها .

(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو المزهو فى عزّ وعظمة . والغر : السادة الشرفاء ، الواحد : أغر . والسراة : الأجواد الكرماء ، الواحد : سرى . وسراة ، من الجموع النادرة .

(٤) أجزلوا : أوسعوا فى العطاء وأكثروا .

(٥) اللواء : العلم . ويريد بنشر لواء مصر : تمكين سلطانها وإعزاز شأنها . ويختال : يعجب والخافقات : الأعلام ، يريد أعلام الدول الأخرى ، أو الخافقات الرياح الأربع .

(٦) النازعون : المستخلصون . والتراث : ما خلفه الأوائل . والأطواء : الثنايا . والرفات : ما تحطم وبلى . يصف ملوك الأسرة العلوية بأنهم بعثوا مجد مصر بعد موته .

(٧) تتيه : تفخر .

في حاضرٍ كالروضِ زا ... هٍ بالقُطوفِ الدانياتِ(٨)
وجَـلائلٍ قد زَيَّنتْ ... جِيدَ العُصورِ الخَاليات(٩)
يا دُرّةَ التّاجِ الرفيـعِ ... وقِبْلةَ المُتعلِّمات(١٠)
هـذِي مجلّتُنـا إليـكِ، ... وكلُّ فضْلٍ منكِ آت(١١)
جُهْدُ الفتـاةِ، فشجِّعي ... بقَبُولِها جُهْدَ الفتـاة(١٢)
(فاروقُ) زينُ النـاشئـينَ ... وأنتِ زيْنُ الناشئات(١٣)
والشمْسُ إحـدَى النيّرا ... تِ وأنتِ أسمَى النيِّرات(١٤)
اللهُ جمَّـعَ فيكِ ... شَمْـلَ النُّبْلِ من بَعْدِ الشَّتات(١٥)
خُلُقٌ كما خَطَـرَ النَّسـيمُ ... فَهزّ أعطافَ النَّبات(١٦)
أنقَى من الدُّرِّ الفَر ... يدِ يَزِينُ صدرَ الحاليات(١٧)

---

(٨) القطوف : ما يقطف من الثمار ؛ الواحد : قطف (بالكسر) . ودانية : قريبة ، أى إن خيرات مصر كثيرة لا تعز على طالب .

(٩) جلائل ، أى أعمال عظيمة . والجيد : العنق والخاليات : الماضية .

(١٠) يا درة التاج ، جعلها كالدرة تزين تاج الملك . وقبلة المتعلمات ، أى قصدهن الذى يتجهن إليه .

(١١) وكل فضل منك آت : أى ما فيها من فضل فهو إليك ومناك .

(١٢) هذا هو الجهد الأول للفتاة المصرية فشجعيه بالقبول يقوى ويثمر .

(١٣) فاروق : ولى العهد إذ ذاك .

(١٤) النيرات : الكواكب المضيئة .

(١٥) الشمل : ما تفرق . أى أن الله جمع النبل كله لك بعد أن كان متفرقا .

(١٦) خطر : مرّ . والأعطاف : الجوانب ، الواحد عطف . جعل رقة أخلاقها كرقة النسيم .

(١٧) أنقى : أصفى . والفريد : المنفرد بالحسن ، أو هو الدر إذا نظم وفصل بغيره . الحاليات المتجملات بالحلى .

وشمـــــائلُ عَـــلَوِيَّةٌ أصْفَى من الماءِ الفُراتِ[١٨]
الطالبـــاتُ — كما ترَيْنَ — وأنتِ ذُخْرُ الطالباتِ[١٩]
يَبْعَثْنَ آياتِ الولا ءِ إلى الأميرةِ مُخْلِصاتِ[٢٠]
ويطُفْنَ بالبيتِ الكريمِ مُكَبِّراتٍ داعياتِ[٢١]
بيتٌ بنـــاهُ محمّدٌ فوقَ النجومِ السابحاتِ[٢٢]
لَبِنَاتُهُ المجـــدُ العريقُ وصخْرُه خُلُقُ الثَّباتِ[٢٣]
فيـــه فؤادٌ باعثُ الْآمالِ فياضُ الصِّلاتِ[٢٤]
الدهرُ يَرْوِي فضـــلَه والدهرُ راويةُ الرُّواةِ[٢٥]
والملكُ مُؤْتلِقُ السَّنَـــا فيـه العشيَّـةُ كالغَداةِ[٢٦]
عاش المليـكُ وعِشْتُمُ رَمْزَ العُـلاَ والمَكْرُماتِ[٢٧]

---

(١٨) الشمائل : الطباع ؛ الواحدة : شمال (بالكسر) . والفرات : المفرط فى العذوبة .

(١٩) ذخر الطالبات ، أى أنت عدتهن على الدهر ، ومرجعهن عند الحاجة .

(٢٠) آيات الولاء : مظاهر الاخلاص ودلائل الوفاء .

(٢١) يطفن : يدرن . جعل بيت الملك كالكعبة يطوف الناس حوله داعين مهللين .

(٢٢) النجوم السابحات : التى تدور فى أفلاكها . محمد : أى محمد على باشا رأس الأسرة المالكة ، يريد رفعة البيت المالك وعزة مكانته .

(٢٣) اللبنات : ما يضرب من الطين للبناء ؛ الواحدة : لبنة . يريد أن هذا البيت قد أسس على المجد القديم والأخلاق القوية المكينة .

(٢٤) فياض الصلات ، أى كثير العطاء واسع الجود .

(٢٥) يقول : إن فضله أصبح حديث الزمان ، والزمان أصدق محدث .

(٢٦) مؤتلق : متألق متلألئ . والسنا : الضوء . « فيه العشية ... الخ » أى إنك لا ترى فيه ظلمة أبداً فلياليه كأيامه بيض مشرقات .

(٢٧) رمز العلا : عنوان مجد البلاد ، ومصدر نعمتها .

فؤاد نصير العلم

شرّف جلالة المغفور له الملك فؤاد الأول الجامعة المصرية فى احتفال علمى رائع فى سنة ١٩٣٢ ، فأنشأ الشاعر هذه القصيدة يحيى فيها المليك ، ويذكر أياديه على العلم والعلماء .

دَعوتُ بَيَانِى أن يَفيضَ فَأَسْعدا وَنادَيْتُ شِعرى أن يُجيبَ فغَرَّدا (١)

وأبْدعْتُ نَظْماً كالرَّبيع مفوَّفاً يُجَمِّلُ عَصْرًا كالشَّبابِ مُجدَّدا (٢)

وما الشِّعرُ إلاّ تَرْجُمانٌ مُخَلَّدٌ يَقُصُّ على الأجْيالِ مَجدًا مُخَلَّدا (٣)

فَلَولا السَّجَايا الغُرُّ ما قال قَائلٌ ولولا «فؤادٌ» ما غَدَا النِّيلُ مُنْشِدَا (٤)

---

(١) البيان : الافصاح . أسعد : أعان وأسعف . غرد الطائر : رفع صوته وطرّب به . يقول الشاعر : إنه استلهم بيانه فى هذا الموقف المهيب ودعاه أن يسعفه فلبى الدعاء ، واستنهض شعره أن يبدع فى الاشارة بصفات الممدوح فأبدع ، وكان له من الحسن وجمال الايقاع ما يشبه تغريد الطيور .

(٢) مفوفا : برد مفوف كمعظم رقيق ، أو فيه خطوط بيض . يقول : فى هذه الفرصة الميمونة جادت قريحتى بنظم رقيق معلم بجودته وروعته ، يتحلى به جيد عصركم عصر النهضة الحاضرة ، إذ هو يفوق غيره من الشعر كما يفوق الربيع بقية الأزمان .

(٣) الترجمان : الناقل عن لسان آخر . المعنى أن الشعر أصدق محدث يروى للاجيال المحامد والمفاخر فيمنحها البقاء والخلود على الدهر . الجيل : الصنف من الناس .

(٤) السجايا : جمع سجية وهى الخلق . الغر : جمع غراء أى بيضاء . يقول: إن الخلال الحميدة هى التى تلهم الشعراء ما يقولون ، ولولاها ما تغنى شاعر بممدوح ، ومن أمثلة ذلك الملك العظيم فؤاد فلولاه ما تغنت مصر بصفاته الكريمة وأعماله الخالدة حتى لكأن النيل فى خريرة ينشد مدائحه فيه . وفى البيت حسن تخلص غاية فى الجودة والانسجام .

فَسَلْسَالهُ أَضْحَى بِنُعْمَاهُ كَوْثَرًا ... وقِيعانُه أمستْ بِسَنْماه عَسْجَدا (٥)

مَليكٌ حَبَتْه مِصرُ مَحْضَ وَلائِها ... صَمِيماً، وأَوْلَى مِصرَ عِزًّا وسُودَدا (٦)

أصالَةُ عَزْمٍ أَخْجَلَتْ كلَّ صَارِمٍ ... مِنَ البيضِ، حتّى خافَ أنْ يتَجَرَّدا (٧)

وَرَأْيٌ كَوَجْهِ الصُّبْحِ ما ذَرَّ نُورُه ... على مُدْلَهِمِّ الخَطْبِ حتَّى تَبَدَّدا (٨)

ووَجْهٌ كأَنوارِ اليَقينِ رَأَيْتُه ... فأَبْصَرْتُ فيه المجْدَ والنُّبْلَ والنَّدَى (٩)

أَلَمْ يُعْلِ صَرْحَ العِلْمِ شُمًّا قِبابُه ... تُطَاوِلُهَا زُهْرُ الكواكِبِ حُسَّدا؟ (١٠)

فَمِنْ مَعْهَدٍ يُبْنَى على إثْرِ مَعْهَدٍ ... إلى أنْ غَدَتْ أرضُ الكِنانةِ مَعْهَدا! (١١)

زُهِينَا على الدُّنْيا بجَامِعَةٍ غَدَت ... حَدِيثاً بأُذْنِ الشَّرْقِ حُلْوًا مُرَدَّدا (١٢)

---

(٥) السلسال : الماء العذب . النعمى : اليد البيضاء الصالحة . الكوثر : نهر فى الجنة يتفجر منه جميع أنهارها . القيعان : جمع قاع وهو الأرض المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . العسجد : الذهب .

(٦) حبته : حبا فلانا أعطاه بلا جزاء ولا مَن . الولاء : الحب المحض . والصميم : الخالص . أولى : منح وأعطى . العز : القوة والمنعة . السودد : السيادة .

(٧) الاصالة : الثبات والرسوخ . العزم : الارادة . الصارم : السيف القاطع . المعنى أن للممدوح إرادة ذات مضاء يتضاءل دونه مضاء السيوف البواتر حتى لكأنها تخشى أن تغادر أغمادها خجلا وإشفاقاً أمام مضاء فوق مضائها .

(٨) الرأى : صدق النظر فى الأمور . ذر : طلع وأشرق . الخطب : الأمر . المدلهم : الشديد الظلمة . يقول : إن رأيه الثاقب لينير السبيل إلى حميد الغايات ويبدد ظلمات الأمور المشكلة ويحل المسائل المعقدة .

(٩) اليقين : إزاحة الشك . المجد : الرفعة . النبل : النجابة . الندى : الكرم .

(١٠) الصرح : البناء العالى . شما : جمع شماء أى مرتفعة . زهر : جمع أزهر وهو المتلألئ .

(١١) غدت : صارت . الكنانة : وعاء السهام وجعبتها والمراد بها هنا مصر . المعهد : المنزل ، والمراد به دار العلم والتهذيب .

(١٢) زهى كعنى : تاه وفخر . أى إننا لنتيه على الزمان بهذه الجامعة التى ذاع ذكرها فى الآفاق .

تَرُدُّ الشَّبَابَ الغَضَّ حَزْماً وَحِكْمَةً وتَصْقُلُه صَقْلَ القُيُونِ المُهَنَّدا (١٣)

تُزَوِّدُهُ التَّوفِيقَ في كلِّ مَطْلَبٍ وَمَنْ طَلَبَ العِلْمَ الجَلِيلَ تَزَوَّدا (١٤)

غَدَتْ دَوْحَةً فَيْنَانَةً حُلْوَةَ الجَنَى بَعِيدَةَ مَدِّ الظِّلِّ فَيَّاحَةَ المَدَى (١٥)

غَرَسْتَ وهذا فضلُ ما قد غَرَسْتَه وهذا هوَ الغُصْنُ الذى كانَ أُمْلُدا (١٦)

تَعَهَّدْتَه كالزَّارِعِ الطَّبِّ نَوْمُه غِرَارٌ إلى أن يُبْصِرَ الزَّرْعَ أَحْصَدا (١٧)

بِكَفٍّ من الإحْسانِ وَالرِّفْقِ صُوِّرَتْ وعَيْنٍ تَرَى فى يَوْمِها ما تَرَى غَدَا (١٨)

كذاكَ ابنُ اسماعيلَ يَنْتَهِبُ المُنَى دِرَاكاً، ويَمْضِى للْمَحَامِدِ مُصْعِدَا (١٩)

وَيُدْرِكُ ما يُعْيِي الجَحَافِلَ وَحْدَهُ وَيَبْلُغُ شَأْوًا يُعْجِزُ الجَمْعَ مُفْرَدا (٢٠)

---

(١٣) ترد : تصير . الغض : الناضر . الحزم : ضبط الأمور والأخذ فيها بالثقة . الحكمة : العلم بحقائق الأشياء . تصقله : تجلوه . القيون : جمع قين وهو الحداد وصانع السيوف . المهند : السيف المشحوذ . المعنى هذه الجامعة ستخلق للأمة من شبابها رجالا جمّلهم العلم وكمّلهم حسن تصريف الأمور .

(١٤) تزوده : تعطيه الزاد . يقول : إن الجامعة ستسلحهم بكل ما من شأنه أن يضمن لهم النجاح والفلاح فى ميادين الحياة ، وهكذا من يطلب العلوم النافعة يحرص على أن يكون له منها الذخيرة والعدة .

(١٥) الدوحة : الشجرة العظيمة . الفينانة : الكثيرة الغصون . الجنى : ما يجنى من الثمر . الفياحة : الواسعة . المدى : الغاية . أى إن الجامعة بكلياتها المتعددة المختلفة أصبحت كالشجرة العظيمة الكثيرة الأفنان الوارفة الظلال المثمرة أطيب الثمرات .

(١٦) الأملد : من الغصون الناعم اللين .

(١٧) الطب : الماهر الحاذق بعمله . الغرار : القليل . أحصد : أى حان أن يحصد .

(١٨) الرفق : الرحمة واللطف . فى هذه الأبيات الثلاثة ، يذكّر الشاعر المليك بأنه هو الذى أسس الجامعة المصرية القديمة ورعاها أميراً ثم ما زال يسهر عليها ويحرص على رقيها فى رفق وصدق نظر إلى المستقبل حتى كوّن منها وهو ملك هذه الجامعة العظيمة التى هى مفخرة من مفاخر عهده ويد من أياديه البيضاء على الشرق والشرقيين جميعاً .

(١٩) المنى : جمع منية ، وهى الأمنية . الدراك : اللحاق السريع . المحامد : جمع محمدة وهى الخصلة يحمد عليها . مصعداً : اسم فاعل من أصعد فى الأرض إذا مضى ، والمراد المضى فى ارتفاع .

(٢٠) يعيي : يعجز . الجحافل : جمع جحفل وهو الجيش الكثير العدد . الشأو : الغاية .

وَ يَسعى إلى أنْ يُذهِلَ النَّجْمَ سَعْيُه ... ويَبذُلُ حتى يُدْهِشَ الْجودَ وَالْجدا (٢١)

ويَرْقَبُ رَبَّ العَرْشِ فِيما يُرِيدُه ... ويَنْصُرُ دِينَ الْحقِّ والنُّورِ والهُدَى (٢٢)

إذَا مَا انْتَهَى مِنْ مَقصِدٍ لاَنَ صَعْبُه ... دَعاهُ هَوى مِصْرٍ فَجَدَّدَ مَقْصِدا (٢٣)

رُوَيْدَكَ أَجهَدْتَ المؤرِّخَ ! ما وَنَى ... ولا فَارَقَتْ يَوْماً يَرَاعَتُه اليَدَا (٢٤)

هَزَزْتَ إلى التَّأْلِيفِ كُلَّ مُبَرِّزٍ ... أَدِيبٍ إذَا مَا أَرْسلَ الفِكْرَ سدَّدا (٢٥)

فَفَاضَتْ بِجَدْواكَ العقولُ وَبَلَّتْ ... بِمصْرَ ظِماءً كان حَرَّقَها الصَّدَى (٢٦)

فَفي كلِّ يومٍ لِلْعُلُومِ مُجَلَّدٌ ... حَقِيقٌ بما أَسْدَيْتَ يَتْلُو مُجَلَّدا (٢٧)

سَلُوا مَكْتَبَاتِ الْعِلْمِ تَنْطِقُ كُتْبُهَا ... بِآثَارِ مَجْدٍ يَنْتَمِينَ لأَحْمَدا (٢٨)

---

(٢١) يذهل : يدهش . الجدا : العطية . يقول : إنه ليسعى للمحامد وجلائل الأعمال سعياً دائباً متصلا حتى إن النجوم التي من صفاتها الدأب دهشت لاستمرار سعيه ، وإنه ليبالغ في العطاء حتى يترك الجود في عجب عاجب من كرمه الذي لا نظير له .

(٢٢) رب العرش : الله سبحانه وتعالى . يرقب أي ينتظر جزاءه وثوابه فيما يعمل ، الهدى : الرشاد .

(٢٣) مقصد : مطلب من مطالب الخير للبلاد . الهوى : الحب .

(٢٤) رويدك : ترفق . اجهدت : أتعبت . ونى : أبطأ وتأخر . يراعته : قلمه . أي إن من يدونون مآثرك وجلائل أعمالك في جهد دائب وتعب دائم ، فتتابع مآثرك وتلاحق محامدك كل يوم لا يسمح لهم أن يضعوا أقلامهم ويستريحوا يوما .

(٢٥) هززت : حركت ونشطت . المبرز : من يفوق أصحابه فضلا . المعنى لقد شجعت على التأليف أهل العلم وذوى الفضل الذين إذا وجهوا تفكيرهم إلى أمر أصابوا الغرض منه .

(٢٦) الصدى : العطش . الجود : العطية . الظماء : جمع ظمآن وهو العطشان . يقول : كان من آثار برك في أهل الفضل أن شجعتهم فتفرغوا للانتاج العقلي المثمر الشامل .

(٢٧) أسديت : منحت وأعطيت . حقيق : جدير .

(٢٨) أي إن مكتبات العلم لتزخر بالمؤلفات الحديثة في كل علم وفن ، وذلك — ولا ريب — أثر من آثار تشجيعك ونهضتك بالعلوم والفنون .

وَمَنْ يَبْنِ فَوْقَ العِلمِ وَالعدلِ مُلْكَه ... رَفيعاً ، فقَدْ أرسَى الأساسَ وَوطَّدا (٢٩)

بَهرْتَ رِجالَ العلمِ فى الغرْبِ فَانْثَنَوْا ... إليكَ يَسوقونَ الثناءَ المنَضَّدا (٣٠)

وأوْلَوْكَ ألْقَاباً نَواصعَ كالضُّحا ... ضِخاماً على آثارِ فَضْلِكَ شُهَّدا (٣١)

وَأصبحتَ رَمْزاً عالِميًّا سَعتْ له ... جَهابِذُ أهلِ الأرضِ مَثْنَى وَمَوْحَدا (٣٢)

فخَاراً أبا الفارُوقِ لم يَبْقَ مَنهجٌ ... إلى العلمِ إلاّ صار سَهْلاً مُعَبَّدا (٣٣)

تَطَلّعتِ الآمالُ شرْقاً وَمَغرباً ... فَلم تَجدِ الآمالَ إلاّكَ مَعقدا (٣٤)

وحامَتْ قُلوبُ الشَّعبِ حَولكَ مِثْلما ... تَحومُ عِطَاشُ الطَّيْرِ أبْصرْنَ مَوْرِدا (٣٥)

فَعِشْ لِبنى مِصر غِياثاً وَرحمةً ... فَآمالُهمْ فى أن تَعيشَ وَتَسْعَدا (٣٦)

وَعاشَ وَلِىُّ العهدِ قرّةَ أعْيُنٍ ... وَدامَ مِنَ اللهِ العزيزِ مُؤَيَّدا (٣٧)

---

(٢٩) أرسى ووطد : أثبت وقوى ، والبيت مرسل إرسال الحكمة كما هو واضح .

(٣٠) الثناء : المدح . المنضد : ما كان بعضه فوق بعض . بهرت رجال العلم : ملأت نفوسهم إعجاباً برعايتك للعلم وببذلك لاحيائه . انثنوا : انعطفوا .

(٣١) أولى ألقاباً : أعطى ، المراد بها الألقاب العلمية التى أهديت إلى جلالته من الجامعات والجماعات العلمية المختلفة فى الغرب . نواصع : جمع ناصع وهو الشديد البياض . الضحا : الشمس . ضخاماً : جمع ضخم . شهدا : جمع شاهد .

(٣٢) الجهابذ : جمع جهبذ بالكسر وهو النقاد الخبير . مثنى أى اثنين اثنين . وموحدا : أى واحداً واحداً . أى إنك معروف للناس جميعاً بعلمك الغزير وعقلك الكبير وحبك لمعاضدة النهضة العلمية ، ولذا يؤم رحابك العلماء ورجال الفكر من جميع البقاع .

(٣٣) فخاراً : مصدر نائب عن فعله أى فخر . منهج : طريق . معبداً : ممهداً .

(٣٤) يقول : إن الأمة لا ترى محققاً لآمالها سواك .

(٣٥) المورد : مكان الماء . حام الطير على الشىء : دوّم . يقول : تعلق بك شعبك والتفت القلوب حولك واتجهت إليك كما تتجه عطاش الطير إلى الماء .

(٣٦) غياث : إغاثة ومعونة .

(٣٧) قرة أعين : من قرت العين تقر بالكسر والفتح قرة بالفتح والضم بردت وانقطع بكاؤها أو رأت ما كانت متشوقة إليه ، والقرة : ما قرت به العين .

عِيدُ جُلوسِ المَلِكِ فؤاد

في سـنة ١٩٣٤ م

العَيْشُ مُخْضَلُّ الْجَوانِبِ أَخْضَرُ ... واليومُ من نَسْجِ السَّحائبِ أَنْضَرُ (١)
والرَّوضُ يَصْدَحُ بالبَشائرِ أَيْكُهُ ... فالعُودُ عُودٌ ، والأَزاهِرُ مِزْهَرُ (٢)
يَجْرِي النَّسيمُ به فَيَجْتازُ الرُّبا ... صُعُدًا ، وتَجْذِبُه الغُصونُ فَيَنْفِرُ (٣)
كم زَهْرةٍ عَلِقَتْ بفَضْلِ رِدَائه ... فالوردُ مِلْءُ ردائِه والعَبْهَرُ (٤)
إن ضجَّ من آبٍ وحَرٍّ وَثاقِهِ ... فاليومَ يَدْرُجُ ما يشاء ويَخْطِرُ (٥)

---

(١) المخضل : الندىّ الرطب ، ونسج السحائب : النبات والأزهار . ووصف العيش باخضلال الجوانب والاخضرار دليل على الرغد والسعة والبسطة . جعل يوم عيد الجلوس يوم رخاء ويمن وحسن طالع .

(٢) الصدح : رفع الصوت بالغناء . الأيك : الشجر الكثير الملتف ؛ الواحدة أيكة . والعود : « الأول » الغصن من أغصان الشجر والعود « الثانى » تلك الآلة الموسيقية المعهودة . والأزاهر : جمع أزهار ، وأزهار : جمع زهر ، وهو نور كل نبات . والمزهر (بالكسر) : الدف يضرب عليه . جعل الأطيار وهى تغرد على الأشجار كأنها تزف البشرى . ولما ذكر الغناء ذكر العود والمزهر ، وهما من آلاته ومقوماته .

(٣) به : أى بالروض . والربا : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض . وصعداً : أى صاعداً وينفر : يمضى فى طريقه ولا يأبه لها .

(٤) فضل الرداء : زيادته وما ينسحب على الأرض منه ، والعبهر : الياسمين . يصف فى هذا البيت والذى قبله النسيم يصدر عن هذا الروض يحمل نفحات الأزهار من ورد وياسمين فيعبق الجو به .

(٥) الضمير فى «ضج» : يعود على النسيم المتقدم . وآب : شهر من شهور السنة الشمسية ، وهو يقابل شهر أغسطس . حيث يشتد الحر والوثاق (بالفتح وبكسر) : ما يشد به من قيد أو حبل أو غيره . ويدرج : يسير . ويخطر . أى يختال ويتبختر .

يَطْفُو على وَجْهِ الْجَدَاوِلِ طائرًا غَرِدًا يُصَفِّقُ بالْجَنَاحِ ويَطْفِرُ (٦)
فى كفِّهِ البُشْرَى، وفى هَمساتِه نُعْمَى الحياةِ وعزُّ مِصْرَ الأَوْفرِ (٧)
والشمسُ ضاحكةٌ، كأنّ شُعاعَها أملُ الوُجوه المُشْرِقُ المُستَبْشِرِ (٨)
تَخْتالُ فى يومٍ تَرَقَّبت العُلا مِيلادَه، ورَنتْ إليه الأَعْصُرُ (٩)
نَهَضت به آمالُ مِصْرَ وأَقْسمتْ مِنْ بعد هذا اليومِ لا تَتَعثَّرُ (١٠)
فلَكَم تَمَنَّى الدِّينُ طالِعَ صُبْحِه واهْتزَّ من شَوْقٍ إليه المِنْبَرُ (١١)
تَمْشِي المُنَى فيه تجُرُّ خِمارَها خَفَرًا، ويَزْهُوها الْجَمالُ فتَسْفِرُ (١٢)
فازتْ به مِصْرُ بخَيْرِ مُتَوَّجٍ يَنْهَى كما يرضَى الإلهُ ويأمرُ (١٣)
يومٌ إذا زُهِىَ الزمانُ بمثلِه فبِمِثْلِه يُزْهَى الزمانُ ويَفْخَرُ (١٤)

---

(٦) يطفو : يعلو . والجداول : الأنهار؛ الواحد : جدول (بالفتح ويكسر أوله) . والغرد: الذى يرجع صوته ويطرب به فى الغناء . ويطفر : يثب مرتفعا . شبه النسيم بالطائر الغرد الذى يصفق بجناحيه فى طيرانه متنقلا من مكان الى مكانه .

(٧) الأوفر : الكامل .

(٨) يشبه ضوء الشمس بما سطع على الوجوه من أشعة الأمال .

(٩) ترقبت : انتظرت . ورنا إليه يرنو : أدام النظر . والأعصر : الدهور؛ الواحد : عصر (مثلثة ، والفتح أشهر) .

(١٠) لا تتعثر ، أى سوف تمضى هذه الآمال فى سبيلها قدما لا تزل ولا تكبو .

(١١) طالع صبحه : أى ظهور صبحه . جعله للدين كالصبح يشرق على الدنيا بنور ضيائه . « اهتز من ... الخ » : أى أن المنبر الذى يقوم عليه الخطيب فى المساجد ، يدعو فيما يدعو للملوك بالنصر والتأييد ، فى شوق إلى هذا الملك لما يتوقع على يديه من إنهاض الدين وإنعاشه .

(١٢) فيه : أى فى يوم ميلاد هذا الممدوح . والخمار : هو ما تغطى به المرأة رأسها . والخفر : شدة الحياء . ويزهوها : يستخفها . تسفر : تكشف قناعها فتبين .

(١٣) أى إنه يتبع فى أمره ونهيه ما يرضى ربه .

(١٤) زهى به : تاه وتكبر .

السَّعْدُ فى ساعاتِهِ مُسْتَوطِنٌ ... والعِزُّ فى جَنَبَاتِه مُتَبَخْتِرُ(١٥)
هو فى فَمِ الدُّنيا حَدِيثٌ خالدٌ ... يَحْلُو على الأيَّامِ حينَ يُكَرَّرُ(١٦)
هو طَلْعةُ الرَّوْضِ النَّضِيرِ وظِلُّه ... ونَمِيرُه ونسيمُه المُتَعطِّرُ(١٧)
أملُ البلادِ تمسَّكتْ بحبالِه ... فى الحادثاتِ وعيدُ مصرَ الأكبرُ(١٨)

* * *

عيدٌ بأنوارِ الجَلالِ مُتَوَّجٌ ... وبمُنَّةِ النَّصْرِ العَزِيزِ مُؤَزَّرُ(١٩)
هو صُورةٌ للبِشْرِ أُحْكِمَ رَسْمُها ... لو أنَّ أيَّامَ السُّرورِ تُصَوَّرُ(٢٠)
لانَتْ به الدُّنيا وأَخْصبَ عَيْشُها ... وبيُمْنِهِ اخْضرَّ الزمانُ المُقْفِرُ(٢١)
وشَدَتْ لمَطْلَعِه القُلوبُ كأنَّها ... طَيْرٌ تُغرِّدُ للرِّياضِ وتَصْفِرُ(٢٢)
هو فى كِتابِ الدَّهرِ سَطْرُ مَجَادةٍ ... خَشَعَتْ لهَيْبَتِه ماحَواه الأسْطُرُ(٢٣)

---

(١٥) مستوطن : أى ملازم لا يبرح . والجنبات : النواحى ؛ الواحدة : جنبة (بالتحريك) .

(١٦) جعل الدنيا تردد مآثر هذا اليوم فتحلو بتكرارها .

(١٧) النضير : الحسن الزاهى . والنمير : الماء الناجع فى الرى .

(١٨) تمسكت بحباله : أى امتنعت به والتجأت إليه .

(١٩) المنة (بالضم) : القوة . ومؤزر ، أى إن النصر له عدة ومنعة ؛ يقال : أزره (بالتضعيف) إذا قواه وأعانه .

(٢٠) يقول : لو أمكن تصوير أيام السرور ، لكان هذا اليوم صورة لها .

(٢١) اليمن : البركة . والمقفر : المجدب المحل . ويكنى بلين الدنيا واخضرار الزمان : عن الرغد والسعة .

(٢٢) شدت : غنت . (وفعله من باب نصر) . وصفر الطائر (من باب ضرب) : غرد .

(٢٣) المجادة : الرفعة والشرف . (وفعله من باب كرم) . يقول : إن هذا العيد يزهى على جميع الأعياد فهى دونه رفعة ومكانة .

وثبت به مصر وقد طال الكرى ... ومضت إلى قصب الفخار تغبّر (٢٤)
وعلت بفضل مليك مصر مكانة ... لم تقتعدها في السماء الأنسر (٢٥)
تتقطع الآمال دون بلوغها ... وتود رؤيتها العيون فتحسر (٢٦)
ترنو لها الجوزاء نظرة حاسد ... وبذكرها تلهو النجوم وتسمر (٢٧)
وإذا سما الملك الهمام لغاية ... فالصعب هين والعسير ميسر (٢٨)

***

عيد الجلوس وأنت عزة أمة ... تعلو بمولاها العظيم وتكبر (٢٩)
غناك شعري فاستمع لغنائه ... إن البلابل في الخميلة ندر (٣٠)
ما كل من عرك المزاهر معبد ... يوماً ولا كل المواضع عبقر (٣١)

---

(٢٤) الكرى : النوم والنعاس . وقصب الفخار : أمده وغايته . وذلك أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبة ، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق الذي أدرك الغاية . وتغبر : أي تسبق ، وذلك لأن المجد المسرع يثير الغبار خلفه .

(٢٥) يقال : اقتعده ، إذا اتخذه مقعدا . وخص النسور لأنها تختار الأماكن المرتفعة أوكاراً لها .

(٢٦) حسرت العين تحسر (من باب نصر) : كلت لطول مدى وغاية . جعل هذه المكانة من المجد في العلو والارتفاع بحيث تكل دون إدراكها الآمال ، ولا تصل إليها الأبصار .

(٢٧) رنا له يرنو : أدام النظر إليه . والجوزاء : برج في السماء يضرب به المثل في العلو والارتفاع . يقول إن الجوزاء تحسد مصر على علو مكانتها ، وقد أصبحت هذه المكانة حديث النجوم في لهوها وسمرها .

(٢٨) الهين (بالتخفيف) : الهين (بالتشديد) .

(٢٩) كبر ، من باب كرم : عظم

(٣٠) الخميلة : الموضع الكثير الشجر . وندر : جمع نادر .

(٣١) المزاهر : جمع مزهر وهو العود . وعركها : لوى مفاتيحها . ومعبد : مغن معروف ، وكان إمام أهل المدينة في الغناء . عاش في أوائل دولة بني أمية ، ومات بدمشق في أيام الوليد بن يزيد . وعبقر : أي موضع يملك عليك إعجابك بحسنه وجماله . والعبقر (في الأصل) : مكان كانت العرب تزعم أنه كثير الجن ، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته أو قوته .

إن الرِّماحَ حَــدائدٌ مَنْبُوذَةٌ ... حتى يُثقِّفَ جانِبَيْها سَمْهَرُ (٣٢)

حيَّتْ طلائِعَكَ القَوافِي هُتَّفًا ... وشَدَتْ لِمَقْدَمِكَ الكريمِ الأَشطُرُ (٣٣)

والشعرُ مرآةُ النُّفوسِ وصُورةٌ ... مَحْسوسةٌ مِمَّا تُكِنُّ وتشعُرُ (٣٤)

يا عِيدُ كَمْ بكَ من جَمالٍ زاهرٍ ... يَبْهَى بإشْراقِ المَليكِ ويَبْهَرُ! (٣٥)

كم مِنْ مَواكِبَ وارِداتٍ تَرْتَجِي ... شَرَفَ المُثُولِ ومِنْ مَواكبَ تَصْدُرُ (٣٦)

والشعبُ يَزْحَمُ بالمَناكبِ طامِعًا ... في نَظْرةٍ تُحْيِي القلوبَ وتَجْبُرُ (٣٧)

ضاقتْ به السَّاحاتُ حتى أصبحتْ ... كالبَحْرِ يَقْذِفُ بالعُبابِ ويَزْخَرُ (٣٨)

حتى إذا ظَهر المَليــكُ كأنَّه ... بَدْرٌ به انجابَ الظَّلامُ الأَخْدرُ (٣٩)

في بُرْدِهِ أملُ الكِنانةِ باسِمٌ ... وبوَجْهه نورُ الجَلالةِ مُسْفِرُ (٤٠)

---

(٣٢) الرماح : جمع رمح ، وهو عود طويل فى رأسه حربة . وتثقيف الرمح : تقويمه وتسويته . وسمهر : رجل اشتهر هو وزوجته ردينة بتثقيف الرماح فنسبت إليهما . يقول فى هذا البيت والبيتين قبله : إن شعرى فى ندرته وعزته كندرة البلابل وعزتها فى الخمائل، فهو لهذا جدير بالقبول . وليس كل من ضرب على العود وعالج الغناء قد بلغ مبلغ معبد ، كما أن كل مكان لا يصل إلى أن يسمى عبقرا ، وإن الرماح فى الأصل خشب وحديد مطروح متروك ولولا تعهد سمهر لها بالتثقيف والصناعة ما بلغت أن تكون رماحا .

(٣٣) يريد (بالطلائع) : كواكب الفرسان التى تتقدم ركب الملك . وهتفا : هاتفة. وشدت : غنت وترنمت . والأشطر : جمع شطر ، وهو نصف البيت من الشعر . يريد : القصائد .

(٣٤) تكن : تخفى وتستر .

(٣٥) يبهى : يحسن ويظرف . (فعله من باب علم) . ويبهر : يشرق ويضىء .

(٣٦) المثول : القيام بين يديك للتشرف بطلعتك . وتصدر : ترجع . يصف كثرة جماعات الناس والطوائف التى ترد إلى بيت الملك وترجع عنه للتهنئة بعيد الجلوس .

(٣٧) يزحم بالمناكب : يدفع بعضه بعضا بمناكبه . وتجبر : تصلح .

(٣٨) عباب البحر : معظمه وموجه . وزخر : طما وارتفع .

(٣٩) انجاب الظلام : انكشف وانقشع . والأخدر : الساتر الموارى .

(٤٠) مسفر : مضىء مشرق .

شَخَصتْ له الآمالُ تُسرِعُ خَطْوَها ... ودنَا لرُؤْيتِهِ العديدُ الأكْثَرُ (٤١)

تَرْنُو العُيونُ فتَجْتلِي من نورِه ... فَيْضًا ويَغْلِبُها السَّنا فتَحَيَّرُ (٤٢)

والناسُ بينَ مُسَبِّحٍ ومُكَبِّرٍ ... لَبَّى نِدَاه مُسبِّحٌ ومُكَبِّرُ (٤٣)

والبِشْرُ قد ملأ الوُجوهَ نَضارةً ... فتَكادُ من فَرْطِ النَّضارةِ تَقْطُرُ (٤٤)

والقُطرُ يهتِفُ أنْ يعيشَ فؤادُهُ ... والشَّعْبُ يجهَرُ بالدعاءِ ويَجْأَرُ (٤٥)

في مَوْكِبٍ لم يَلْقَ (كِسْرَى) مثلَه ... في السَّابقين ولم يَنَلْه قَيْصَرُ (٤٦)

قَدَرُوا مآثِرَكَ النَّبيلةَ قَدْرَها ... وكذاكَ مَحْمودُ المآثِرِ يُقْدَرُ (٤٧)

أَحْسنتَ للشَّعبِ الكَريمِ رِعَايةً ... فَشَدا بنِعْمتِكَ التي لا تُكْفَرُ (٤٨)

اللهُ قد خَلَقَ المكارمَ والنَّدَى ... شَجَرًا يُظَلِّلُ في الهَجيرِ ويُثْمِرُ (٤٩)

إنّ الذي مَلَكَ القُلوبَ بعَطْفِه ... أَوْلَى بتَمْجيدِ القُلوبِ وأجدَرُ (٥٠)

---

(٤١) شخصت : اتجهت . والعديد الأكثر : العدد الكثير .

(٤٢) ترنو : تديم النظر . وتجتلي : تستبين وتكشف . والسنا : النور . فتحير ، أي فتتحير .

(٤٣) لبى : أجاب وردد . والندى (بالمد وقصر للشعر) : الدعاء .

(٤٤) يقول : إن ماء السرور قد ملأ الوجوه بنضارته حتى كاد يسيل ويقطر .

(٤٥) يجأر : يرفع صوته بالدعاء .

(٤٦) كسرى (بكسر الكاف وفتحها) : لقب لملك الفرس . وقيصر : لقب لملك الروم . وكانتا الدولتين كان لملوكهما الحظ العظيم من جاه السلطان وأبهة الملك وعزه .

(٤٧) قدروا مآثرك ، أي عظموها حق تعظيمها . والمآثر : ما يؤثر للانسان من عمل مجيد وفعل حميد ؛ الواحدة : مأثرة (بفتح الثاء وضمها) .

(٤٨) شدا بنعمتك ، أي ترنم بذكرها . ولا تكفر ، أي لا تجحد آثارها ولا تنكر .

(٤٩) الندى : الجود . والهجير : الهاجرة حيث يشتد الحر .

(٥٠) أجدر : أحق وأولى .

*
* *

شِعْرِى أَستبِقْ فى الحاشِدِينَ مُبادِرًا — لا يُدرِكُ الآمالَ مَنْ يتأخّرُ (٥١)

وأْنزِلْ (برَأْسِ التّينِ) واُخْشَعْ مُطْرِقًا — ممّا تُحِسُّ مِنَ الجَلالِ وتُبْصِرُ (٥٢)

فهنالكَ المَجْدُ المُؤَثَّلُ سامِقًا — والمُلْكُ حولَكَ واسعٌ مُسْتَبْحِرُ (٥٣)

هذا (ابنُ إسماعيل) فانثُرْ حولَهُ — دُرَرًا تَدُومُ على الزّمانِ وتُذْخَرُ (٥٤)

ساسَ البـــلادَ بِحِكْمةٍ عَلَوِيّةٍ — بِسَدادِها تعتزُّ مِصْرُ وتُنْصَرُ (٥٥)

عَزْمٌ كما صَالَ الْحُسامُ وهِمّـةٌ — أَسْمَى من النَّجْمِ البَعيدِ وأَبْهَرُ (٥٦)

ومَضاءُ رَأْيٍ لو رَمَى حَلَكَ الدُّجى — لَمضى الدُّجَى مُتَعثِّرًا يتَقَهْقَرُ (٥٧)

بلغتْ به مِصْرُ مَنازِلَها العُلاَ — يُومِى إليها طَرْفُهُ فَتُشَمِّرُ (٥٨)

تَمْضِى، كما يَمْضِى الشّهابُ، مُجِدَّةً — لا يبلغُ الشأْوَ البعيدَ مُقَصِّرُ (٥٩)

---

(٥١) استبق : بادر وسابق .

(٥٢) يريد « برأس التين » : سراى رأس التين بالاسكندرية ، وهى مقر الملك فى هذا البلد

(٥٣) المؤثل : الذى له أصل قديم . والسامق : العالى المرتفع . ومستبحر : متسع ممتد .

(٥٤) يريد بابن اسماعيل : الممدوح أحمد فؤاد الأول . وتذخر : تجمع وتدخر .

(٥٥) علوية : نسبة إلى رأس الأسرة المالكة محمد على باشا . والسداد : الرشاد والاصابة فى الأمور .

(٥٦) صال : سطا واستطال . والحسام : السيف القاطع . وأبهر : أكثر إضاءة وإشراقا .

(٥٧) مضاء الرأى : نفاذه ومضيّه فى الأمور . والحلك : شدة السواد . والدجى : الظلمة ، أو سواد الليل .

(٥٨) يومىء (بالهمز وخفف) : يشير . والطرف : العين . تشمر : تجد وتسرع .

(٥٩) تمضى ، أى مصر . والشأو : الغاية والمدى .

مَلأَ البِلادَ عوارِفاً ومَعارفا تُزْجَى إلى أَقْصى البلاد وتنْشَر (٦٠)
وأعَاد مجـدَ الخالِدين بنَهْضةٍ تجْتاح شُمّ الرّاسياتِ وتَقْهر (٦١)
فتلفّتَ التارِيخُ مُشْدوهَ النُهَى وتطلّعتْ من حُجْبِهِنّ الأَدْهُر (٦٢)
لا تَدْهَش الدُّنيا ، فصَوْلَةُ عَزْمِهِ أَقْوَى على كَبْح الصِّعاب وأقدَر (٦٣)
الخالدون على الزمان جدودُهُ والسابقون قبيلُه والمعشَر (٦٤)
النهضةُ الكبرَى إليهم تنتمِى وجلائلُ الآثارِ عنهم تُذْكَر (٦٥)
درجوا وأمّا مجدُهم فمُخلّدٌ باقٍ ، وأما ذِكْرُهم فمُعَمّر (٦٦)

* * *

أفؤادُ عش للنيلِ ذُخراً إنما بنَدَا كما تحيا البلادُ وتنضُر (٦٧)
قد فاض فى طول البلاد وعرضها لكنّه فى جنبِ فَيْضِك يَصْغُر (٦٨)

---

(٦٠) تزجى : تبعث وتحمل .

(٦١) تجتاح : تستأصل وتدك . وشم الراسيات : الجبال المرتفعة الثابتة الراسخة . يشير بهذا البيت والذى قبله إلى كثرة ما أنشأ الممدوح من دور للعلم وأخرى للصناعة ، وإلى ما أحيا من آثار ، وجدد من مآثر .

(٦٢) مشدوه النهى ، أى حائر العقل مذهولا . والأدهر : جمع دهر ، وهو معروف . يقول : إن عظمته قد بلغت مبلغاً لم يشهد التاريخ ولا الأيام مثله ، فهى لهذا ذاهلة متطلعة .

(٦٣) الصولة : السطوة والمضاء . وكبح الصعاب : تذليلها والتغلب عليها .

(٦٤) قبيله والمعشر : أقاربه وأهله .

(٦٥) تنتمى : تنسب وتعزى .

(٦٦) درجوا : مضوا وذهبوا . يشير بهذا البيت والبيتين قبله إلى عظيم آثار الأسرة المالكة ولاة وأمراء ، وأن إليهم تعزى نهضة مصر . وحسبهم بعد موتهم مجد خالد وذكر عطر .

(٦٧) الذخر : ما يدّخر للحاجة . والندى : الجود . وتنضر : تصير ذات نضرة أى حسن وبهاء ونعمة .

(٦٨) يريد أن ما يمنحه النيل مصر من الخير قليل إلى جانب ما تمنحه أنت إياها .

يتبرّكُ الوادى بلَثْمِ بنانِهِ ... فيعودُ وهوالمعْشِبُ المُخْضَوْضِرُ (٦٩)

الخِصْبُ والإغداقُ فيضُ يمينِه ... والمسكُ كُدْرَةُ مائِهِ والعنبرُ (٧٠)

تِبْرٌ إذا غَمَرَ البــلادَ رأيتَها ... والدرُّ مِلْءُ نُحورِها والجَوْهَرُ (٧١)

والأرض وَشْيٌ طُرِّزَتْ أفوافُه ... والزهرُ منــه مُدَرْهَم ومُدَنَّرُ (٧٢)

أنَّى جرَى همَس الخمائلُ باسمه ... وتبسَّم النِّسرينُ والنِّيلُوفَرُ (٧٣)

وسرت بمقدَمِهِ البشائرُ حُوَّما ... السُّحْبُ تُنْبِيءُ والنسائمُ تُخبرُ (٧٤)

---

(٦٩) اللثم : التقبيل . والبنان : الأصابع أو أطرافها . ويريد (بلثم بنانه) : التزود من مائه . والمعشب : المنبت . والمخضوضر : المخضر .

(٧٠) الاغداق : كثرة الخير والنعمة . والفيض : الاعطاء . ولما جعل النيل يمنح ويعطى جعل له يمينا لأن الاعطاء يكون بها . ويريد بكدرة مائه : الغرين الذى يجلبه النيل معه فيفيد مصر خصبا . وشبهه بالمسك والعنبر فى لونهما ونفاستهما .

(٧١) التبر : الذهب قبل صوغه . شبّه به الغرين الذى يكسو به النيل أرض مصر . (والدر ... الخ) : يريد أن النيل إذا غمر البلاد ازدانت منه بالأزهار الشبيهة بالدر والجوهر .

(٧٢) الوشى الثوب المنقوش . والأفواف : نوع من البرود اليمنية مخطط ، الواحد : فوف . ومدرهم ومدنر ، أى كالدراهم والدنانير فى استدارتها وألوانها . شبه الأرض عليها الزرع والزهر بثوب ذى ألوان مختلفة .

(٧٣) أنى جرى ، أى فى أى مكان جرى . والهمس : الصوت الخفى . والخمائل : المواضع الكثيرة الشجر ؛ الواحدة : خميلة . وهمس الخمائل : حفيف أشجارها . والنسرين : ورد أبيض عطرى قوى الرائحة . والنيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس يطول بحسب عمق الماء ، فاذا ساوى سطحه أورق وأزهر . وهى كلمة أعجمية . وتبسم النسرين والنيلوفر : تفتح أزهارها وإشراقها . جعل حفيف الأشجار وتفتح الأزهار آيتين ناطقتين بنعمة النيل على هذا الوادى .

(٧٤) بمقدمه : بقدومه . حوما ، أى منتشرة هنا وهناك ، فكأنها الطير تحوم حول الشيء وتدور به . وذكر السحب والنسائم لأنها من أسباب فيض النيل .

إن أصبحتْ مصرُ الخصيبةُ جنّةً في عهدك العُمَرىِّ فهو الكوثَرُ (٧٥)
عِشْ في حِمَى الرَّحمنِ جلّ جلالُه ترعاكَ عينٌ لا تنامُ وتخفرُ (٧٦)
وأهنأ بعيدك إنه فألُ المُنَى فبيُمْنه تعلو البلادُ وتظْفَرُ (٧٧)
لا زلتَ ترفُلُ في مطارفِ صِحّةٍ هي كل ما يرجو الزمان ويُؤْثِرُ (٧٨)
واسلَمْ لمصرَ فأنتَ أنتَ فؤادُها وحياتُها ولُبابُها المتخَيَّرُ (٧٩)

* * *

فاروقُ زَيْنُ الناشئين المرتجَى كَرُمت أوائلُهُ وطَاب العُنصُرُ (٨٠)
مجدُ الشبابِ مَناطُ آمالِ العُلا وسَنَا الحياةِ ونَجْمُ مصرَ النيّرُ (٨١)

---

(٧٥) في عهدك ، أي عهد الممدوح . والعمرى : نسبة إلى عمر بن الخطاب . شبه عهد الممدوح بعهده في انتشار الأمن وعموم العدل وسعة الخير . والكوثر نهر في الجنة . ولما جعل مصر جنة ، جعل نيلها كوثرا .

(٧٦) ترعاك وتخفرك : تحفظك وتحرسك .

(٧٧) فأل المنى ، أي بشير بلوغ الغاية والمراد . واليمن : البركة . وتظفر : تعز وتفوز .

(٧٨) ترفل : تجر الذيل . والمطارف : جمع مطرف (بضم الميم وكسرها وفتح الراء وإسكان ما بينهما) ، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام . ويؤثر : يختار ويفضل . يدعو له بدوام الصحة إذ هي خير ما يرجى على مر الأيام .

(٧٩) الفؤاد : القلب أو العقل . وفي هذا اللفظ تورية ظاهرة . واللباب : المختار الخالص من كل شيء .

(٨٠) فاروق : ولي العهد إذ ذاك ، وهو الآن ملك مصر . والعنصر : الأصل . أي إنه كريم الأبوين والأجداد .

(٨١) مناط الآمال : موضع الرجاء ومحط المنى . والمناط (في الأصل) : اسم موضع التعليق . والسنا : الضوء . والنير : المنير .

أَنبتَّه خيرَ النباتِ يَزِينُه ... خُلُقٌ كأمواهِ السحابِ مُطَهَّرُ (٨٢)

الفضلُ يلمَعُ فى وضىءِ جبينه ... زهواً كما ابتسم الربيع المُبْكِرُ (٨٣)

إنّ الصعيدَ لَمُزْدَهٍ بأميرِهِ ... جَذْلانُ يصدَحُ بالثناء ويجهرُ (٨٤)

لو تَسْتطيعُ الباسقاتُ بأرضه ... سَعْياً لجاءت نحو بابكَ تشكُرُ (٨٥)

عاش المليكُ وعاش فاروقُ الحِمَى ... يزهو بطلعته الوجودُ ويُزْهِرُ (٨٦)

---

(٨٢) أنبته : أى نشأت ولى عهدك . وأمواه : جمع ماء . وخص ماء السحاب لصفائه وعدم اختلاطه بما يكدره .

(٨٣) الوضىء : الوضاح المنير . وزهوا : تيها وفخرا . يريد بالربيع المبكر : أوائله وبشائره ، حيث تطالعنا الأزهار ويبدأ تفتح الأنوار .

(٨٤) الصعيد : الوجه القبلى من مصر . وجذلان : فرح . ويصدح بالثناء ويجهر : أى يترنم به ويرفع الصوت عاليا .

(٨٥) الباسقات : الأشجار العالية المرتفعة . والسعى : السير .

(٨٦) الحمى : ما تجب عليك حمايته ومنعه . ويريد به هنا مصر . ويزهو يحسن وينضر . ويزهر : يشرق ويضىء .

المجمع اللغوى الملكى

(الآن مجمع فؤاد الأول للغة العربية)

ألقيت فى الاحتفال بالدورة الثانية لمجمع اللغة العربية الملكى سنة ١٩٣٤

ذِكْرياتٌ ردَّدَ الدَّهْرُ صداها ... وعُهُودٌ يَحْسُدُ المِسْكُ شَذاها(١)
وَصَلَ العُرْبُ الغطاريفُ إلى ... غايةٍ ، لا تبلُغ الطَّيْرُ ذُراها(٢)
وَجرَوْا صَوْبَ العُلا فى طَلَقٍ ... زاحَمَ الأنْجُمَ واجْتازَ مَداها(٣)
تَقِفُ الأوْهامُ حَسْرَى دُونَه ... لاهثاتٍ قَصَّرَ الأَيْنَ خُطاها(٤)
مَرَّ بالشَّمْسِ فلَمْ تَشْعُرْ بِهِ ... إذْ جَرَى إلاّ ظُنُونًا واشْتِباها(٥)

(١) الصدى : ما يرده الجبل ونحوه على المصوت فيه . وفى ترديد الصدى اتصال للصوت وعدم انقطاع له . وترديد الدهر لهذه الذكريات دليل على أنها خالدة بخلوده لا يفتر لسانه عن ذكرها ، وذلك لحلاوتها وحسنها . والشذا : قوة ذكاء الرائحة . جعل عهود اللغة الأولى أطيب من المسك نفحة ، وأذكى رائحة ، فالمسك يحسدها غيرة منه وغيظاً .

(٢) الغطاريف : السادة الشرفاء ؛ الواحد : غطريف . والذرا : جمع ذروة ، وهى من كل شىء أعلاه . ويريد بالطير هنا ، ما عرف منها بالابعاد والتحليق وبلوغ قمة الجبال كالنسور ونحوها . جعل غايتهم فى علاهم من البعد بحيث يستعصى على أمثال هذه الطيور بلوغها وفيه دليل على سموها .

(٣) الصوب : القصد . والطلق : الشوط . والمدى : الغاية . يصف طفرتهم إلى العلاء، وكيف أنهم بلغوا فى شوط واحد مدى النجوم ، وجاوزوه إلى غاية أبعد .

(٤) الأوهام : خطرات القلوب ؛ الواحد : وهم (بالفتح) وهى كالبرق الخاطف سرعة . وحسرى : كالية منقطعة من طول المدى . ولاهثات : تعبة قد أظمأها جهد العدو ومحاولة اللحاق. الأين : الاعياء .

(٥) الضمير فى «مر» يعود على «طلق» فى البيت الثالث . وفى مروره بالشمس دليل على تخطى منزلتها إلى منزلة أعلى . وظنونا واشتباها ، أى إنه لسرعته لم تبصره الشمس ولم تتحققه فكان كالظن يلم إلماما غير واضح ولا جلى .

أُمَّةُ الصَّحْرَاءِ أَقْوَى جَلَداً ... مِنْ مَهَارِيها وأَهْدَى مِن قَطَاها[٦]
صَخْرُها أَوْحَى إليها عَزْمَةً ... من بَنِي رَضْوَى وثَهْلَانَ بَنَاهَا[٧]
وسُكُونُ البِيدِ فى رَهْبَتِها ... جَرَّدَ الرُّوحَ وبالنُّورِ كَسَاها[٨]
رُبَّ صَدْرٍ نَافَسَ الحِلْمُ به ... كُلَّ صَحْرَاءَ بَعِيدٍ مُنْتَهاها[٩]
وخِلَالٍ أَنْبَتَ الجَدْبُ بِهَا ... عِزَّةَ اليَأْسِ فما لَانَتْ قَنَاها[١٠]
أَبَتِ الضَّيْمَ فَمَا مَدَّتْ يَدًا ... لذَوِى النُّعْمَى وَلَمْ تَعْفِرْ جِبَاها[١١]

---

(٦) يريد بأمة الصحراء : العرب بنزولهم البوادى والصحارى . والجلد : الأيد والقوة . والمهارى : الابل المهرية ، نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حىّ من العرب امتازت إبله عما سواها . ويضرب بالابل المثل فى الجلد وقوة الاحتمال . والقطا : ضرب من الطير عرف بقوة اهتدائه الى مكانه . جعل العرب أقوى من الابل احتمالا ، وأبصر من القطا بمواقع الأمور ، وإذا اجتمع لأمة جلد شديد وبصر حديد بلغت ما تريد .

(٧) يريد بصخرها : آكامها وجبالها . وأوحى إليها : علمها شدته وصلابته أمام مطالب الحياة . ورضوى وثهلان : جبلان ببلاد العرب . يقول : إن الله الذى بنى هذين الجبلين على هذه المناعة والشدة ، خلق الأمة العربية خلقهما قوة واحتمالا ومناعة

(٨) البيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء ، والرهبة : الخشية والسكون ، وليس كالصحراوات والخلوات أماكن اتصفت بالسكون الرهيب ، والصمت المهيب . وجرد : خلصها مما يشغلها وجعلها صافية . وبالنور كساها : أى جعلها من الحق على صلة ومن الهداية والتوفيق على بينة . والحق إن نفس البدوى فوق نفس المدنى صفاء ، لبعدها عن جلبة المدن وما يغمرها من شرور وآثام .

(٩) نافس : فاخر غيره بما عنده ليبزه . وبعيد منتهاها : فسيحة الأرجاء مترامية الأطراف . أى إن من الصدور ما تربى سعته على سعة الصحراء الشاسعة حلما . يريد ما اتصف به سكان البادية من حلم وما عرفوا به من أناة ، لطول الضرب فى البيداء وتحمل الوعثاء .

(١٠) الخلال : الخصال ؛ الواحدة : خلة . والجدب : القحط . واليأس : القنوط . والقناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف والاستكانة ، يذكر أثرا لبيئة فى أخلاقهم ، وكيف أن جدب البلاد غرس فى نفوسهم اليأس فارتاحت إليه وقرت به وأبت أن تخضع للذائذ الحياة ونعيمها .

(١١) الضيم : الذل والصغار . وذوو النعمى : ذوو اليسار . وعفر الجباه : كناية عن الضعة والمهانة ، لأن من ذل تطامن وسجد صاغرا ، ومن عز كان أنفه فى السماء . يصف عزتهم وامتناعهم .

تحْفَظُ العِـرْضَ مَصُونًا نَاصِعاً   وإلَى الطُّرّاقِ مَبْذولٌ قِرَاها(١٢)
أَمَمٌ إنْ يَهْلِكَ المَـالُ ، فإنْ   لُستْ أعْراضُها حَلَّت حُبَـاها(١٣)
رَدَّدَتْ أَشْعَارَها شَمْسُ الضُّحَـا   وسِرَاجُ اللَّيْـلِ لَمَّا أنْ تَلاها(١٤)
آيَـةٌ مِنْ نَفْحَـةِ اللهِ ، فَـــلَوْ   كانَ للنِّسْيَانِ كفٌ ما مَحَاها(١٥)
رَوْضَـــةٌ قد لَقّبُوها كَلِمـًا   تُخْجِلُ الْحُسْنَ إذا الْحُسْنُ رَآها(١٦)
كَمْ حَكِيمٍ أوتِيَ الْحُـكْمَ فَتًى   وفَتَاةٍ مَـــلأَ التِّبْيَـانُ فَاها(١٧)
تُرْسِلُ الأَمْثَـالَ تَسْرِي شُرَّدًا   لا تُبَالِي أَيْنَمـا كانَ سُرَاها(١٨)

---

(١٢) مصوناً : محفوظاً محمياً . وناصعا : أبيض شديد البياض . وبياضه : كناية عن عدم تلوثه بما يسىء ويؤذى . والطراق : الطارقون الذين ينزلون طلباً للضيافة . والقرى : ما يقدم للضيف .

(١٣) الأمم : الهين السهل . حل الحبا : كناية عن التحول للحرب والغارة . والاحتباء (فى الأصل) أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه برباط ، فاذا تهيأ للقيام أزاله . يصف فى هذا البيت والذى قبله حميتهم فى الدفاع عما يمس الأعراض ، وأنهم على تفريط فى ذات اليد كرما وسخاء ، لا يفرطون فى صد ما ينال من أعراضهم .

(١٤) سراج الليل : القمر أى إن الشمس والقمر كلاهما راوية لاشعارهم ، هذه ترددها صباحاً ، وذاك يرددها مساء . وفى هذا دليل على كثرة الشعر وجماله . والمراد أن شعرهم يتلى صباحاً كما يتلى مساء ، لا تفتر الألسنة عن تلاوته .

(١٥) آية من نفحة الله : أى أثر من هباته . ولما جعل شعرهم نفحة من نفحات الله وصفه بالخلود وأن يد النسيان لا تستطيع أن تذهب به أو تمحوه .

(١٦) الكلم : الكلام . وتخجل الحسن : تزرى به وتضع من شأنه ، بقوتها و بلوغها الغاية ، جعل شعرهم وما جمع من ألفاظ تختلف لونا وحسنا كالروضة تجمع ألوان الزهر ، وتضم أطيب العطر .

(١٧) التبيان : البيان والافصاح .

(١٨) تسرى : تسير . وشردا : شاردة على وجهها تنتقل من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان . والسرى : السير ، يذكر فى هذا البيت والذى قبله شعراءهم وشواعرهم ، وما صدر عنهم من حكم خالدة ، وأمثال سائرة ، عمت البلدان وعاشت على الأزمان .

قِفْ عَلَى الأَطْلالِ واذْكُرْ أُمَّــةً   خَلَّدَ الأَطْلالَ مأْثُورُ بُــكَاها[١٩]

بَعَثَ اللهُ بِهَا نُورَ الهُــدَى   مِن قُرَيْشٍ فاصْطَفَاه واصْطَفَاها[٢٠]

أَشْرَقَ الصُّبْحُ عَلَى الدُّنْيَا بِه   بَعْدَ أن طَالَ عَلَى الدُّنْيَا دُجَاها[٢١]

وَجَرَى فى الأَرْضِ يَنْبُوعَ هُدًى   بعد أَنْ حَرَّقَهَا حَــرُّ صَدَاها[٢٢]

قَـلَّدَ الفُصْحَى حُلًى قُدْسِــيَّةً   فَزَهَاها من حُلاَها ما زَهَاها[٢٣]

وبَيانًا هاشِمِيــــًّا لو رَمَى   قُلَلَ الأَجبَالِ لانْهَدَّت قُوَاها[٢٤]

أَسْهُمٌ مِنْ كَلِمٍ مَسْنُونَةٌ   جاهَدَتْ فى اللهِ واللهُ بَرَاها[٣٩]

---

(١٩) الأطلال : جمع طلل ، وهو ما بقى من آثار الديار . والأثور : ما يحفظ ويؤثر من كل مليح . ويريد بمأثور بكاها : شعرها فى بكاء الأطلال التى نزح عنها أهلوها وخلفها ساكنوها . وكم للشعراء من وقفات على الأطلال ، وأخرى على الأمن والآثار يبكون ويستبكون جاد فيها شعرهم وملح قولهم .

(٢٠) بها : أى بأمة العرب . ويريد « بنور الهدى » : رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وقريش : قبيلته (صلى الله عليه وسلم) . واصطفاه : اختاره من بين خلقه وخصه برسالته . واصطفاها : جعلها بفضل رسوله خير قبائل العرب وأشرفها .

(٢١) به : بالنبىّ الكريم . يريد بإشراق الصبح على الدنيا : هدايتها وخروجها من ظلمة الكفر والالحاد إلى نور الاسلام وهديه . والدجى : الظــلام . ويريد به عماية الغواية وضلال الوثنية وظلمة الهمجية .

(٢٢) وجرى : الضمير يعود على الرسول والمراد دينه ، جعل الهدى كالينبوع يفيض ماؤه فيطفئ الغلة وتمرع به الأرض وتخصب . وحرقها : أجف أوراقها وأيبس عودها . وحر الصدى : حرقة العطش . يذكر أثر الدين فى تلك البادية وأنه خلق من الفوضى نظاما ، ومن الهمل أمة ذات حضارة ، ومن الخراب عمرانا ، ومن الجدب خصبا .

(٢٣) يريد بالفصحى : اللغة العربيــة . وقدسية : ربانية مقدسة . فزهاها : ملأها عجبا وزهوا .

(٢٤) هاشميا : نسبة إلى بنى هاشم ، آل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وقلل الأجبال : قممها ، الواحــدة : قلة . يقول إن الرسول الــكريم كان لبيانه ولسنه من القوة ما لو رمى به الجبال هــدّها .

(٢٥) براها : هيأها للرمى . يشبّــه خطب الرسول فى الدعوة إلى الدين بالسهام ويقول إن الله تعالى هو أعد الذى هذه السهام وبراها .

كُلَّمَا صَاحَ بِهَا فِى طَيْبَةٍ   مُسْتَثِيرًا رَدَّدَتْهَا لَابَتَاهَا[٢٦]

يَزْعُمُ الشِّعْرُ سَفَاهًا أَنَّه   لو عَفَتْ عَنْهُ القَوَافِى لَحَكَاهَا[٢٧]

نَزَلَ القُرْآنُ بِالضَّادِ فَلَوْ   لَمْ يَكُنْ فِيهَا سِوَاهُ لَكَفَاهَا[٢٨]

حَسْبُهَا أَنْ صَوَّرَتْ مِن آيِهِ   مُعْجِزَاتٍ عَظُمَت أَنْ تَتَنَاهَى[٢٩]

وَبَنُو مَرْوَانَ لِلّهِ هُمُ   عُدَّةُ الفُصْحَى وحُرَّاسُ حِمَاهَا[٣٠]

رُبَّ مَأْثُورٍ لَهُمْ وَدَّ لَهُ   صَدَفُ اللُّؤْلُؤِ لَوْ كَانَ شِفَاهَا[٣١]

خُطَبٌ هُزَّ لَهَا مِنْبَرُهم   يَقْذِفُ الهَوْلَ دِرَاكًا مَنْ رَمَاهَا[٣٢]

وقَوَافٍ سَلْ أَبَا حَزْرَتِهَا   وسَلِ الأَخْطَلَ كَيْفَ ابْتَدَعَاهَا[٣٣]

---

(٢٦) الضمير فى « صاح » يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم . وطيبة : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومستثيراً : مثيراً وموقظاً . ولابتاها : حرتاها ؛ والحرة : الأرض ذات حجارة سود ، وبالمدينة لابتان . ورددتها لابتاها : أى كررت صوتها ليسمعه العالم .

(٢٧) سفاهاً : ضلالا وغرورا . وعفت عنه القوافى : سامحته فى التقيد بها . وحكاها : ماثلها .

(٢٨) بالضاد ، أى باللغة العربية . وسميت بلغة الضاد ، لخلو اللغات الأخرى منها . أى حسب اللغة العربية شرفاً على غيرها أن القرآن نزل بها .

(٢٩) آيه ، أى آيات القرآن . وعظمت أن تتناهى : أى جلت عن أن تنتهى إلى غاية من الاعجاز والقوة ، بل هى دائمة الروعة تكشف كل يوم عن إعجاز جديد .

(٣٠) بنو مروان : ملوك الدولة الأموية . ولله هم : كلمة تقال عند الاعجاب . وعدة الفصحى : حماتها ورجالها الذين تعتمد عليهم وتتقوى بهم . والحمى : ما يجب عليك حياطته والذود عنه . يشير الى تمسكهم بأهداب اللغة وحرصهم على سلامتها .

(٣١) المأثور : القول المختار يحفظ ويؤثر . جعل قولهم فوق نفاسة اللؤلؤ ، تود الأصداف او قامت له مقام الشفاه .

(٣٢) دراكا : متتابعاً ، يدرك بعضه بعضا . ومن رماها ، ضمير المفعول يعود على الخطب .

(٣٣) أبو حزرتها : جرير . وهو والأخطل شاعران أمويان معروفان . وابتدعاها : خلقاها . يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة قبله إلى فضل بنى مروان فى الذود عن العربية وإلى ما خلّفه خطباؤهم وشعراؤهم من كلام موثق وشعر مفلق مستشهداً بما تركه جرير والأخطل من شعر يسير سير الأمثال .

طُفْ ببغداد وسَـــلْ آثارَها ‏ ‏ ‏ أيُّ سِرٍّ كَتَمَتْهُ شَفتاها ![٣٤]

كُلُّ رَسْمٍ قد وَعَى نادِرَةً ‏ ‏ ‏ لو جرَى النُطْقُ عليه لحَكاها[٣٥]

مَشَت الدُنيـــا إليْها تَتَّقِي ‏ ‏ ‏ سُخْطَ بغدادَ وتَسْتَجْدِي رِضاها[٣٦]

وأبو المأمونِ في مَمْلكةٍ ‏ ‏ ‏ يتحدَّى المُزْنَ أنْ تَعْدو قُراها[٣٧]

بَلَغَتْ بنتُ قُرَيْشٍ ذِرْوَةً ‏ ‏ ‏ بِبَنِي العَبَّاسِ صَعْباً مُرْتقاها[٣٨]

بَيْنَ شِــعْرٍ كأزاهيرِ الرُّبا ‏ ‏ ‏ عَكَفَ الغَيْثُ عليها فَسَقاها[٣٩]

هُوَ دَلٌّ رَدَّدَتْهُ قَيْـــنَةٌ ‏ ‏ ‏ وَهْوَ وَجْدٌ فاضَ مِنْ نَفْسِ فَتاها[٤٠]

وعُـــلُومٍ تُرْجِمَتْ وَاسْتُنْبِطَتْ ‏ ‏ ‏ وَفُصُولٍ بَهَرَ الدُّنيا حِجاها[٤١]

آبداتُ القولِ ولَّتْ بَعْدَهُمْ ‏ ‏ ‏ طَيَّبَ اللهُ ثَراهُمْ وثَراها ![٤٢]

---

(٣٤) بغداد : عاصمة العراق ، وقديماً كانت مقر الدولة العباسية فشهدت عهدا من أزهى العهود ، وعصراً من أنضر العصور ، وإلى هذا يشير الشاعر بهذا البيت والأربعة الأبيات التالية .

(٣٥) الرسم : ما بقى من آثار الدار . ونادرة : قصة طريفة مفردة . وحكاها : قالها .

(٣٦) مشت إليها : تقربت منها تزلفا وخضوعا . وتستجدى : تطلب . يشير إلى عزة حكامها وما بلغوا من سطوة وجاه خاف أذاها الأعداء فهابوهم وطلبوا مسالمتهم .

(٣٧) أبو المأمون ، هو الرشيد . والمزن : السحاب ، يشير إلى قول الرشيد حين رأى سحابة عارضة فقال : أمطرى حيث شئت أن تمطرى ، فلن تمطرى إلا حيث سلطانى وملكى . يريد أن رقعة الملك كانت قد اتسعت فى عهده اتساعاً عظيماً .

(٣٨) بنت قريش : هى اللغة العربية . والذروة من كل شىء : أعلاه . ومرتقاها : الرقى إليها

(٣٩) الربا : جمع ربوة ، وهو ما ارتفع من الأرض . وخص أزاهير الربا لأنها أطيب الأزهار نفحة ، وأنضرها صفحة ، لاحتمائها بربائها مما تسفيه عليها الرياح مما يغبرها ويشينها . والغيث : المطر . وخصّ الغيث دون الأنهار ، لأن الربا لارتفاعها لا تسقى بغيره .

(٤٠) الدل : التمنع مع رغبة ، وهو فى النساء محمود . والقينة : الجارية أو المغنية . والوجد : الشوق . يذكر ما جرى به الشعر على ألسنة القيان والفتيان غراما ووجدا .

(٤١) الحجا : العقل ؛ ويريد أثره .

(٤٢) آبدات القول : نوادره وبدائعه ، وطيب الله ثراهم : دعاء لهم بالرحمة .

يا بَنِي العَبَّاسِ في مَصْرَعِكُمْ عِظَةُ الكَوْنِ وَعاها مَنْ وَعاها(٤٣)
أُطْفِئَ النُّـــورُ ودالَتْ دَوْلَةٌ وَطَوَى الدَّهْرُ المُنَى حِينَ طَواها(٤٤)
شَدَّ هُولاكُو عَلَى أَرْبَاضِها شَدَّةَ الذُّؤْبَانِ أَبْصَرْنَ شِياها(٤٥)
وجَرَى مِنْ حَوْلِهِ عِقْبانُهُ كُلَّما أَطْعَمَها هاجَ ضَراها(٤٦)
لَهْفَ نَفْسِي بِنْتُ عَدْنانَ هَوَتْ وأُسُودُ الغِيلِ قَدْ دِيسَ شَراها !(٤٧)
سائِلُوا دِجْــلَةَ عَمَّا رَاعَها أَوْ دَعُوها فَكَفاها ما دَهاها(٤٨)
قَذَفَ الكُتْبَ بِهَا طَاغِيَةٌ هَلْ دَرَى ما كَنَزَتْهُ دَفَّتاها ؟(٤٩)
فَتَأَمَّلْ إِذْ جَــرَى آذِيُّها أَتَرَى فِيهِ عُقُولاً أَمْ مِياها ؟(٥٠)

---

(٤٣) في مصرعكم : في ذهاب دولتكم وزوال ملككم . ووعاها : حفظها وتدبرها .

(٤٤) دالت : زالت وذهبت . وطوى المنى : ذهب بآمالنا وما كنا نرجوه في قيام دول قوية كالدولة العباسية تحمي العربية . يشير بهذا البيت والأبيات العشرة قبله إلى ما نالت اللغة من مجد ورفعة على أيدي العباسيين ، وما اتسعت له من فنون القول شعراً ونثراً ، وما حفلت به اللغة من علوم ترجمت إليها ، وكيف زال هذا بزوالهم وضاع بضياعهم .

(٤٥) هولاكو : هو الزعيم التتري الذي ثل عرش الدولة العباسية . والأرباض : جمع ربض وهو ما حول المدينة ، والشياه : جمع شاه . يذكر بطش هولاكو بهم وما ارتكبه من وحشية وقسوة .

(٤٦) العقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور الجارحة المعروفة بنهمها . وضراها : ما فيها من ولع ونهم بالعدوان والشراسة . جعل جند هولاكو كالطيور الكاسرة تضرى كلما ذاقت طعم الدماء .

(٤٧) لهف نفسي : كلمة للتحسر . وبنت عدنان : اللغة العربية . وعدنان : جد من أجداد العرب . وهوت : سقطت . والغيل : الشجر الملتف واليه تأوي الأسود . والشرى : جبل بتهامة وطريق في سلمى ، وكلاهما معروف بكثرة أسده وشراستها . ويريد به مكانها . وجعلها شرى لقوة أسد هذا المكان وشدة بطشها . ويريد بأسود الغيل : العرب .

(٤٨) دجلة : نهر معروف ، وهو والفرات يرويان العراق . وراعها : أفزعها . ودهاها : أصابها .

(٤٩) بها ، أي بدجلة . ويريد « بالطاغية » : هولاكو . وما كنزته دفتاها : ما حوته . والدفة : الجانب من جلد الكتاب .

(٥٠) الآذي : الموج . ويريد بالعقول : نتاجها الذي حوته الكتب .

ذهبَ العَسْفُ بآثارِ النُّهَى ... كيفَ تحيا أُمَّةٌ ضاعَتْ نهاها ؟(٥١)

طَارَتِ الفُصْحَى لِمِصْرٍ تَبْتَغِي ... ناعِمَ العَيْشِ خَصِيباً فى ذَراها(٥٢)

بَقِيَتْ فِيهــا تُلاقِي شَظَفاً ... فى أَحايِينَ ، وفى حِينٍ رَفاها(٥٣)

ثُمَّ هَبَّتْ حَوْلَهـا عاصِفَةٌ ... خَلَطَ الذُّعْرُ ضُحاها بِمَساها(٥٤)

وإِذَا نَجْـمٌ بَدا مُؤْتَلِقٌ ... شَخَصَتْ نحوَ سَنَاهُ مُقْلَتاها(٥٥)

وإذا مُنْقِذُ مِصْـــرٍ ماثِلٌ ... وإذا مِصْرٌ وقَدْ شُدَّتْ عُراها(٥٦)

وإذا العِـلْمُ يُدَوِّى صَوْتُهُ ... وإذا الضّادُ أَضاءَتْ صَفْحَتاها(٥٧)

ظَفِـرَتْ بالعَبْقَرِيِّ المُرْتَجَى ... فاسْتَجابَتْ للعُـلا لمَّا دَعاها(٥٨)

دَوْلَةُ العِـلْمِ بِهِ رُدَّتْ إلى ... عَرْشِ مِصْرٍ بَعْدَ أَنْ طَالَ نَواها(٥٩)

---

(٥١) العسف : الظلم . والنهى : العقول ، ويريد آثارها . يصف فى هذا البيت والأبيات الستة قبله غارة هولاكو على بغداد وما جنته يده الأثيمة فيها من تخريب وتقويض لمدنية من أزهى المدنيات ، وإمتداد يده إلى الكتب وقذفه بها فى دجلة ليعبر عليها فقضى بذلك على ثروة عظيمة ، ودل على همجية ووحشية .

(٥٢) طارت : خفت . وذراها : نواحيها .

(٥٣) الشظف : سوء العيش وخشونته . ورفاها : رفاهية ونعيما .

(٥٤) ضحاها بمساها ، أى إن نهارها أصبح حالك السواد لا يعرف فيه سبيل للخلاص .

(٥٥) مؤتلق : منير متلألئ . وسناه : ضوءه . والمقلتان : العينان .

(٥٦) يريد بمنقذ مصر : المغفور له محمد على باشا . وماثل : حاضر . والعرا : جمع عروة ، وهى أخت الزر . وشدّ العرا كناية عن القوة .

(٥٧) يدوى صوته : يرتفع عاليا . وصفحتاها : وجهها ، وللوجه صفحتان .

(٥٨) العبقرى : السيد الكامل فيما اتصف به .

(٥٩) نواها : بعدها . يشير بهذا البيت والأبيات السبعة قبله إلى زوال دولة اللغة من بغداد ، وقيامها بمصر ، وما أصابها فى مصر من أطوار مرت بها ، ضعفت معها مرة وقويت أخرى ، حتى أتيح لها عهد محمد على باشا فنهض بها وأعاد لها مكانتها الأولى .

مَنْ كَإِسْماعِيلَ فى آلائِهِ ... يَنْفَدُ القولُ ولا يَفْنَى جَداها؟[٦٠]
زُهِيَتْ مِصْرُ جَمالاً وَسَناً ... بِأَبِى الأَشْبالِ، واهْتَزَّتْ رُباها[٦١]
تَخْجَلُ السُّحْبُ إذا ما وازَنَتْ ... مَرَّةً بَيْنَ نَداهُ وَنَداها[٦٢]
غَرَسَ العِلْمَ بِمِصْرٍ دَوْحَةً ... كُلَّمَا أَخْضَلَها طَابَ جَناها[٦٣]
سَمَتِ الآدابُ والدُّنْيا بِهِ ... وَبَدَتْ تَخْطِرُ فِى أَزْهَى حُلاها[٦٤]
يا ابْنَ إسْمَاعِيلَ يا ذُخْرَ النُّهَى ... جَدَّدَتْ مِصْرُ بِكُمْ عَهْدَ صِباها[٦٥]
كُلُّ أَشْتَاتِ النَّدَى إنْ فُرِّقَتْ ... فَإلَى بابِ فُؤادٍ مُلْتَقاها[٦٦]
هِمَّةٌ شَادَتْ بِمِصْرٍ دَوْلَةً ... صانَها الإِنْصَافُ والعِلْمُ وَقاها[٦٧]

---

(٦٠) الآلاء : النعم . وينفد : ينتهى . والجدى : العطية والمنحة . أى إن نعمه ينتهى القول قبل أن يحصيها ويلم بها .

(٦١) زهيت : تاهت ودلّت . والسنا : الاشراق والتلألؤ . وأبو الأشبال : إسماعيل . والأشبال : أولاده . ويريد باهتزاز الربا إيناعها بالنبت والزرع . وفى هذا دليل على خصب البلاد وما أصابت من رفاهية .

(٦٢) نداه : كرمه وجداه . ونداها : مطرها . جعل نعم إسماعيل تزرى بنعم السحاب إحياء وإنعاشا .

(٦٣) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . شبه العلم بها فى أن كلا منهما يطيب جواره ، ويستظل بظله . وأخضلها : أرواها . والاخضال هنا : امداده إياها بأياديه المتصلة . والجنى : ما تجنيه من الثمر ؛ ويريد ثمار العلم .

(٦٤) سمت : نهضت . وتخطر : تختال مزهوة مدلة . يصف فى هذا البيت والأبيات الأربعة قبله عهد إسماعيل الزاهر فى مصر وأياديه عليها .

(٦٥) ابن اسماعيل ، هو المغفور له الملك أحمد فؤاد . والنهى : العقول . وذخرها : أنفس ما عندها .

(٦٦) الندى : الكرم . وأشتاته : ألوانه وأنواعه . يصف الممدوح بواسع الكرم وعميم الندى .

(٦٧) صانها : حفظها ، وكذلك وقاها .

مَسَحَتْ مِصْرُ بِهِ عَيْنَ الكَرَى ... بَعْدَ أَنْ طالَ عَلَى مِصْرَ كَراها (٦٨)

وَثَبَتْ وَثْبَتَها دَائِبَةً ... كلَّما أَجْهَدَها السَّعْيُ زَجاها (٦٩)

أَيْنَما أَبْصَرْتَ تَلْقَ نَهْضَةً ... تَمْلأُ العيْنَ ، وإِقْبالًا وَجاها (٧٠)

وَقُصُورًا لَامِعاتٍ كَالضُّحَا ... رَدَّدَ العِرْفانَ فِى مِصْرَ صَداها (٧١)

يا نَصِيرَ العِلْمِ فِى مَمْلَكَةٍ ... بَلَغَتْ بِالْعِلْمِ غاياتِ مُناها (٧٢)

كُلَّ يَوْمٍ لَكَ حَفْلٌ لِلعُلا ... وَأَيادٍ تَبْهَرُ الدُّنْيا لُهاها (٧٣)

وَجَدَتْ بِنْتُ قُرَيْشٍ مَوْئِلًا ... فِى ذَرَا المُلْكِ وحِصْنًا مِنْ عِداها (٧٤)

لُغَةُ القُرْءانِ تَزْهَى شَرَفًا ... أَنَّ حامِى الدِّينِ وَالْمُلْكِ حَماها (٧٥)

حِكْمَةُ المَأْمُونِ عَادَتْ دارُها ... بِابْنِ إِسْماعِيلَ مِنْ بَعْدِ بِلاَها (٧٦)

مَجْمَعُ الفُصْحَى تَجَلَّى مُشْرِقًا ... فِى سَماءِ الْمَجْدِ مُجْتازًا سُهاها (٧٧)

---

(٦٨) الكرى : النعاس . ومسح عين الكرى : كناية عن النهوض والانتعاش .

(٦٩) دائبة : غير منقطعة السعى . وأجهدها : أضناها وأتعبها . وزجاها : ساقها ودفعها .

(٧٠) أى إن أياديه على مصر عامة لا يخلو منها مكان .

(٧١) يريد بالقصور : دور العلم . وجعلها مشرقة بنورها . والصدى : ما يعود على المصوت بنفس صوته . وترديد الصدى : كناية عن دوام مدارسة العلم واستمرارها .

(٧٢) غايات مناها : منتهى ما تصبو إليه .

(٧٣) يريد بالحفل : ما يقام ابتهاجا بافتتاح معهد أو بناء مستشفى أو إنشاء مصنع . وتبهر الدنيا : تقفها فى دهشة من شدة حسنها . ولهاها : عطاياها ومنحها .

(٧٤) بنت قريش : اللغة العربية . والموئل : الحصن والملجأ . وفى ذرا الملك : فى كنفه .

(٧٥) تزهى : تتيه مدلة . يعدد فى هذا البيت والأبيات الأحد عشر قبله أيادى فؤاد على مصر من نشر للعلم ورفعة للبلاد .

(٧٦) البلى : الفناء . يشير إلى دار الحكمة التى كانت قائمة أيام المأمون شبّه بها المجمع .

(٧٧) تجلى : ظهر وبدا . ومشرقا : أى وضّاء بآثاره وما ألقى على عاتقه . والسهى : نجم يضرب به المثل فى العلو . جعل مكانة المجمع فوق مكانة هذا النجم ارتفاعاً وعلواً .

هُوَ فِي مِصْرَ مَنَــارٌ كُلَّما أَرْسَلَ الاضْواءَ في مِصْرَ هَداها (٧٨)
رَأَتِ البَصْرَةُ فِيهِ حَفْلَهـا وَرَأَتْ بَغْدادُ فيهِ مُنْتَدَاها (٧٩)
مَنْ رَسُولِي لِأَعارِيبِ اللِّوَى ؟ أَيْنَ أَعْرَابُ اللِّوَى أَيْنَ لِوَاها ؟ (٨٠)
أَنَّ مِصْرًا بَعَثَتْ آدابَهـا وأَبا الفَارُوقِ قَدْ أَحْيا لُغاها (٨١)
وَبَنَى اليَــــومَ عُكاظًا ثَانِيًا تَاهَ إِعْجابًا بِهِ الدَّهْرُ وبَاهَى (٨٢)
هَلْ حَبَـــا الآدَابَ تاجٌ مِثْلَما صاحِبُ التَّاجِ بِمِصْرٍ قَدْ حَباها ؟ (٨٣)
أَنْهَضَ التَّأْلِيفَ مِنْ كَبْوَتِهِ فَسَقَى الأَحْلامَ رُشْدًا وَغَذاها (٨٤)
كَمْ كِتَابٍ دَوَّنَتْ أَخْبَــارُهُ مِنَنًا ، كان فُــؤادٌ مُبْتَداها (٨٥)

---

(٧٨) المنـار : ما تهتدى السفن بضوئه . جعل المجمع لمصر كالمنار للسفن ، له هدايته كما للمنـار نوره .

(٧٩) البصرة وبغداد : مدينتان لهما تاريخهما الزاهر بالحضارة العربيـة . والمنتدى : مجتمع القوم للسمر والتشاور ، أى إن المجمع أحيا سالف عهد زهت فيه البصرة وسمت فيه بغداد .

(٨٠) يريد « بأعاريب اللوى » العرب فى باديتهم . واللوى : منعطف الوادى .

(٨١) أبو الفاروق : المغفور له أحمد فؤاد الأول ملك مصر . يشير بهذا البيت والذى قبله إلى أثر مصر فى رد مجد العربية وإحيائها .

(٨٢) عكاظ : سوق للعرب معروفة ، كانوا يتناشدون فيها الأشعار ويخطبون . وباهى : فاخر . جعل المجمع كعكاظ أثراً فى إحياء اللغة .

(٨٣) حبا : أعطى ومنح . وتاج ، أى صاحب تاج ، ويريد : ملكا .

(٨٤) الـكبوة : العثرة والسقطة . والأحلام : العقول . والرشد : الهدى والصلاح . وغذاها : أمدها بما ينميها وينشئها .

(٨٥) المنن : العطايا . ومبتداها : أصلها والسبب فيها .

رَحَلَ الأَعْلامُ فِي الغَرْبِ إِلَى　　سُدَّةٍ يَسْطَعُ بِالْعِلْمِ سَنَاهَا [٨٦]

فَـــرَأَوْا مَمْلَكَةً وَثَّابَةً　　وَمَلِيكًا بِهُـدَى اللهِ رَعَاهَا [٨٧]

دُمْ فُـؤَادَ الْقُطْرِ ، تَحْيَا أُمَّـةٌ　　لَمْ يَكُنْ إِلَّاكَ يَوْمًا مُرْتَجَاهَا [٨٨]

وَسَمَا الفَارُوقُ نَجْمًـــا ساطِعاً　　لِبَنِي مِصْرَ وَعُنْوانَ عُلاهَا [٨٩]

(٨٦) السدة : بيت الملك . والسنا : الضوء .

(٨٧) وثابة : واسعة الخطو نحو العلا والمجد . ورعاها : حاطها وحفظها .

(٨٨) مرتجاها : أملها ورجاؤها . يشير بهذا البيت والأبيات الخمسة قبله إلى أيادي المليك فؤاد على الآداب وانتعاشها في أيامه وازدهار حركة التأليف واتساع نطاقها ، وما نالته مصر من مكانة أطلقت ألسنة العلماء في الغرب بالاعتراف بفضلها .

(٨٩) يدعو لولي العهد بالعلو والرفعة ، وأن يحيا لمصر رمزاً للمجد وعنواناً للسؤدد .

مِن شاعِرٍ إلى شاعِرٍ

حينما توافد أدباء الأقطار العربية لتكريم المرحوم أحمد شوقى بك فى سنة ١٩٢٧ حيا الشاعر صديقه بهذه القصيدة .

وَقَفْتَ تُجَدِّد آثارَها وتُنْشِرُ للعُرْبِ أَشْعارَها(١)
وتَرْجِعُ بَغْدادَ بعد الفَنَاءِ تُحدِّثُ للنَّاسِ أَخْبارَها(٢)
وتَبْعَثُ حَسَّان من رَمْسِهِ وتُحيِي عُكاظَ وسُمَّارَها(٣)
بشِعْرٍ له نَبَراتٌ تَهُزُّ نِياطَ القُلوبِ وأَوْتَارَها(٤)
أَطاعَتْ قوافِيه بَعْد الشِّماسِ جَرِيءَ القَرِيحَةِ جَبَّارَها(٥)

(١) آثارها ، أى آثار اللغة العربية . تنشر : تبعث بعد الموت .

(٢) بغداد : عاصمة العراق وهى تقع على نهر دجلة أنشأها أبو جعفر المنصور وجعلها مقر ملكه . وكانت مهد الحضارة العربية وأزهى مدن العالم فى العصر العباسى لغة وعلما .

(٣) حسان : هو ابن ثابت الأنصارى الخزرجى الصحابى ، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ، أدرك الجاهلية والاسلام ؛ وتوفى سنة ٤٠ هـ . والرمس : القبر . وعكاظ (يؤنث ويذكر ، فالتأنيث لغة الحجاز والتذكير لغة تميم) : سوق للعرب بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوماً ، وقيل شهراً ، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون . والسمار : المتسامرون . يريد من كانوا يجتمعون لتناشد الأشعار وإلقاء الخطب .

(٤) نبراته : رنين إنشاده وجرس توقيعه . ونياط القلب : عرق غليظ نيط به القلب ، أى علق ، إلى الوتين . أى إن شعره يأخذ بمجامع القلوب فتهتز له النفوس طربا . يصف فى هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله شوقى فى شعره بأنه أحيا دارس اللغة وبعث شعر العرب من مرقده ورجع عهداً لبغداد نرى فيه عز العربية وازدهارها . وكأنه فيما ينظم قد أحيا حسان وعهده وأعاد عكاظ ودولتها .

(٥) القوافى : جمع قافية ، وهى آخر كلمة فى البيت ؛ وقيل : آخر حرف ساكن فيه إلى أول ساكن يليه مع الحركة التى قبل الساكن . وهى أيضاً بمعنى القصيدة . والشماس : التأبى والامتناع . وقريحة الشاعر : ملكته التى يقتدر بها على نظم الشعر . وجرىء القريحة جبارها ، أى شوقى . أى إنه لا تعز عليه قافية دون قافية بل كل القوافى ذلول سلسة القياد أمام قريحته الجبارة الجريئة .

وَنَظْمٍ له نَفَحَاتُ الرِّيَاضِ   إِذَا نَقَّطَ الطَّلُّ أزهارَها(٦)

فَمِن حِكْمةٍ عَلَّمَتْها السِّنُونَ   حِوارَ النُّفوسِ وإِسْرَارَها(٧)

لهـا صَفْحَةُ الْـكَوْنِ مَنْشورةٌ   يُتَرْجِم بالشّـِعر أَسْطارَها(٨)

☆
☆ ☆

وتَشْبِيبِ لاهٍ لَعُوبِ الشَّبابِ   يُناجى السَّماءَ وأَقْـمـارَها(٨)

تراه وَظِلُّ الصِّبَا وارفٌ   جَمُوحَ العَرِيكَةِ مَوَّارَها(١٠)

يُغَنّى كَما صَدَحت أَيْكَةٌ   وقد نَبَّـهَ الصبحُ أَطْيارها(١١)

ويَبْـكِى فيُبْكِى رُسومَ الديارِ   ، حَنَانًا عليـه ، وآثارها(١٢)

ويَنْسَبُ حتى يَلِينَ الهوَى   وتَقْضِى الصَّبَابَةُ أَوْطارهـا(١٣)

---

(٦) نفحات الرياض : ما ينتشر عنها ويفوح من رائحة عطرة . والطل : المطر الضعيف أو الندى . شبّه النظم فى طيبه بالريح العطرة تنبعث من الأزهار غب الأمطار ، والريح التى تنتشر عن الأزهار أطيب ما تكون وأندى بعد طل .

(٧) حوار النفوس : حديثها . والاسرار : مصدر أسرّ ، بمعنى ناجى وأفضى بالسر . يصف شعره بأنه ضمن حكماً ، لطول دربة صاحبها ، أصبحت تنطق عما تحسه النفوس ويدور بالخواطر .

(٨) منشورة : مبسوطة غير مطوية . يصف واسع إلمامه بالحياة ، فهى أمامه كالصفحة المنشورة يقرأ سطورها ثم ينقلها إلينا مترجمة شعرا .

(٩) التشبيب : وصف الشاعر محاسن المرأة وتعديد مناحى الجمال فيها . ولعوب الشباب : مرح به مدلّ . والمناجاة : المسارة . جعله لسهره الليل وقد أقض الهوى مضجعه كأنه يناجى السماء نجومها وأقارها .

(١٠) الوارف : الواسع الممتد . وجعله للصبا ظلا وارفا ، كناية عن اكتمال قوته ، لأن الشجرة إذا تم نموها امتدت فروعها واتسع ظلها . وجموح العريكة ، أى له نفس قوية وطبيعة غالبة ، والجموح : من صفات الخيل ، وهو الذى يركب رأسه لا يثنيه شىء . والموّار : فعال من المور ، وهو مبالغة فى الثورة والاضطراب . يصفه بالاسترسال فى هواه والتمادى فيه .

(١١) الصدح : رفع الصوت بالغناء . والأيكة : الحديقة ذات الأشجار الكثيرة الملتفة .

(١٢) رسوم الديار : آثارها التى تبقى على الأرض دالة عليها .

(١٣) النسيب : التشبيب بالمرأة فى الشعر وذكر محاسنها . والصبابة : حرارة الشوق والهوى . والأوطار : جمع وطر (بالتحريك) وهو الحاجة لك فيها همّ وعناية .

وتنشى الكواعبُ آىَ الحجابِ ... وتبكى العجائزُ أعمارَها (١٤)

* * *

وتصويرِ طَبٍّ صَناعِ اليدَيْن ... حَبَتْه الطّبيعةُ أسرارَها (١٥)

كأنّ (رُفائيلَ) فى كفِّهِ ... يُعيدُ الفُنونَ وأعصارَها (١٦)

يُريك إذا خطَّ فى طِرْسِهِ ... حياةَ القُرون وأدْوارَها (١٧)

ويَرْسُم (أندلُسًا) باليَرَاعِ ... فتلمِسُ كفُّك أَسْوارَها (١٨)

وإن وَصَفَ الحربَ خِلْتَ الحِرابَ ... تَسُدُّ من الأرض أقطارَها (١٩)

فتُمْسِكُ جَنْبك ذُعرًا تخافُ ... قَنَاها وتَرْهَبُ بتّارَها (٢٠)

---

(١٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية نهد ثديها وأشرف ، جعل — فى هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله — حلاوة شعره فى الاسماع كحلاوة تغريد الأطيار على الأفنان فى الصباح . كما جعله إذا بكى الديار نزح عنها أهلها بكت الآثار لبكائه رحمة به وحنانا . وإذا ما نسب وشبب ذل له الهوى ولان فنال منه لباناته . وهو لرقه نسيبه وعذوبة تشبيبه يذهل الكواعب فيلهيها عن الاختمار ، ويملأ قلوب العجائز حسرة على أنهن فى سن لا يصلحن معها لهذا النسيب والتمتع به . يصف شوقيا بجودته الفائقة فى جميع ضروب الشعر وفنونه .

(١٥) الطب (بالفتح) : الماهر فى عمله . وصناع اليدين : يحذق الصنعة بهما . وحبته : منحته وخلعت عليه .

(١٦) رفائيل : مصور إيطالى مبدع ولد فى ٦ ابريل سنة ١٤٨٣ وتوفى فى ٦ ابريل سنة ١٥٢٠ . والأعصار : الأزمنة ، الواحد : عصر (بالفتح) .

(١٧) الطرس : الصحيفة يكتب فيها .

(١٨) اليراع : القلم .

(١٩) الحراب : جمع حربة

(٢٠) الذعر : الخوف . والبتار : السيف القاطع . يصفه فى هذا البيت والأبيات الأربعة قبله بأنه مصور بارع خلعت عليه الطبيعة أسرار جمالها ، وهو فى إبداعه كأنه رفائيل فى دقة تصويره ، يعيد لك جمال الفنون فى عهدها الغابر . وكأنه فى نظمه ينقل إليك صورة صادقة عن القرون فى أدوارها المختلفة . وإذا قال فى الأندلس ، وكان كثيراً ما يقول فيها ، رسم لك عنها صورة تكاد تحسها بيدك على صفحة القرطاس ، وإذا وصف الحرب خيل إليك أنك فى معمعتها وقد سدت عليك الحراب المنافذ فملك الرعب والفزع عليك نفسك ، وانخلعت جوانبك هلعا مخافة أن يلحقك مكروهها أو ينالك أذى سيوفها .

أشَوْقِى وأنت طَبيبُ النُّفوسِ وَضَعْتَ عن النفس آصارَها(٢١)

* * *

نَصَرْتَ الفَضِيلَةَ ، مِن بَعْدِ أنْ طَوَاها الزمانُ ، وأنْصَارَها(٢٢)
وجئْتَ لِمصْرَ كعيسى المَسيحِ تُفَتِّحُ للنُّورِ أبْصَارَها(٢٣)
بآيٍ تُفَصِّلُها مُحْكَمَاتٍ كأنَّ مِنَ الوَحْيِ أفكارَها(٢٤)
تَرُدُّ الشَّبيبَةَ للصالحاتِ وتَرْجِعُ للدِّينِ هَتَّارَها(٢٥)
جَزَيْتُ بِشِعْرِكَ شعراً وهل تُجازى الخَمائلُ أمطارَها ؟(٢٦)
فكنتَ شَريفَ قَوافى البيانِ وكنتُ بِفَضْلكَ مِهيارَها(٢٧)
فَغَرِّد كما شِئْتَ لا فُضَّ فُوكَ وعِش بَطَلَ الضَّادِ مِغْوارَها(٢٨)

---

(٢١) الآصار : جمع إصر ، وهو ما تئن تحته النفس من أثقال وأعباء .

(٢٢) طواها : لفها وأخفاها .

(٢٣) يشير إلى معجزة عيسى عليه السلام فى إبراء الأكمه .

(٢٤) الآيات المحكمات : البينة الواضحة الدلالة .

(٢٥) يريد بالهتار : الذى غلبه الشيطان على عقله فرق من الدين واستخف بتعاليمه . يمدحه فى هذا البيت والأبيات الأربعة قبله بأنه بقوله الشافى كالطبيب وضع عن النفس آلامها وأسقامها . ونصر الفضيلة من بعد ما خذلها الزمان ، وأخرج الناس من عماية الغواية إلى هدى الحق ، مشبها له فى ذلك بعيسى عليه السلام فى إبرائه الأكمه . وأن شعره ونصائحه كانت فى الاحكام والتفصيل كالوحى ، وأنه ألزم الشباب التمسك بالفضيلة ورد المارقين عن الدين والمستخفين به إلى حظيرته .

(٢٦) الخمائل : المواضع الكثيرة الشجر ؛ الواحدة خميلة . يقول إن ما مدحناك به من شعر لا يفى بحقك فهو نعمة من نعمك ، ونحن منك كالخمائل من الأمطار تعجز عن أن تفيها حقها .

(٢٧) مهيار : هو الأديب الشاعر أبو الحسن مهيار بن مرزويه الفارسى الديلمى ، المعروف بجودة الصياغة وقوة الشعر ، وقد كانت وفاته ليلة الأحد لخمس خلون من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٨ هـ

(٢٨) لا فض فوك ، أى لا نثرت أسنانك ولا فرقت . ذكروا الفم وأرادوا الأسنان ، تسمية للشىء باسم محله . يدعو له بالقدرة على الكلام والابانة ما عاش . والضاد ، اللغة العربية لأنها تنفرد بهذا الحرف من بين اللغات . والمغوار : الشجاع الكثير الغارة . يسأل الله له التعمير مدافعا عن العربية ذابا عن حماها .

رثاء شوقى

احتفلت الحكومة المصرية بتأبين المرحوم أحمد شوقي بك ، فاجتمع لذلك بدار الأبرا الملكية حفل حاشد فى سنة ١٩٣٢ حضره شعراء بعض المماليك العربية ، وقد ألقيت هذه القصيدة فى هذا الحفل .

هَلْ نَعَيْتُم لِلْبُحْتُرِيِّ بَيَانَهْ ! أَوْ بَكَيْتُمْ لِمَعْبَدٍ أَلْحَانَهْ !(١)
أَوْ رَأَيْتُم رَوْضَ الْقَرِيضِ هَشِيماً بَعْدَ مَا قَصَّفَ الرَّدَى رَيْحَانَه !(٢)
فُزِّعَتْ طَيْرُهُ ، فَحُوِّمْنَ يَبْكِيـــنَ ذُبُولَ الْخَمِيـــلَةِ الْفَيْنَانَه(٣)
كُنَّ فِي ظِلِّهَا يُغَنِّينَ لِلشَّرْ قِ وَيُنْهِضْنَ لِلْعُلاَ شُبَّانَه(٤)
كُنَّ فِي ظِلِّهَا يُحَيِّينَ مَجْداً صَاعِداً ، ضَلَّتِ النُّجُومُ مَكَانَه(٥)

---

(١) نعيتم : النعى الاخبار بالموت . البحترى : شاعر عباسى اشتهر بالرقة والانسجام وجمال تصوير المعانى ، ونقاء الاسلوب . بكيتم لمعبد الخ : اخبرتم معبداً بموت الحانه . ومعبد : مغن مشهور بجمال الصوت وحسن التوقيع ، عاش فى أوائل الدولة الأموية . والألحان : الأنغام والأصوات التى يضعها المغنى ويصور نغماتها . شبه شعر شوقى بشعر البحترى فى رقته وانسجامه ، وبألحان معبد فى حسن الجرس وجمال التوقيع ، ثم قال إن موت شوقى وانقطاع معين شعره موت لشعر البحترى وفناء لألحان معبد ، فهل نعيتم لهذا شعره ولذاك ألحانه ؟

(٢) يعيد الاستفهام للتفجع ، ويقول : إن الشعر الشبيه بالروض أصبح بعد موته جافا ذاويا بعد أن عبث الموت بأطيب ما فيه من ريحان .

(٣) يقول : إن طيور روض الشعر وبلابله أفزعتها المصيبة ، فأخذت تحوم حزينة تبكى الشاعر الذى كان لهن كالأشجار الملتفة تعيش بين أفنانها وتغرد .

(٤) يقول : إن طيور الشعر فى ظل هذه الخميلة كن يغنين للشرق أناشيد الحماسة والاقدام ، ويدفعن الشبان إلى تطلب معالى الأمور .

(٥) وقد كان شوقى أو كانت طيور خميلته تعلى من شأن مجد الشرق الرفيع الذى سبق النجوم فى العلو ، حتى إنها لم تهتد إلى مكانه لأنه تجاوزها وبلغ مدى فوق مداها .

كُنَّ فى ظِلِّهَا يُنَاغِينَ آما   لاً وَيَبْعَثْنَ هِمَّةً وَهْنَانَه(٦)
أَيُّهَا الطَّيْرُ ضَنَّ مَاءُ الْقَوَافِى   فَبَذَلْنَا دُمُوعَنَا الهَتَّانَه(٧)
مَاتَ يَا طَيْرُ صَادِحٌ تَسْجُدُ الطَّـ   ـيْرُ إِذَا رَجَّعَ الصَّدَى تَحْنَانَه(٨)
نَبَرَاتٌ تَخَالُهَا صَوْتَ دَاوُ   دَ بِلَفْظٍ تَخَالُهُ تِبْيَانَه(٩)
عَلَّمَتْ الابْتِسَامَ زَنْبَقَةَ الْوَا   دِى وَأَوْحَتْ لِغُصْنِهِ مَيَلاَنَه(١٠)
مَاتَ شَوْقِى ، وَكَانَ أَنفَذَ سَهْمٍ   صَائِبِ الرَّمْىِ مِنْ سِهَامِ الكِنَانَه(١١)
اِبْكِ لِلشَّمْسِ فِى السَّمَاءِ أَخَاهَا   وَابْكِ لِلدَّهْرِ قَلْبَهُ وَلِسَانَه(١٢)

---

(٦) يقول : إن شعر شوقى كان يداعب الآمال ليذهب عنها غاشية اليأس ، ويبعث الهمم الضعيفة الراكدة .

(٧) ضن : بخل . القوافى : جمع قافية ، والمراد الشعر ، ويراد بماء القوافى جمالها ونضرتها ، يقال هذا شعر كثير الماء : أى نضير له رونق وجمال . والهتانة : الهاطلة . يقول : إن الشعر لم يفض معينه لرثاء الفقيد لهول المصاب الذى أخذ عليه منافذ الخيال ، فلم نملك إلا بذل دموعنا عليه .

(٨) ينعى إلى الطير موت الشاعر الصداح الذى كانت الطير تسجد إجلالا وإعظاماً لصوته إذا رددت الآفاق صدى أنغامه .

(٩) داود : من رسل الله عليهم السلام ، اشتهر بجمال صوته وحسن توقيع مزاميره ، أى إن الأصوات التى يتألف شعر شوقى منها تشبه أصوات داود فى حسن تأليفها ، وجمال أنغامها ، وإن ألفاظ شعره فى جزالتها وبلاغتها تشبه مزاميره .

(١٠) الزنبق : الياسمين . والوادى : هو وادى النيل ، يقول : إن هذه النبرات الشعرية فاقت فى جمالها ياسمين مصر ، وفى لينها وسلاستها الغصن المياد ، وإنها هى التى علمت هذه الزهرة كيف تبتسم ، وألهمت الغصن كيف يميل ويتثنى .

(١١) أنفذ : أمضى . والكنانة : جعبة السهام ، وهى أيضاً مصر ، وفى الأثر : مصر كنانة الله فى أرضه ، ففى الكلام تورية : يقول : إن شوقى كان أمضى سهم وأسده فى الدفاع عن مصر .

(١٢) بكاه : رثاه وعدد مآثره . يقول : إن شوقيا كانت له رفعة الشمس حتى كأنه أخوها فى العظم وبعد الشأن ، وكان يشبه الدهر فى إحاطته بالأمور ، والعلم بتصاريفها ، فاندبه للشمس وابكه للدهر .

وَابْكِهِ لِلنُّجُومِ ، كَمْ سَامَرَتْهُ مَالِئَاتٍ بِوَحْيِهَا آذَانَه (١٣)
وَابْكِ لِلرَّوْضِ وَاصِفًا يُخْجِلُ الرَّوْ ضُ إِذَا هَزَّ بِالْيَرَاعِ بَنَانَه (١٤)
وَابْكِهِ لِلْخَيَالِ صَفْوًا نَقِيًّا إِنَّهُ كَانَ فِى الْوَرَى تُرْجُمَانَه (١٥)

*
* *

مَلأَ الشَّرْقَ مَوْتُ مَنْ مَلأَ الشَّرْ قَ حَيَاةً وَقُوَّةً وَزَكَانَه (١٦)
كَمْ يَتِيمٍ مِنَ الْمَعَانِى غَرِيبٍ مَسَحَتْ كَفُّهُ عَلَيْهِ فَصَانَه (١٧)
وَشَمُوسٍ رَنَا إِلَيْهِ ، فَأَلْقَى رَأْسَهُ خَاضِعًا وَأَعْطَى عِنَانَه (١٨)
وَنَفُورٍ أَزْرَى بِصَيَّادِهِ الطَّبِّ وَأَعْيَا قِسِيَّهُ وَسِنَانَه (١٩)

---

(١٣) سامرته : حادثته ليلا . أى وأندبه أيضاً للنجوم التى طالما قلّب عينيه فيها واستلهمها ، فحدثته بروائع الخيال ، وملأت أذنيه إلهاماً ووحياً .

(١٤) اليراع هنا القلم . والبنان : أطراف الأصابع . يقول : اندب للروض شوقيا الوصاف الذى إذا حركت أصابعه القلم ، وجرّد شعره للوصف ، أتى بالمعجب الرائع الذى يخجل جماله الرياض .

(١٥) كان شوقى بين الشعراء جميعا خير مترجم لما يجول فى النفس من ضروب الخيال على دقتها وتركب صورها ، فابك للخيال الصافى النقى أصدق مترجم لتهاويله .

(١٦) الزكانة : الفهم والفطنة . والمعنى أن خبر وفاة شوقى ملأ آفاق الشرق ، ووصل الحزن على الفجيعة فيه إلى كل مكان ، لأنه هو الذى ملأ الشرق فى حياته بقوة شعره وشدة تأثيره حياة وقوة وفهما .

(١٧) اليتيم : الصغير الذى مات أبوه . ويتيم المعانى فريدها الذى لا يصل إليه إلا الفكر النفاذ ، والمسح على رأس اليتيم كناية عن الرفق والرحمة . يقول : كثيراً ما اجتذب شوقي المعانى الفريدة الغريبة التى تعز على كبار الشعراء برفقه وحسن تأتيه فحماها من اليتم والغربة .

(١٨) الشموس الفرس الجامح ، ويراد به هنا المعنى المستعصى على القائل . رنا : أدام النظر ، العنان : سير اللجام . أى وكثيراً ما وجه نظره إلى المعنى المستعصى على الفكر ، كما يوجه الساحر نظراته ، فخضع المعنى لنظرته الساحرة .

(١٩) أزرى : احتقر ، الطب : الخبير الحاذق ، أعيا : أعجز . القسى : جمع قوس وهى آلة للحرب والصيد ، والسنان : جمع سن : وهى طرف السهم . أى وكم من معنى كالصيد النافر الذى سخر من صياده الحاذق ، وأعجز آلات صيده . وسيستمر الشاعر فى سبعة الأبيات الآتية فى وصف هذا الصيد النافر الذى شبه به المعنى الذى يعي الشاعر لكثرة تفلته ونفوره .

نَظْـرَةٌ تَلْتَقِي بِهِ يَنْهَبُ الْوَا دِي،وَأُخْرَى تَرَاهُ يَطْوِى رِعَانَه(٢٠)
تَسْـبِقُ السَّهْمَ عينُهُ ، فـتَرَاهُ يَتَلَوَّى تَلَوِّىَ الْخَـيْزُرَانَه(٢١)
ثُمَّ يَخْفَى ، فَلا تَرَاهُ عُيُـونٌ ثُمَّ يَبْدُو ، فَلَا تَشُكَّ عِيَانَه(٢٢)
أَجْهَدَ الْفَارِسَ الْمُلِحَّ ، وَأَفْنَى نَبْـلَهُ حَوْلَهُ ، وَأَضْنَى حِصَانَه(٢٣)
وَهْوَ يَعْدُو : لَا الرَّأْسُ مَالَ مِنَ الأَيْـــنِ ، وَلا قَلْبُهُ شَـكَا خَفَقَانَه(٢٤)
مَـدَّ شَوْقِي إِلَيْـهِ نَظْرَةَ سِحْرٍ عَوَّقَتْ دُونَ شَوْطِهِ جَرَيَانَه(٢٥)
فَأَتَى مِشْـــيَةَ الْمُقَيَّدِ يَسْـعَى بَيْنَ هَوْلٍ وَذِلَّةٍ وَاسْتِـكَانَه(٢٦)

✿
✿ ✿

---

(٢٠) الرعان : جمع رعن وهو الجبل : يقول إن هذا الصيد سريع العدو فبينما تراه ينساب فى الوادى ، إذا بك تراه فى النظرة الثانية يثب فوق جباله .

(٢١) يقول : إنه شديد الحذر صادق الحس، وإن عينه تسبق مرور السهم ، فاذا رأى اتجاهه لوى جسمه الذى يشبه الخيزران فى اللين ليتجنب موقعه .

(٢١) العيان : المشاهدة أى إنه لسرعة جريه يختفى منك فجأة حتى لا تشك فى ضياع الأمل فيه ، ولـكنه خبيث معاند لأنه يظهر لك بعد لحظة فلا تشك فى وجوده ، وأنه ماثل أمام عينيك مشاهد.

(٢٣) الملح : المثابر أى إنه ما زال يراوغ الفارس الذى حاول صيده حتى أتعبه وأفنى سهامه التى لم تصب المرمى ، وترك حصانه يلهث نصباً وإعياء .

(٢٤) الأين : التعب . يقول : والصيد بعد كل ذلك يجرى دون أن يظهر عليه أثر التعب ، فلا راسه مال ، ولا قلبه خفق .

(٢٥) عوقت : أخرت . هذا الصيد النافر العنيد الذى شبه به المعنى المراوغ نظر إليه شوقى نظرة الساحر الشديد التأثير فى إمثاله من الحيوان الجامح فكبح نفاره ، وصد جريه دون بلوغ أقصى مداه .

(٢٦) فأتى مشية القيد : أتى يمشى كمشى المقيد ، وهى مشية فيها تعثر وبطء . والهول : الخوف والاستكانة : الخضوع .

غَزَلٌ كالشَّبَابِ ينْضَحُ آمالاً ويهتزُّ في حِلَى فَتَّانَه[٢٧]

تَسْمعُ الْحُبَّ في نَواحِيهِ هَمْسًا يَتَناجَى ، ويَشْتَكِى أشْجَانَه[٢٨]

وتُحِسُّ الْهَوَى يرِفُّ حَنَانًا شَرَكُ الْحُبِّ أنْ تُحِسَّ حَنَانَه ![٢٩]

وإذَا جَالَ وَاصِفًا رَاعَكَ الْحُسْنُ ، وَأَكْبَرْتَ فَنَّهُ ، وافْتِنَانَه[٣٠]

صُوَرٌ زَيْتُهَا بَيَانٌ سَرِىٌّ مَزَجَ اللهُ وَحْدَهُ أَلْوَانَه[٣١]

لَوْ (رُفَائِيلُ) راءها ، غَالَهُ الْبَهْرُ ، وَأَلْقَى أَلْوَاحَهُ وَدِهَانَه[٣٢]

عالِمٌ بِالنُّفُوسِ ما غَاصَ مِيلٌ فِى خَفَايَا النُّفُوسِ حتَّى أبَانَه[٣٣]

---

(٢٧) أخذ الشاعر يصف فنون شعر شوقى فى هذا البيت وفى الأحد عشر بيتاً الآتية ، فوصف غزله بأنه كالشباب الناضر ملىء أملاً وقوة ، فهو ينشر الأمل ويطوى اليأس ، وهو جميل رائع يهتز فتهتز معه حلىً وزينة فى اللفظ والتصوير تفتن العقول .

(٢٨) همساً : أى يهمس همساً . والهمس الصوت الخفى . يتناجى : أى يحدث فيه المحب حبيبه سراً ، والأشجان : الأحزان . يقول : إن غزله لدقة تصويره للواعج الغرام ، يسمعك همس المحبين ونجواهم وشكوى آلامهم .

(٢٩) يرف : رف الطائر حرك جناحيه ، وقد يرف الطائر على فرخه رف حنان ورحمة . يقول : إن غزله يجعلك تحس عطف الحب وحنانه ، وهو يرف نحوك بجناحيه . ثم عاد يقول : وهذا الحنان أول أشراك الحب ، فان التأثر بالحنان أول مراتب الغرام .

(٣٠) راعك : أعجبك . والافتنان : الابتداع . يصف قدرة شوقى فى الوصف وأنه يمثل الجمال والفن والابداع .

(٣١) سرى : شريف . يقول إنه يرسم بوصفه صوراً ، ولما كانت الصور ترسم بالزيت قال إن زيت صوره بيان شريف وقول نبيل ، وإن الله وحده هو الذى مزج له الألوان ، فجاءت صوره أبدع الصور ، لأن الله (جل شأنه) هو ملهمها والموحى بها .

(٣٢) رفائيل : مصور إيطالى قديم بعيد الشهرة . راءها : رآها . غاله : اغتاله على غرة ، والبهر : العجب . أى إن روفائيل لو رأى صور شوقى الشعرية لملك العجب عليه نفسه ، وألقى بألواحه التى رسم صوره فوقها ، وبدهانه الذى صورها به ، احتقاراً لفنه بجانب فنون شوقى وبراعة تصويره .

(٣٣) يصف شوقيا بأنه درس طبائع النفوس وفهم أسرارها وصاغ كل ذلك فى شعره حكما عالية ، فما خفى عنه ميل من ميول الطبائع كيفما دق وخفى مكانه .

أَوْدَعَ الدَّهْرُ مِسْمَعَيْهِ عَنِ الكَوْ ... نِ حَدِيثاً فَلَمْ يُطِقْ كِتْمَانَه(٣٤)

ذَاكَ سِرُّ الإِلَهِ يَخْتَصُّ مَنْ شَا ... ءَ بِآثَارِ فَضْلِهِ — سُبْحَانَه ! (٣٥)

وَرِثَاءٌ لَوْ كَانَ يَسْـمَعُهُ المَيْـ ... ـتُ لَأَحْيَا بِسِحْرِهِ جُثْمَانَه(٣٦)

عَرَفَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ جَمِيعاً ... وَرَأَى بَعْدَ حَيْرَةٍ بُرْهَانَه(٣٧)

وَالرِّوَايَاتُ ، أَدْهَشَتْ كُلَّ لُبٍّ ... ثُمَّ أَرْبَتْ ، فَأَدْهَشَتْ شَيْطَانَه(٣٨)

يُغْمِضُ العَيْنَ فِي اضْطِرَابٍ إِذَا حَـ ... ـسَّ طُرُوقَ الإِلْهَامِ أَوْ غِشْيَانَه(٣٩)

ثُمَّ يُمْلِي كَأَنَّهُ مِنْ كِتَابٍ ... قَارِئٌ فِي سُهُولَةٍ وَمَرَانَه(٤٠)

جَوْهَرِيٌّ وَدَّ الكَوَاعِبُ لَوْ يَشْـ ... ـرِينَ يَوْماً بِحُسْنِهِنَّ جُمَانَه(٤١)

---

(٣٤) المسمع : آلة السمع وهى الأذن . يقول : إن الدهر بما فيه من علم وتجارب همس فى أذنيه حديثا عن الحياة وأسرارها ، والكون وعجائبه ، فلم يستطع كتم هذا الحديث بل أشاعه شعرا .

(٣٥) أى إن هذه الموهبة ، وهى الاحاطة بدخائل النفوس وعجائب الكون وطبائعه ، هى من أسرار الله ومنحه التى يختص بها من يشاء من عباده .

(٣٦) يصف رثاءه البليغ الرائع بأن به سحراً وأن المرثى لو استطاع سمعه لعاد إلى الحياة .

(٣٧) يصفه بأنه أدرك معنى الحياة وأنها زائلة ، وعرف معنى الموت ، وأنه طريق إلى الآخرة ، وأنه رأى على صدق ذلك برهانه الذى طالما بحث عنه فى حيرة وشك .

(٣٨) يشير إلى ما ابتدعه شوقى من روايات شعرية تمثيلية وأنها أدهشت العقول بجمال شعرها ، ثم تكاثرت فيها أسباب الدهش حتى أدهشت شيطان شوقى نفسه الذى يلقنه الشعر . وكانت العرب تزعم أن لكل شاعر شيطانا يلقى الشعر فى نفسه .

(٣٩) طروق الألهام : نزوله ، والمراد ورود المعنى الشعرى إلى نفسه . يصفه وهو يقرض الشعر بأنه حينما يحس خطور المعانى كان يغمض عينيه فى اضطراب واهتزاز ، وكان فى عينى شوقى هذا الاهتزاز ، ولكنه كان يزيد عند محاولة القريض .

(٤٠) المرانة : اللين، يقول : إنه بعد أن تهتز عيناه عند هبوط الالهام ، ينطلق لسانه بعد لحظة بالشعر فى سهولة ويسر ، كأنه يقرأ من كتاب .

(٤١) كان جوهريا ، جواهره المعانى الغالية ، والأساليب البراقة ، حتى لقد تمنت الفتيات الحسان ، لو اشترين لآلئه بكل ما فيهن من صباحة وجمال .

زَانَ مِصْرًا بِلُؤْلُوءٍ يَبْهَرُ الْعَيْـــنَ ، وَأَوْلَى تَارِيخَهَا عِقْيَانَهْ(٤٢)

☆
☆ ☆

كَانَ صَبًّا بِمِصْرَ كَمْ هَامَ شَوْقًا   بِرُبَاهَا وَبَثَّهَـا أَحْزَانَهْ(٤٣)

دَفَنَ اللَّهْوَ وَالصِّبَا فِى ثَرَاهَا   وَطوَى مِنْ شَبَابِهِ عُنْفُوَانَهْ(٤٤)

هِىَ بُسْتَانُهُ ، فَغَـرَّدَ فِيـهِ   وحَبَا كُلَّ قَلْبِـهِ بُسْتَانَهْ(٤٥)

يَحْرُسُ الْفَنَّ فِى ظِلَالِ نَوَاحِيـــهِ وَيَرْمِى عَنْ دَوْحِهِ غِرْبَانَهْ(٤٦)

يَعْشَقُ النِّيلَ ، وَالْخَمَائِلُ تَهْتَـــزُّ بِشَطَّيْهِ خُضْرَةً وَلَدَانَهْ(٤٧)

يَعْشَقُ النِّيلَ ، وَالْجَزِيرَةُ تُغْرِيـــهِ ، وَقَدْ لَفَّ حَوْلَهَا أَرْدَانَهْ(٤٨)

---

(٤٢) العقيان : الذهب . يقول : إن هذا الجوهرى زين مصر بلؤلؤ من شعره الذى أشاد فيه بمجدها يغلب العيون بصفائه وحسنه ، ووهب لتاريخها العظيم ذهبا غاليا من بدائع قصائده .

(٤٣) الصب : العاشق المشغوف . الربا : جمع ربوة وهى المرتفع من الأرض، بثها : شكى إليها، يقول : كان محباً لوطنه شديد الهيام به ، ولطالما سمعناه فى شعره يناجى وديانه وجباله ، ويشكو إليه ما به من بث وأحزان ، وأظهر ما يتجلى ذلك فى قصائده التى قالها وهو منفى بأسبانيا .

(٤٤) الثرى : التراب . العنفوان : القوة، هذا البيت وما يليه فى قوة التعليل لسابقه . أى إنه كان يحب مصر لأنه قضى أيام لهوه ومجونه فيها ، وهى أعز الأيام وأطيبها ، ولأنه صرف زهرة شبابه بين ربوعها .

(٤٥) ثم إنها بستانه الذى غرد فيه بشعره ، ومنحه كل حبه وهيامه .

(٤٦) وقد كان شوقى يحمى الفن الرفيع فى مصر ، ويذود عنه الأدعياء الذين هم كالغربان ، لا ينال الفن منهم الا نعابا ونعيقا .

(٤٧) الخمائل : الأشجار الملتفة . واللدانه : اللين . يقول : إنه كان يعشق النيل والأشجار الكثيرة التى تزين شاطئيه وتهتز مع النسيم لخضرتها ولينها .

(٤٨) الجزيرة التى يكونها النيل أمام القاهرة حينما يتفرع فرعين ، وهى كثيرة الحدائق رائعة المناظر ، وتعد من أحسن متنزهات القاهرة . والردن : الكم والمراد به هنا الذراع . يقول إنه كان يعشق النيل الذى أغرته الجزيرة بحسنها وجمالها فلف حول خصرها ذراعيه .

يَمْشَقُ الْجِسْرَ ، والسَّفَائِنُ تَهْفُو   حَوْلَهُ كَالْحَمَائِمِ الظَّمْآنَهْ(٤٩)
وَيُحِبُّ السَّوَادَ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ   مَالِئاً مِنْ رُوَائِهِ أَجْفَانَهْ(٥٠)
كُلُّ شَيْءٍ بِمِصْرَ يَبْهَرُ عَيْنَيْـــهِ جَمَالًا ، وَيَسْتَثِيرُ جَنَانَهْ(٥١)
كُلَّمَا هَزَّهُ إِلَى الشِّـعْرِ شَوْقٌ   جَذَبَ الْحُبُّ نَحْوَهَا وِجْدَانَهْ(٥٢)
فَشَدَا بِاسْمِهَا كَمَا تَصْدَحُ الطَّيْـــرُ ، وَقَدْ شَمَّرَ الدُّجَى طَيْلَسَانَهْ(٥٣)
وَجَلَا مَجْدَهَا الْقَدِيمَ جَدِيداً   بَعْدَ مَا هَدَّمَ الْبِلَى أَرْكَانَهْ(٥٤)
فِي خُشُوعٍ يُشِيدُ بِاسْمِ (فُؤَادٍ)   مِثْلَمَا رَدَّدَ الْمُصَلِّي أَذَانَهْ(٥٥)

---

(٤٩) الجسر : المراد به جسر إسماعيل بالقاهرة . تهفو : هفا الطائر حرك جناحيه ، أى إنه يحب الجسر وقد سارت السفن حوله ، وحركت الريح أشرعتها البيض ، فاشبهت الحمائم التى تحرك أجنحتها عند ورود الماء .

(٥٠) السواد : سواد البلدة قراها التى حولها . وعين شمس : ضاحية من ضواحى القاهرة كان يسكن بها شوقى قبل أن ينتقل إلى الجيزة . أى إنه كان يحب ريف عين شمس ويملأ عينيه من جماله . وفى سواد عين شمس حسن بديعى .

(٥١) يستثير جنانه : يثير عواطفه .

(٥٢) يقول : إنه كلما جن ومال إلى قول الشعر ، جذب حب مصر خياله وعواطفه إلى القول فى مصر والتمدح بجمالها وعظمتها .

(٥٣) شدا : غنى . والطيلسان : ثوب فضفاض أسود من لباس العجم ، أى إنه كان يغنى مشيداً باسم مصر كما تغنى الطير عند ظهور تباشير الصباح ، وعند ما يأخذ الليل فى خلع ثوبه الأسود .

(٥٤) جلا : أظهر : يقول : وقد أعاد إليها مجدها القديم بقصائده التى نوه فيها بمدنيتها الغابرة بعد أن زالت آثارها .

(٥٥) يشيد باسم فؤاد : يرفع صوته بالثناء عليه . وفؤاد هو المغفور له فؤاد الأول والد صاحب الجلالة مليكنا فاروق . أى إنه كان يرفع صوته بمدح الملك فؤاد فى إجلال وخشوع ، كما يكرر المصلى الأذان فى تعبد وخشية .

مَلِكٌ مَدَّ لِلْفُنُونِ يَمِينًا عَلَّمَتْ كُلَّ مُحْسِنٍ إِحْسَانَه(٥٦)
نَظْرَةٌ مِنْهُ زَادَتِ الشِّعْرَ زَهْوًا وَأَعَادَتْ لِعَهْدِهِ رَيْعَانَه(٥٧)
نَحْنُ فِي ظِلِّ تَاجِهِ فِي زَمَانٍ وَدَّ (هَارُونُ) أَنْ يَكُونَ زَمَانَه(٥٨)

*
* *

أَوَّلُ السَّابِقِينَ شَوْقِي ، إِذَا جَا لَ ذَوُو السَّبْقِ يَبْتَغُونَ رِهَانَه(٥٩)
شِعْرُهُ حِكْمَةٌ ، وَصِدْقُ خَيَالٍ وَجَمَالٌ ، وَرَوْعَةٌ ، وَرَصَانَه(٦٠)
وَمَعَانٍ شَوْقِيَّةٌ ، فِي سِيَاقٍ بُحْتُرِيٍّ ، وَرِقَّةٌ فِي مَتَانَه(٦١)
يَا مُجِيرَ الْفُصْحَى وَقَدْ عَقَّهَا الدَّهْـ ـرُ وَأَغْرَى بِقَوْمِهَا حِدْثَانَه !(٦٢)
نَزَلَتْ فِي ذَرَاكَ رَوْضًا مَرِيعًا هَدَلَ النَّوْرُ وَالْجَنَى أَغْصَانَه(٦٣)

---

(٥٦) مد اليمين : كناية عن المساعدة والنصرة . يقول إن تشجيع المغفور له الملك فؤاد للفنون دفع الفنانين إلى الاجادة .

(٥٧) الريعان : القوة .

(٥٨) هارون : هو هارون الرشيد ، وقد كان عصره أزهى عصور الدولة العباسية فى العلم والشعر والأدب .

(٥٩) الرهان والمراهنة : المسابقة على جعل يناله السابق .

(٦٠) يصف شعر شوقى بالروعة والقوة وأنه صورة للحكمة والخيال الصادق وجمال الفن .

(٦١) يقول : إن معانى شعره شوقية انفرد بها ، واختص بابتكارها ، وإن أسلوبه يشبه أسلوب البحترى فى حسن الوصف وجمال الديباجة ، وإن الدقة امتزجت فيه بالمتانة .

(٦٢) الفصحى : اللغة العربية . عقها الدهر : ظلمها ولم ينصفها . الحدثان : النوب والمصائب .

(٦٣) الذرا : الكنف والجانب . مريعاً : مخصباً ناضراً . هدل : هدله أرخاه إلى أسفل . النور : الزهر . الجنى : ما يجنى ويجمع من ثمر أو نحوه . يقول إن العربية أقامت فى كنفك وحياطتك ، فأقامت فى روض مخصب أمال الزهر والثمر أغصانه .

واستعادت حُسْن الشَّبابِ وَكَانَتْ رَمَقاً بَيْنَ كَبْرَةٍ وَزَمَانَه(٦٤)
وَحَمَتْهَا يَدَاكَ مِنْ شَرٍّ باغٍ فِي زَمَانٍ طَغَتْ عَلَيْهِ الرَّطَانَه(٦٥)
ذَكَّرَتْهَا رَنَّاتُ صَوْتِكَ قَوْماً سَلَفُوا مِنْ هَوَازِنٍ وَكِنَانَه(٦٦)

*
* *

رَفَعَتْ مِصْرُ رَايَةَ الشِّعْرِ فِي الشَّرْ قِ، وَأَوْلَتْ أَمِيرَهُ صَوْلَجَانَه(٦٧)
وَمَشَى الدَّهْرُ فِي الْوُفُودِ إِلَى الْبَيْـعَةِ يَحْثُثْ نَحْوَهُ رُكْبَانَه(٦٨)
وَرَأَيْنَا مَجْـداً يُشَادُ لِمِصْرٍ يَعْجِزُ الْوَهْمُ أَنْ يَنَالَ قِنَانَه(٦٩)
وَسَمِعْنَا بِكُلِّ أُفْقٍ رَنِيناً رَدَّدَتْه الْقَصَائِدُ الرَّنَّانَه(٧٠)

---

(٦٤) الرمق : بقية الحياة قبل الموت . والكبرة : الشيخوخة والهرم . الزمانة : العاهة ، وفعله زمن (كفرح) .

(٦٥) الرطانة : التكلم بالأعجمية . ورطن له ، وراطنه : كلمه بها ، وتراطنوا : تكلموا بها . يقول إنك بشعرك أحييت العربية ، وحميتها من دعاة السوء الذين رموها بالعقم والعجز عن مسايرة الحياة الجديدة ، وتظرفوا باقحام كثير من الكلمات الأعجمية فى أحاديثهم .

(٦٦) هوازن : قبيلة من قيس . كنانة : قبيلة من مضر . أى إن العربية حينما كانت تسمع شعرك فى أسلوبه الجزل وخياله العربى الرائع كانت تتذكر عهد رجالها السالفين ، حين كانت تزهى بين قبائلها من هوازن وكنانة وغيرهما .

(٦٧) رفعت مصر الخ : كناية عن الزعامة الشعرية . والصولجان : اشتهر فى عصاً تجعل شعاراً للملك .

(٦٨) يشير إلى حادث اجتماع شعراء الأقطار العربيـة فى سنة ١٩٢٧ لمبايعة شوقى على إمارة الشعر . ويقول إن الدهر نفسه سار لمبايعته مع هؤلاء الوفود وكان أشدهم تحمساً وأرغبهم فى الاسراع .

(٦٩) القنان : جمع قنة بالضم وهى القمة ، أى إنه بشعره بنى مجداً رفيعاً لمصر ، لا يستطيع الوهم أن يصل إلى قمته .

(٧٠) جعل شعره يتردد فى كل قطر من أقطار العرب .

هَكَذَا كُلُّ مَنْ يُرِيدُ خُلُوداً   يَجْعَلُ الْكَوْنَ كُلَّهُ مَيْدَانَهْ[٧١]

هَكَذَا فَلْيَسِرْ إِلَى الْمَجْدِ مَنْ شَا   ءَ ، وَيَرْفَعْ بِذِكْرِهِ أَوْطَانَهْ[٧٢]

* * *

خُلُقٌ كَالنَّدَى وَقَدْ نَقَّطَ الزَّهْـ   ـرَ ، فَحَلَّى وَشْىَ الرِّيَاضِ وَزَانَهْ[٧٣]

وَصِبًا ، يَمْلَأُ الزَّمَانَ ابْتِسَامًا   وَحِجًا ، يَمْلَأُ الزَّمَانَ رَزَانَهْ[٧٤]

وَسَمَاحٌ يَلْقَى الصَّرِيخَ بِوَجْهٍ   تَحْسُدُ الشَّمْسُ فِي الضُّحَا لَمَعَانَهْ[٧٥]

شَمَمٌ فِي تَوَاضُعٍ ، وَحَيَاءٌ   فِي وَقَارٍ ، وَفِطْنَةٌ فِي لَقَانَهْ[٧٦]

وَحَدِيثٌ حُلْوٌ ، لَهُ رَوْعَةُ الشِّعْـ   ـرِ ، فَلَوْ كَانَ ذَا قَوَافٍ لَكَانَهْ[٧٧]

---

(٧١) يقول إن الفنان الذى يريد خلود فنه لا يقصره على بلده أو قومه ، بل يجعل الدنيا جميعها ميداناً لنبوغه .

(٧٢) يدعو العاملين فى أى ناحية من نواحى العمل إلى اقتفاء أثر شوقى فى الاجادة والوصول فى العمل إلى الغاية . وبذلك يسمو الوطن برجاله ويعلو ذكره بين الأمم .

(٧٣) الوشى : نقش الثوب . يصف فى هـذا البيت وعشرة الأبيات بعده أخلاق شوقى وصفاته ، فيقول : إن أخلاقه فى اللطف والرقة والصفاء تشبه النـدى فوق الأزهار يزيد ألوان الرياض التى تشبه الوشى جمالا ويزينها .

(٧٤) الحجا : العقل . الرزانة : الوقار ، وفعلها رزن ككرم يقول : إنه كان على تقدم سنه يحمل بين جنبيه قلب شاب يبتسم للدنيا وتبتسم له ، وكان له إلى جانب ذلك من العقل والجد وأصالة الرأى ما يكاد يملأ الزمان وقاراً .

(٧٥) السماح : الكرم . الصريخ : المستغيث والملتجىء . يصفه بالكرم وأنه كان يلق من يلجأ إلى إحسانه بوجه مشرق متهلل ، تحسد الشمس وهى فى الضحا حسن بريقه وشعاعه .

(٧٦) اللقانة : سرعة الفهم . يصفه بالشمم وإباء الضيم مع التواضع ، وبالحيـاء مع الوقار ، وبالذكاء وسرعة الفهم .

(٧٧) يقول إن حديثه كان له جمال الشعر وتأثيره ، فلو كانت له قواف لكان شعراً .

وَيقِينٌ باللهِ ، ما مَسَّهُ الضَّعْفُ،وَلاَ طَائِفٌ مِنَ الشَّكِّ شانَه(٧٨)

هُوَ فِي الشَّمْسِ والكَواكِبِ نُورٌ وَهْوَ فِي الأَرْضِ وَالْجِبالِ رَكَانَه(٧٩)

مَلَكَ الدِّينُ قَلْبَهُ وَهَوَاهُ وَجَلاَ الشِّعْرُ سَاطِعاً إِيمَانَه(٨٠)

يَمْدَحُ الْمُصْطَفَى ، فَتَلْمَحُ حُبًّا عَاصِفاً آخِذًا عَلَيْهِ كِيَانَه(٨١)

وَتَرَاهُ يَذُودُ عَنْ آلِهِ الْغُرِّ ، وَفَاءً لِحُبِّهِمْ وَصِيانَه(٨٢)

حَسْبُهُ أَنْ يَجِيءَ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ فَيَلْقَاهُ مَالِئًا مِيزَانَه(٨٣)

☆
☆ ☆

طَوَّفَتْ حَوْلَهُ الْمَلاَئِكَةُ الطُّهْرُ ، وَمَسَّتْ بِطِيبِها أَكْفَانَه(٨٤)

---

(٧٨) كان له اعتقاد راسخ فى الله وسعة رحمته ، وكان مؤمناً بقضائه وقدره إيماناً لم يمسه ضعف ولم يعبه شك .

(٧٩) الركانة : الثبات والرسوخ . هو : الضمير يعود إلى اليقين فى البيت قبله . يقول إن يقينه فى وضوحه وإشراقه كأن الشمس والكواكب أخذت منه نورها، ثم هو فى قوته وثباته كأن الجبال أخذت منه رسوخها .

(٨٠) يقول: إن الدين قد تمكن فى قلبه ووجّه ميوله، ثم جاء شعره فأظهر إيمانه ساطعاً مضيئاً .

(٨١) المصطفى : نبينا عليه الصلاة والسلام . تلمح : تنظر . عاصفاً : شديد الهبوب . كيانه : وجوده .

(٨٢) يذود : يدافع ، يمدحه بحب النبى (صلى الله عليه وسلم) وآله .

(٨٣) حسبه : كافيه . يقول : يكفى شاعرنا أملا فى غفران الله وطمعاً فى ثوابه ، أن يرى يوم القيامة حبَّ النبى وآله فى ميزان حسناته .

(٨٤) يقول : إن الملائكة الأطهار طافت حوله بعد موته تعظيماً ، وإجلالا وضمخت أكفانه بطيبها .

إنَّ مَعْنَى الْحَيَاةِ فِيهِ مِنَ الْمَوْ تِ مَعَانٍ، لَوْ يَفْهَمُ الْمَرءُ شَأنَه(٨٥)
يُهْدَمُ الْمَرْءُ كُلَّ يومٍ وَيُبْنَى ثم يَهْوِى فَلاَ تَرَى بُنْيَانَه(٨٦)
نَحْنُ حَبٌّ فِي قَبْضَةِ الدَّهْرِ يُلقِيـــهِ ، وَيَجْنِيهِ مُدْرِكًا إبَّانَه(٨٧)
نَحْنُ فِي دَوْحَةِ الْأَمَانِيِّ زَهْرٌ يَهْصِرُ الْمَوْتُ لِلْبِلَى أفنَانَه(٨٨)
إن هَذِى الْحَيَاةَ بَحْرٌ ، وَكُلٌّ بَالِغٌ بَعْدَ سَبْحِهِ شُطْآنَه(٨٩)
قَدْ قَضَى اللهُ أَنْ نَكُونَ فَكُنَّا وَقَضَيناَ ، وَمَا قَضَيْنَا لُبَانَه(٩٠)

* * *

أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْكَرِيمُ لَقَدْ كُنْــــتَ سَوَادَ الْعُيُونِ أَوْ إِنْسَانَه(٩١)

---

(٨٥) يقول : إن معنى الحياة يتضمن معنى الموت ، لأن معنى الحياة البقاء إلى الموت ، فالموت داخل فى تعريف الحياة ، وهذا شىء يدركه الانسان لو عرف حقيقة أمره .

(٨٦) أى إن الانسان يهدم كل يوم مرات بانحلال بعض خلايا جسمه وزوالها ، ويبنى كل يوم مرات كذلك بتجدد الخلايا ، حتى إذا جاء أجله هدم ولم يتجدد ، وهوى إلى قبره .

(٨٧) يشبه الناس بحب يبذره الدهر ، حتى إذا نما وأخرج شطأه حصده .

(٨٨) ثم يشبه الناس بأزهار فى دوحة الأمانى والأحلام يهز الدهر أغصانها ، فيسقط فى التراب ما فيها من أزهار .

(٨٩) ثم يشبه الحياة ببحر ساحله الحياة الأخرى ، وأن الناس جميعا يسبحون فى هذا البحر حتى يبلغوا سواحله .

(٩٠) قضى : حكم . وقضينا : متنا . وما قضينا : ما أدركنا . لبانة : غرضاً ومقصداً .

(٩١) سواد العيون : الدائرة التى يحيط بها بياض العين . إنسانه أى إنسان السواد ، وهو الحدقة التى بها الإبصار .

نَمْ قَرِيرًا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ ، وَانْعَمْ بِرِضَا اللهِ ، وَاغْتَنِمْ غُفْرَانَه (٩٢)
وَالْتَمِسْ نَفْحَةَ الرَّسُولِ ، وَطَارِحْ فِي أَفَانِينِ مَدْحِهِ حَسَّانَه (٩٣)
كَيْفَ يُوفِي الشِّعْرُ الَّذِي مَلَكَ الشِّعْـرَ ، وأَلْقَى لِغَيْرِهِ أَوْزَانَه ؟ (٩٤)
وَرِثَاءُ الْبَيَانِ جُهْدُ مُقِلٍّ لِلَّذِي خَلَّدَ الزَّمَانُ بَيَانَه (٩٥)

---

(٩٢) قريراً : مطمئناً .

(٩٣) نفحة الرسول : عطاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكرمه . أفانين : أنواع . يقول : اطلب عطاء الرسول الكريم ، ونافس شاعره حسان بن ثابت فى أساليب مدحه .

(٩٤) يقول : كيف يفى الشعر برثاء من استأثر بفن الشعر العالى ، ولم يترك لغيره من الشعراء إلا أوزان الشعر مجردة من الروعة والخيال ؟

(٩٥) جهد المقل : طاقة العاجز الفقير . يقول : لقد خلد الشعر وحسن البيان شوقياً ، فكان من الأدب أن يتراجع الشعر بعده ، ولكنه رأى من الوفاء له أن يقدم فى رثائه ما يستطيع جهده ، وما تصل إليه طاقته .

رثاء الزهاوى

أقامت الحكومة العراقية حفلا جامعاً لتأبين شاعرها الكبير « جميل صدقى الزهاوى » دعت إليه شعراء الأقطار العربية ومن بينهم الشاعر . وقد ألقيت هذه القصيدة ببغداد فى ١٢ من فبراير سنة ١٩٣٧ م

جَفَا الرَّوْضَ مُغْبَرَّ الأَسارِيرِ مَاطِرُهْ ! وغَادَرَه قَفْرَ الخَمَائِلِ طَائِرُهْ ! (١)

ذَوَى نَبْتُه بَعْدَ البَشَاشَةِ وارْتَمَتْ مُصَوِّحَةً أَثْمارُه وأَزَاهِرُه (٢)

تَلَفَّتُّ : أَيْنَ الرَّوْضُ ، أَيْنَ مَكَانُه وأَيْنَ مَجالِيه ، وأَيْنَ بَوَاكِره ؟ (٣)

---

(١) الروض ، معروف . وبه شبه الشعر والأدب ، لأن كلا منهما فيه أنس النفس، ومستراض العين ، وما يشتهى ويستطاب . والأسارير : الخطوط فى الوجه . واغبرار الأسارير : كناية عن العبوس والتجهم ، وهو فى الرياض ، جفاف أعوادها وذبول أوراقها . ويريد به ركود الشعر وفقدانه بهجته ورواءه . وماطره : المطر يحيا به الروض ويورق . جعل الشاعر الفقيد للشعر كالمطر للروض حياة وانعاشا . والخمائل : الأشجار الكثيرة الملتفة . وإقفارها : يبس أوراقها وتشتت أطيارها ؛ تشبيهاً لها بالأرض تجدب ويرحل عنها سكانها . ويريد بالطائر : الفقيد ، لما كان يشدو به ويترنم من شعر .

وفى الأبيات الستة والعشرين الآتية يحدثك الشاعر عن هذا الروض وما كان عليه من ازدهار وإيناع ، وعن هذا الطائر الغرد الشادى على شجيراته ، حتى عدا عليه عادى الموت فأقفر الروض بموته وأمحل . وهو تقديم قوى الاتصال بالغرض ، وثيق الشبه به ، حلو المدخل إليه .

(٢) ذوى : ذبل . ويريد بالبشاشة : اخضرار النبت وتفتح أزهاره . وارتمت : وقعت وسقطت . ومصوحة : يابسة ذابلة . والأزاهر : الأزهار . ويريد بالأثمار والأزهار : النتاج الشعرى.

(٣) الضمير فى تلفت ، للشاعر . ومجاليه : ما تجتليه وتستمتع به من محاسن الروض . والبواكر : أول ما يدرك من الثمر والزهر . يعنى الروض وما ضم وحوى ، وأنه أصبح وكأنه لم يكن .

وأَيْنَ الّذى لَمْ يَطْرُق الأُذْنَ مِثْلُه ... إذا صَدَحَتْ فَوقَ الغُصُون مَزاهِرُهْ ؟ (٤)
حَمائِمُ أَلْهاها النَّعِيمُ عَنِ البُكَا ... وأَذْهَلَها عن عابِس العَيْشِ نَاضِرُهْ (٥)
إذا أَرْسَلَتْ أَلْحَانَها فى خَمِيلةٍ ... تَوثَّبَ زَهْرُ الرَّوْضِ واهْتزّ عاطِرُهْ (٦)
لها صَوْتُ دَاودٍ وحُسْنُ رَنِينِه ... إذا ما عَلَتْ مَتْنَ النَّسِيم مَزَامِرُهْ (٧)
إذَا بَدَأَتْ أَشْجَاكَ أَوَّلُ صَوْتِها ... وإنْ سَكَتَتْ أَعْيَا بَيَانَك آخِرُه (٨)
وإنْ هَتَفَتْ فى الدَّوْحِ مَالَ كَأَنَّما ... يُسَايِرُها فى لَحْنِها وتُسَايِرُه (٩)

---

(٤) يطرق الأذن : ينفذ إليها . والمزاهر : جمع مزهر ، وهو العود يضرب به . وصدح المزاهر : ارتفاع أصواتها الشجية . ويريد ما كنا نسمعه للفقيد من شعر يطيب فى الأسماع طيب العزف . جعل الفقيد مفرداً فى فنه لم تظفر الآذان بمثله .

(٥) الحمائم . مفردها حمامة . وألهاها وأذهلها : شغلها وأنساها . وعابس العيش : الذى يشوبه مايذهب بصفائه ، ويمازجه ما يكدره . والحمائم على هذه الحال التى وصفها أحلى ما تكون غناء وأشجى ما تكون صوتاً .

(٦) الخميلة : الشجر الكثير الملتف . وعاطر الزهر ذو الرائحة العطرة منه . يدعى أن الألحان تفعل بالأزهار فعلها ، فهى بين واثبة إلى حيث مبعث الغناء ، ومترنحة طربا ونشوة .

(٧) داود : هو نبى الله داود عليه السلام . وقد وهب الله له صوتا عذبا رخيا . والمتن : الظهر . ولما كان النسيم يحمل الغناء من مكان إلى مكان جعل له ظهرا . ومزامره : ما كان يترنم به من الأدعية والأناشيد .

(٨) أشجاك : أطربك واستخفك . وأعيا : أعجز . أى إنها حاوية البدء والختام ، فاذا ما بدأتك بغنائها شجيت وطربت ، حتى إذا ما انتهت تركتك تحاول إعجابا أن تصف حسنها فيخونك بيانك ويعيا عجزا .

(٩) الدوح : العظيم من الشجر ؛ الواحدة : دوحة . ويسايرها : يجاريها ويغنى معها . جعل الأغصان فى تمايلها كمن يترنح طربا ، فيميل مع الصوت يمنة ويسرة ، يحكى بحركاته نغمات ما يسمع .

تَحَدَّتْ فُنُونَ المَوْصِلِيِّ وطَوَّحَتْ بأَنْفَسِ ما ضُمَّتْ عَلَيْه بنَاصرُهْ (١٠)
أُولئكَ أَوْتَارُ الإِلَهِ وصُنْعُهُ إذا عَزَفَتْ فَلْيُسْكِتِ العُودَ وَاتِرُه (١١)
أَلَمَّتْ بأَسْرَارِ النُّفُوسِ فَتَرْجَمَتْ كَمَا فَسَّرَ الحُلْمَ المُحَجَّبَ عابِرُه (١٢)
يُصِيخُ إِليْهَا أَسْوَدُ اللَّيْلِ باسِمًا فتفْتَرُّ عَنْ زُهْرِ النُّجُومِ مَشَافِرُه (١٣)
يَوَدُّ لَوَ أنَّ الغِيدَ ضَمَّتْ شُعورَها إلىشَعْرِهِالدَّاجِيفطَالتْغَدَائِرُه (١٤)

---

(١٠) تحدت : نازعتها السبق والفوق . ويريد بالموصلي : إبراهيم أو ابنه اسحاق ، وكلاهما له في الغناء والضرب شهرة واسعة . وطوحت : نبذت وطرحت . وأنفس ، من النفاسة . وهي أن يكون الشيء عزيزاً مرغوباً فيه . والبناصر : جمع بنصر ، وهي الأصبع التي بين الوسطى والخنصر . ويريد بأنفس ما ضمت عليه بناصره : خير ما أنتج من الألحان وضروب التوقيع ، يقول : إن فيما يصدر عن هذه الحمائم ما يفوق فنون الموصلي ويزري بخير ألحانه .

(١١) واتر العود : الذي يشد أوتاره ليضرب عليها . ولما جعل أعواد الموصلي وألحانه دون الحمائم ضربا وأداء في البيت السابق ، ذكر هنا مبعث هذا وسره فقال : إن هذا الصوت مما وهبه الله للحمائم وصنعها عليه ، ومن كالاله هبة وصنعة . وهو لهذا ينصح للضاربين بألا يضربوا مع شدو هذه الحمائم حتى لا ينكشف عجزهم ، ويبين تقصيرهم عن اللحاق بها .

(١٢) ألمت : أحاطت واستوعبت . وأسرار النفوس : خواطرها وما تبطن . والمحجب : الخفي المستور . والعابر . الذي يفسر الرؤى والأحلام . جعل الحمائم فيما تصدح به كأنها تحدثك بحديث النفوس وبنات الصدور . وأحلى الغناء وأشده تغلغلا ما لمس مكامن الخواطر وأهاج الدفائن .

(١٣) يصيخ : يلقي إليها بسمعه هادئاً ساكناً . وأسود الليل ، أي الليل الأسود لظلامه . وتفتر : تنفرج . وزهر النجوم : الوضاءة المتلألئة . والمشافر : الشفاه وهي في الأصل للبعير ، ثم استعملت للانسان . ولما وصف الليل بالزنجي عبر بالمشافر مكان الشفاه لغلظ شفاه الزنوج التي تحكي مشافر الابل غلظاً وتدلياً .

يدعي أن الليل قد استهواه غناء هذه الحمائم ، فهو يلقي إليه بسمعه مبتسماً إعجابا ؛ ولما جعل الليل زنجياً جعل زهر النجوم وهي تبين من بين سواد الليل كأسنان الزنجي تنفرج عنها شفتاه حين يبتسم .

(١٤) الغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة المتثنية ليناً . والداجي : المظلم ؛ جعل ظلام الليل كالشعر في سواده . والغدائر : جمع غديرة ، وهي الذؤابة من الشعر . يقول : إن الليل لحرصه على الاستمتاع بهذا الغناء يود لو استمر ، فهو لهذا يتمنى لو أن العذارى وصلن شعرهن بشعره حتى يطول مكثه .

وَيَرْجُو لَوَ أَنَّ الفَجْرَ عُوِّقَ خَطْوُه ‏ ‏ ‏ ‏ وطَاشَ به نَائِى الطَّرِيقِ وجَائِرُه(١٥)

وزَلَّتْ بشُطْآنِ المَجَرَّةِ رِجْلُهُ ‏ ‏ ‏ ‏ فَطَوَّحَه فى غَمْرَةِ اليَمِّ زَاخِرُه(١٦)

سَلِ الرَّوْضَ إنْ أَصْغَتْ إليْكَ رَسُومُه ‏ ‏ ‏ ‏ مَتَى رُوِّعَتْ أَطْلاَؤُه وجَآذِرُه ؟ (١٧)

وأَيْنَ الغَدِيرُ العَذْبُ طَابَ وُرُودُه ‏ ‏ ‏ ‏ لِذِى الغُلَّةِ الصَّادِى وطَابتْ مَصَادِرُه ؟(١٨)

إذا فَاضَ بَيْنَ الزَّهْرِ تَحْسَبُ أَنَّه ‏ ‏ ‏ ‏ يَمَانِىُّ بُرْدٍ أَذْهَلَ التَّجْرَ نَاشِرُه(١٩)

تَأَزَّرَ مِنْ أَثْوابِه الرَّوْضُ واكْتَسَى ‏ ‏ ‏ ‏ فَرقَّت حَواشِيه ، وطَالت مَآزِرُه(٢٠)

---

(١٥) عوق خطوه : عراه ما يؤخره ويبطىء به . وطاش به : أضله فلم يهتد إلى مخرج . ونائى الطريق : البعيد الممتد منه . وجائره : غير السوى منه الذى يجور بسالكه ويعدل به عن القصد .

(١٦) الشطآن : جمع شاطىء ، وهو معروف . والمجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بياض مختلط ، والعرب تشبهها بالنهر . وطوحه : ألقى به ورماه . وغمرة اليم : حيث يعظم ماء البحر ويشتد . وزاخره : مياهه الطامية . يقول فى هذا البيت والذى قبله . ويود الليل أيضاً لو أبطأ الفجر فى سيره ، أو ضل سبيله فتاه ، أو زلت به القدم فى نهر المجرة فابتلعته المياه ، ليضمن بذلك بقاء لا يدركه فناء .

(١٧) رسومه : ما بقى من آثاره . وروعت : ألم بها ما روعها وأفزعها . والأطلاء : أولاد الظباء ؛ الواحد : طلا (بالتحريك) . والجآذر : أولاد البقر الوحشى ؛ الواحد : جوْذر . والأطلاء والجآذر لا تنزل إلا حيث الخصب والماء ، فاذا عز عليها هذا وذاك فى مكان تحولت إلى غيره . يقول : سل رسوم الروض عما نزل بها فنفر ظباءها وجآذرها ، ولن تظفر منها بجواب ، لأنها ذاهلة عما أصابها عن أن تستمع إليك :

(١٨) الورود والمصادر : إتيان الماء والرجوع عنه . وفى طيب الماء وردا وصدرا دليل على إفراطه فى العذوبة التى تستهوى الواردين وتبقى حلاوتها فى أفواه الصادرين .

(١٩) البرد اليمانى : نوع من الثياب مخطط موشى . يشبه وجه الروض وقد فاض عليه ماء الغدير ، والأزهار من فوقه فى ألوانها المختلفة ، بالبرد اليمانى . وأذهله : حيره وأدهشه بجماله . والتجر : التجار ؛ الواحد تاجر . وخص التجار لأنهم لكثرة ما يرون من ألوان البرود لا يستهويهم منها إلا كل جميل بلغ فى الجمال حداً بعيداً .

(٢٠) تأزر : لبس الازار ، وهو الثوب . وتأزر الروض واكتساؤه : كناية عن ظهوره فى حلة من الزهر والنور . والحواشى : جوانب الثوب . ويكنى برقة الحواشى عن الحسن والجمال ، كما يكنى بطول المآزر عن التيه والدلال .

تَدُورُ به جَمَّ البَلابِلِ مُطْرِقاً ولَمْ تَدْرِ أَنَّ الدَّهْرَ دَارَتْ دَوَائِرُهْ! (٢١)

وتُصْغِى ، فلا يَجْتازُ سَمْعَكَ نَغْمَةٌ سِوَى أَنَّةٍ يُلْهِى بها الْحُزْنَ قاهِرُه (٢٢)

وتَدْعُو ، فلا تَلْقَ مُجِيباً سِوى النَّوَى تُطَارِحُ مَطْوِىَّ الأَسَى وتُحَاوِرُه (٢٣)

وَقَفْتُ به ، والقَلْبُ يَحْبِسُ وَجْدَه فيَطْغَى ، ودَمْعُ العَيْنِ يَنْهَلُّ بَادِرُه (٢٤)

وما وَقْفَتِى بَيْنَ الرِّيَاضِ وقَدْ عَفَتْ سِوَى حَاجَةٍ يَقْضِى بها الْحَقَّ نَاذِرُه (٢٥)

أرَى ! ما أَرَى إلَّا غُباراً أَثَارَه خَمِيسُ اللَّيالِى حِينما ثَارَ ثَائِرُه (٢٦)

---

(٢١) يخاطب الشاعر نفسه . به : أى بالروض . والجم : الكثير . والبلابل : الوساوس والهم الشديد . ومطرقا : ساكتا منكسا رأسك إلى الأرض . ودارت دوائر الدهر : تبدل إقباله إدباراً ، وتحول سروره حزناً .

(٢٢) تصغى : تنصت مستمعا . ويجتاز سمعك : يمر به . والأنة : ما يصدر عن المكروب والمحزون من آهات وتأوهات . ويلهى بها الحزن : يشغل بها نفسه ويتعلل ليفرج همه . وقاهره : أى قاهر الحزن ، وهو الذى يقوى عليه ويغلبه .

(٢٣) النوى : الفرقة والشتات . والمطارحة : المحاورة والأخذ بأطراف الحديث . ومطوى الأسى : الحزن الكمين . ولما صور الروض موحشاً إلا من معالم للنوى ، ومجدباً إلا من رسوم ناطقة بالحزن والأسى ، تخيل بينهما حديثاً وكلاماً لا يسمع فى الروض غيره .

يصف فى هذا البيت والبيتين قبله همه وبثه على ما أصاب الروض وما نالته به يد الدهور فشتتت أطياره ، فحلت الوحشة مكان الأنس ، وتبدل بشره عبوساً .

(٢٤) الوجد : شدة الحزن . ويطغى : يفيض فلا أقوى على رده وحبسه . وينهل : ينصب فى شدة . وبادر الدمع : ما يسبق منه . يصف حزنه بأنه شديد غالب ، ودمعه بأنه كثير متتابع فى عجلة وسرعة .

(٢٥) عفت : درست وامحت . وناذر الحق : من أوجب على نفسه قضاءه والوفاء به . يقول : كان حقاً على ووفاء أن أقف بهذا الروض الدارس حزيناً شاكيا باكياً .

(٢٦) الخميس : الجيش . وخميس الليالى : شدائدها وهمومها التى تكرّ بها وتعدو . وثار ثائره : هاج هائجه ، وشمر للعدوان والايذاء . ولما جعل من شدائد الليالى جيشاً جعل هذا الغبار الذى علا الروض فغطاه مما أثاره هذا الجيش فى كرّه ؛ وإن غباراً هذا شأنه من الكثرة لدليل على جيش عديد وعدوان شديد .

مَضَى الطَّائِرُ الصَّدَّاحُ فالأُفْقُ مُوحِشٌ حَزِينُ النَّواحِي، عابِسُ الوَجْهِ باسِرُه (٢٧)

وأَوْدَى (الزَّهَاوِي) فانْتَهَى مَلْعَبُ النُّهَى وأُطْفِئَتِ الأنْوارُ، وانْفَضَّ سَامِرُه (٢٨)

أَقامَ عَلَى رَغْمِ النُّبُوغِ بِحُفْــرةٍ وسارَتْ عَلَى رَغْمِ المَنُونِ سَوائِرُه (٢٩)

وغَادَر عَرْشَ اللَّوْذَعِيَّــةِ رَبُّهُ وخَلَّى نَدِيَّ العَبْقَرِيَّةِ شاعِرُه (٣٠)

دَعُوا ذِكْرَ إِعْجَازِ البَيَانِ وسِرِّهِ فقَدْ غَابَ عَنْهُ طِيلَةَ الدَّهْرِ ساحِرُه (٣١)

له خاطِرٌ لَوْ سَابَقَ البَرْقَ فِي الدُّجَى لَجَلَّى عَلَى بَرْقِ السَّمٰوَاتِ خَاطِرُه! (٣٢)

---

(٢٧) الصداح : الذى يرفع صوته بالتغريد . ويريد به الزهاوى، كما مرت الاشارة إلى ذلك . والأفق : النواحى التى تحيط بك إلى مدى ما ترى العين وتبصر . وموحش : مقفر خال . وحزين النواحى : أى ليس به ما يسر النفس ويشرح الصدر . وعابس الوجه باسره ، أى إن صفحته قد حالت من إيناع وازدهار إلى ذبول وجفاف .

(٢٨) أودى : مات . والنهى : العقول ؛ الواحدة : نهية ، وملعب النهى : حيث تتبارى العقول فى الاتيان بكل عجيب . والسامر : الجماعة من الناس يسمرون ليلا . ولما جعل أفانين الزهاوى ملعبا جعل رواده سامرين ؛ لأن العادة فى الملاعب أن تفتح أبوابها ليلا ، ثم جعل انتهاء الملعب بانطفاء أنواره وانفضاض الناس عنه .

(٢٩) المنون : الموت . وسوائره ، أى ما سار وذاع مما يؤثر له ويحفظ . أى كما أن نبوغه وفوقه لم يشفعا له فى الخلاص من الموت ، ومن أن تضمه هذه الحفرة الضيقة ، كذلك لم يقو الموت على أن يطوى فيما طوى من جسده ذكره السارى وحديثه الذائع .

(٣٠) اللوذعية : الفصاحة والبيان . وربه : أى صاحب العرش . جعله للبيان والفصاحة ملكا وسلطانا . والندىّ : مجتمع القوم . والعبقرية : النبوغ وبلوغ الغاية ، ويريد بندى العبقرية : مجتمع رجالها اللسن المقاول . يشير إلى منزلة الفقيد ومكانته بين النابهين والنابغين من رجال الفصاحة والبيان .

(٣١) طيلة الدهر ، أى طول الزمن . وساحره ، أى المتصرف فيه كما يتصرف الساحر بعقول الناس وألبابهم . أى لا تذكروا بعده البيان وإعجازه وأسراره ، فقد حرما بفقده الشاعر الذى يلعب بالألباب .

(٣٢) الدجى : الظلام . وجلى عليه : سبقه . يصف خاطره بالسرعة ، حتى إنه لو سابق برق الدجى لسبقه . وخص الدجى لأن البرق فى الظلام أكثر ظهوراً وسطوعاً . وفى هذا فوق ما فيه من وصف خاطره بالسرعة ، إشارة إلى أن هذا الخاطر يحكى النور صفاء وتوقدا .

تَمَلَّكَ حُـرَّ الشِّعرِ سِنُّ يَرَاعِهِ فيا عَجَبا أنْ حَرَّرَ الشِّعْرَ آسِرُهْ (٣٣)

تَمَنَّى العَذَارَى لو تَقَلَّدْنَ دُرَّهُ ورَفَّتْ عَلَى أَجْيَادِهِنَّ جَواهِرُهْ (٣٤)

ويُزْهِى العُيونَ الدُّعْجَ أنَّ سَوادَها شَبيهٌ بِمَا ضُمَّت عليه مَحابِرُهْ (٣٥)

وما جاشَتْ الصَّهْبَاءُ إلّا لأنَّها وقَدْ صَفَّقُوا مَشْمُولَهَا، لا تُناظِرُه (٣٦)

تَمُرُّ به مَرًّا فَيَسْبِيكَ بَعْضُـــهُ وتَقْرَؤُه أُخْرَى، فَيَسْبِيكَ سَائِرُه (٣٧)

---

(٣٣) تملك : ملك . وحر الشعر : خالصه نفاسة وسراء . والبراع : جمع براعة ، وهى القلم . وتحرير الشعر : تخليصه من شوائبه وعيوبه التى هى كالأسر عاراً وشناراً . وآسره ، أى المتسلط عليه المتصرف فيه ، فلا يخرج عن قبضته . يقول : كل حر نفيس من الشعر فهو ملك يمين هذا الذى خلص الشعر من عيوبه وحرره من قيوده ، ثم هو يعجب كيف يدعى محرراً من صفته الأسر والتملك .

(٣٤) العذارى : الأبكار ؛ الواحدة : عذراء . ودره ، أى در القريض . ويريد بدره وجواهره : ألفاظه التى هى كالدر والجوهر ، وأن العذارى تودّ لو اتخذن منه حلاهن وقلائدهن . وخص العذارى لأن لهن من سنهنّ وجمالهن ما يجعلهن أكثر ولعا بالدر والجوهر ، وهو عليهن أبهى وأحلى .

(٣٥) يزهى العيون : يجعلها مزهوة فخورة . والدعج : السود . والسواد من الصفات المستملحة فى العيون . والمحابر : جمع محبرة ، وهى وعاء الحبر . يقول : إن العيون السود تزهى وتفخر لأن سوادها شبيه بسواد المداد الذى يكتب به .

(٣٦) جاشت : اضطربت ، ويريد فورة الخمر فى الكأس . والصهباء : الخمر . والتصفيق : تحويل الشراب من إناء إلى إناء ليصفو ، والمشمولة : الخمر ، أو الباردة منها ، لأنها تشمل الناس بريحها ، أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال . وخص الخمر المصفقة لجودتها وصفائها وقوة أثرها . يقول : إن فورة الخمر فى الكأس غضب وثورة ، لأنها مع ما عولجت به من التصفيق لترق وتجود وتصفو ، ترى أنها أقل من شعره صفاء وجمالا .

(٣٧) به ، أى بشعره . ويسبيك : يأسرك بسحره وجماله . والسائر : البقية . أى إنك كلما عاودت قراءة شعره تكشفت لك عن معان جديدة ، كلهـا جميل مليح . أو أن شعره منه السهل الذى تقنع فى فهمه بتلاوته مرة ، ومنه العميق الذى يلجئك فهمه إلى معاودة قراءته ، وهو بقسميه ساحر جذاب .

تَرَى فيه هذا الكَوْنَ صُورَةَ حاذِقٍ   أَحَاطَتْ بأَسْرَارِ الحياةِ بَصائِرُه (٣٨)
وتَلْمحُ فيه الرَّأْيَ فى بُعْدِ غَوْرِه   كما غَاصَ تَحْتَ الماءِ للدُّرِّ ذاخِرُه (٣٩)
وتَلْقَى به الآذِيَّ فى ثَوَرَانِه   إذا عَقْلُهُ الجَبَّارُ مارَتْ مَوائِرُه (٤٠)
له قَلَمٌ لو لامَس الطِّرْسَ مَرَّةً   تَدَانَى له صَعْبُ القَرِيضِ ونَافِرُه (٤١)
لَقَدْ كانَ مِنْظَارَ النُّفُوسِ فَلَمْ يَجُلْ   بنَفْسٍ هَوًى إلا طَرْفُكَ ناظِرُه (٤٢)
يلُوحُ بَعِيدُ الرَّأْيِ خَلْفَ زُجاجِهِ   وحاضِرُ تارِيخِ الحَيَاةِ وغَابِرُه (٤٣)
بَرَاه إلَهُ الخَلْقِ عَزْماً وَجُرْأَةً   تَهابُ الرَّوَاسِى حَدَّه وتُحَاذِرُه (٤٤)

---

(٣٨) الحاذق : الماهر فيما أخذ فيه . ويريد به الزهاوى . وأحاطت : ألمت واستوعبت . والبصائر : جمع بصيرة ، وهى الفطنة . يصف شعره بأنه صورة صادقة للكون وما حوى ، والحياة وما ضمت .

(٣٩) الغور : العمق . والذاخر : الذى يجمع الدر ويحفظه . يشير إلى عمقه فى الفكر وبعد غوره فى التعبير ، وفيه إشارة أيضاً إلى سمو أفكاره ومعانيه التى تحكى الدر قيمة وشأناً .

(٤٠) الأذى : الموج . ومارت مرائره : ثار ثائره وهاج هائجه . أى إنك إذا لقيته فى ثورته العقلية لقيت بحراً هائجا مضطربا بأمواجه صاخبا . يشبهه فى جبروت عقله بقوة الموج فى اضطرابه ، فكلاهما لا يقوى عليه شىء ولا يقف دونه .

(٤١) الطرس : الصحيفة يكتب فيها . والقريض : الشعر ، ونافره : ما استعصى على الذهن وندّ عن الخاطر . أى إن الشعر طوع بنانه وعلى سن قلمه ، لا يصعب عليه منه شىء ولا يستعصى .

(٤٢) المنظار : آلة مكبرة ترى بها ما دق جليلا عظيما ، وما بعد قريبا واضحا . وفى تشبيهه قلمه بالمنظار دليل على دقة تعبيره عن الخواطر وإلمامه بخفايا النفوس ومكنونات الصدور وإبرازه لك كل هذا فى صورة واضحة جلية . ولم يجل : لم يخطر ولم يمر .

(٤٣) يلوح : يظهر . وبعيد الرأى : خفيه غير البين منه . والغابر : الماضى . ولما شبه قلمه بالمنظار جعل فى طوقه أن يكشف لك عما دق من الآراء وند عن الفكر ، وأن يعطيك صورة جلية للحياة ماضيها وحاضرها .

(٤٤) براه : سواه . وبرى القلم معروف . والرواسى : الجبال الثابتة شموخا وعظمة . وحده : سنه . يصفه بالعزيمة والجرأة فيما ينفث به قلمه ويصدر عنه، حتى إن الرواسى على عظمها تهاب بطشه وصوله .

وصَوَّرَه عَضْباً تَفِرُّ لِهَوْلِهِ ذِئَابُ الدَّنَايَا شُرَّدًا وَهْو شَاهِرُه (٤٥)
كَأَنَّ عَصَا مُوسَى أُعِيدَتْ بِكَفِّه يُصَاوِلُ، مَنْ يَرْمِي بها ويُغَاوِره (٤٦)
يَقُولُ جَرِيئًا مَا يُرِيد ، ورُبَّما يَقُول الفَتَى ما لم تُرِدْه سَرَائِرُه (٤٧)
وكَمْ مِنْ فَتًى يَقْضِى بِنَفْسَيْنِ عَيْشَهُ مَظَاهِرُه نَفْسٌ، ونَفْسٌ مَخَابِرُه (٤٨)
تَرَاهُ مع النُّسَّاكِ فى خَلَوَاتِهم وفى الْحَانِ قد نَمَّتْ عَلَيْه سَتَائِرُه (٤٩)
لِسَانٌ كما طَالَ الْجَرِيرُ مُسَبِّحٌ رِيَاءً، ومِنْ خَلْف اللِّسانِ جَرَائِرُه (٥٠)

---

(٤٥) العضب : القاطع من السيوف . شبه قلمه بالسيف فى قوة أثره . والدنايا : ما قبح من الأفعال وانحط منها . وذئاب الدنايا ، أى الدنايا التى هى كالذئاب عدوانا على الفضيلة وافتراسا للخصال الحميدة . وشرداً : متفرقة مشتتة هزيمة وانكساراً . وشاهره : رافعه للقتال . ولما شبه القلم بالسيف جعل حمله له فى محاربة الرذيلة كرفع السيف وانتضائه للقتال . يصف قلمه بالبطش والفتك ، حتى إن الدنايا تتبدد أمامه .

(٤٦) موسى : هو نبي الله موسى بن عمران عليه السلام ، ومعجزته فى عصاه مشهورة . ويصاول : من الصول ، وهو الاستطالة والغلبة . ويغاوره ؛ من الاغارة : يشبه قلمه بعصا موسى فى إرغام الناس على الاذعان له ، كما أرغمت العصا السحرة على الخضوع والتسليم .

(٤٧) السرائر : جمع سريرة ، وهى ما يبطنه المرء ويسره . أى إن له من جرأته وشجاعته ما يقوى به على أن يقول ما يريد ، بينما غيره قد يظهر خلاف ما فى نفسه خوفا وفزعا .

(٤٨) يقضى عيشه : يصرف حياته .

(٤٩) النساك : جمع ناسك ، وهو العابد الزاهد فى متاع الحياة . والحان : حيث تباع الخمر ؛ الواحدة : حانة . ونمت : أذاعت وفضحت .

(٥٠) الجرير : حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار الدابة والزمام ؛ ويريد الحبل عامة . وإذا وصف لسان بالطول شبه بالحبل . وطول اللسان كناية عن قوته على الكلام وعدم استقراره . والجرائر : الشرور والآثام . الواحدة : جريرة . يصف فى هذا البيت والبيتين قبله صنفا من الناس يسر خلاف ما يعلن ، ويواجه الناس بغير ما يذكرهم به فى غيبتهم ، ومنهم من يحشر نفسه فى زمرة النساك ، ومكانه فى الحان ينم عن حقيقة خبره . ويفضح مستور أمره ؛ ومنهم من يستر سوء مقاله وأذى لسانه بمداومة التسبيح والاقامة على الذكر رياء وتصنعا .

إذا لَم يَكُن فى الحَرْب قَلبك بَاتراً   فماذَا يُفيدُ المَرْءَ فى الحَرْبِ باتِرُهْ؟(٥١)
حَنَانًا له ! كَيفَ استقَرَّتْ به النَّوى ؟   وكَيْفَ ثَوى بَعْد التَّلَهُّفِ حائِرُه؟(٥٢)
وهَلْ بَعْدَ لَيْلٍ فى الحياة مُؤَرِّقٍ   كَثيرِ التَّظَنِّى أبصَرَ الصُّبْحَ ساهِرُه؟(٥٣)

*
* *

شَقَقْتُ إليكَ الطرْقَ والقَلْبُ خافِقٌ   تُراوِحُهُ آلامُه وتُباكِرُه(٥٤)
تَذَكَّر ألأفًا ألَمُّوا فَودَّعُوا   كَطَيفِ خَيالٍ أرَّقَ الصَّبَّ زائِرُه(٥٥)
ونَحْنُ حَياةٌ ، والحَياةُ إلى مَدًى   ولَولاَ المُنَى لَمْ يَبْذُرِ الحَبَّ باذِرُه(٥٦)

---

(٥١) باترا ، أى له مضاء السيف وقطعه . وباتره ، أى سيفه . يقول : لا خير فى السنان مع ضعف الجنان ، والقلب الخائر لا يغنيه السيف الباتر .

(٥٢) النوى : البعد والفرقة . وثوى : هدأ واستقر . ويريد بحائره : فكره ، ووصفه بالحيرة ، لأنه كان صاحب رأى وفلسفة كثير الشك فى حقائق الكون .

(٥٣) مؤرق : يأرق فيه الانسان ولا يهجع . والتظنى : الظن والشك . ويريد بالصبح : نور الحق . وساهره ، أى الذى يسهر الليل ولا ينام فيه أرقا . شبه حياة هذا الفيلسوف فى غموضها بليل ، وشبهه وهو دائب التأمل والفكر بالساهر المؤرق ، ثم قال : هل استطاع هذا الفيلسوف بعد طول التفكير والشك أن يدرك الحقيقة بعد موته .

(٥٤) شق الطريق : سلكه بجهد ومشقة ؛ ويشير بهذا إلى سفره من مصر الى بغداد فى طرق لم تذلل فيها سبل الاتصال . والانسان لايحمل الصعب إلا لعزيز محبوب . وخافق : مضطرب حزنا ووجدا . وتراوحه وتباكره ، أى تعاوده صباحا ومساء . ويريد ملازمة الهم له .

(٥٥) تذكر ، أى القلب . ويقال : ألم فلان بفلان ، إذا نزل به . جعل حياة الناس وموتهم كالزائرين لا يحلون إلا لوداع وفرقة . والخيال : ما يشبه لك فى اليقظة أو فى الحلم من صورة ، وطيف الخيال : مروره وإلمامه . ويضرب بطيف الخيال المثل فى الشىء ينقضى على عجل . وأرقه : أسهره . والصب : المشوق الموله . وزائره ، أى الخيال الزائر . جعل حياة الانسان كطيف الخيال سرعان ما تنقضى ثم تخلف الهم فى القلب كما يخلف الطيف الأرق للصب المشوق .

(٥٦) المدى : الغاية . أى لولا ما تعمر به القلوب من آمال وأمانى . ما بذر باذر ولا جد عامل .

وإنَّ المهُودَ الزُّهْرَ — لَوْ عَلِمَ الفتَى　　وَفكَّرَ فى غاياتِهِنّ — مَقابِرُهْ(٥٧)

سَموْتُ إلى بَغْداد والشَّوْقُ نَحْوَها　　يُسَاوِرُنى حِيناً وحِيناً أُسَاوِره(٥٨)

كِلانَا نَأَى عن أهْلِهِ وعَشِيرِهِ　　ليَلْقَاه فيها أَهْلُه وعَشَائِره(٥٩)

حَبِيبٌ إلى نَفْسِي العِراقُ وأَهْلُه　　وسالِفُه الزَّاهِي المَجِيدُ وحَاضِرُه(٦٠)

دِيارٌ بها الإسْلامُ أرْسَل ضَوْءَه　　فَسارَ مَسِيرَ الشَّمْس فى الأُفْقِ سَائِرُه(٦١)

ومَدَّتْ بها الآدَابُ ظِلاًّ على الوَرَى　　تَسَاوَتْ به آصالُهُ وهَواجِرُه(٦٢)

تَجَلَّى بها عَهْدُ الرَّشِيد وعِزُّهُ　　وزَاهِرُ مُلْكِ الفَاتِحِين وبَاهِرُهْ(٦٣)

---

(٥٧) المهود : جمع مهد ، وهو ما يهيأ للصبي ويوطأ . والزهر : ذوات البهجة والحسن . أى إن الانسان مولود للفناء لا للبقاء .

(٥٨) سموت الى بغداد ، أى قصدت اليها . وفى تعبيره عن القصد بالسمو دليل على رفعتها وشرف مكانتها . ويساورنى وأساوره : يغلبنى حيناً فلا أقوى عليه ، وأغلبه أخرى فأحبسه فى نفسى .

(٥٩) كلانا ، أى أنا وشوقى الذى أحمله فى نفسي لبغداد وساكنيها . والعشائر : جمع عشيرة وهى قبيلة الرجل وأقاربه الأدنون . جعل منزلته منهم منزلته من أسرته وقبيله ، كما جعل حبه وشوقه قد صادف محله وقوما جديرين به .

(٦٠) سالفه : ماضيه . والزاهى : الحسن اللامع بمجده وحضارته .

(٦١) يشير الى ما كان للاسلام فى هذه البلاد من حضارة عمت البلاد عموم ضوء الشمس ونورها .

(٦٢) الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت قبل الغروب . والهواجر : حيث يشتد الحر ويستكن الناس فى بيوتهم ، وذلك عند ما ينتصف النهار . يقول : إن الآداب التى انبثقت فى عهد الدولة العباسية كانت تشبه دوحة عظيمة ممتدة الفروع ، شملت كل أرجاء الكون فأظلتها بظل وارف دائم ، جعل أصيلها وهجيرها سواء فى الخفض والنعيم .

(٦٣) تجلى : ظهر وأشرق . بها : ببغداد . والرشيد : هو الخليفة العباسى هارون الرشيد . يشير الى عهده الزاهر فى بغداد .

إذا شِئْتَ مَجْدَ العُرْبِ فى عُنْفوانِهِ ... فَهذِى مَغَانِيه ، وهَذِى مَنائِرُهْ ! (٦٤)

أطَلَّتْ عَلَى الدُّنْيَا فأَبْصرَتِ الهُدَى ... كما لَمَعَتْ فى جُنْحِ لَيْلٍ زَوَاهِرُه (٦٥)

تفاخِرُ بالغَازِى الّذِى سَارَ ذِكْرُه ... ودَوَّتْ بآفَاقِ البِلَادِ مَفَاخِرُه (٦٦)

هُو المَلْكُ أمْضَى من شَبَا السَّيْفِ عَزْمُهُ ... وأَغْزَرُ من مَاءِ السَّحائِبِ هَامِرُه (٦٧)

نَمَاه بُنَاةُ المَجْدِ من آلِ هاشِمٍ ... فجَلَّتْ مَرَامِيه ، وطابَتْ عناصِرُه (٦٨)

أعَادَ إلى عَهْدِ البيَانِ شَبَابَه ... فهَبَّ فَتِيًّا يَنْفُضُ التُّرْبَ دَاثِرُه (٦٩)

يُرِيكَ بهِ المَنْصُورَ مَأْثُورُ حَزْمِه ... وتُذْكِرُكَ المَهْدِىَّ فِيه مآثِرُه (٧٠)

---

(٦٤) عنفوانه : مقتبل عهده وأول عزه وبهجته . والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل غنى به أهله ثم ظعنوا عنه ؛ أو هو عام . ومنائره : جمع منارة .

(٦٥) جنح الليل (بالكسر ويضم) : الطائفة منه . وزواهره : كواكبه المضيئة المتلألئة ، يشير بهذا البيت والذى قبله الى مجد كان للعرب ثم اندثر وبقيت رسومه ، وقد زهت به بغداد حينا كانت فيه منارا للهدى يهتدى به العالم كما يهتدى السارى بنجوم الليل .

(٦٦) الغازى : هو ملك العراق الآن . وسار ذكره : ذاع صيته . ودوت مفاخره : أى علت أصوات الناس بذكرها وترديدها ، فسمع لهم كالدوى لكثرتهم . أو أن هذه المفاخر لكثرتها إذا حدثت عن نفسها كان حديثها كالدوى ارتفاعا .

(٦٧) شبا السيف : حده . والهامر : الهاطل المنصب . يريد كرمه وعطاياه ، جعل عزمته أمضى من السيف نفاذا فى الأمور ، وعطاءه يربى على ماء السحاب غزارة وكثرة .

(٦٨) نماه ، أى ارتفع بالانتساب إليهم . وآل هاشم ، نسبة الى جدهم هاشم بن عبد مناف ، أحد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم . وجلت : عظمت . ومراميه : غاياته . والعناصر : الأصول . أى إنه جليل الأعمال ، شريف الأصول ، كريم الحسب .

(٦٩) فتيا : قويا . والداثر : الدارس البالى . يشير الى نهضة العراق على يد الغازى وبعثه مجد العرب الدارس .

(٧٠) المنصور والمهدى : من خلفاء الدولة العباسية ، وقد تبوأت الدولة فى عهد الأول مكانا عاليا ، وعرف ثانيهما بالجود والعطاء . ومأثور حزمه : حزمه الذى يؤثر عنه ويخلد . ومآثره : أعماله الباقية على الزمن . أى إنك ترى فيه صورة من المنصور فى حزمه وعزمه ، وأخرى المهدى فى عطائه وجوده .

ذَكَرْنَا اُسْمَه طُولَ الطَّرِيق فَذُلِّلتْ مَصَاعِبُ مَتْنَيْه وضَاءَتْ دَيَاجِرُهْ (٧١)

* * *

جَمِيلُ ، نِدَاءٌ مِنْ أَخٍ يَقْدُرُ النُّهَى وإِنْ لَمْ يُمَتَّع بِاُجْتِلَائِك نَاظِرُه (٧٢)

عَرَفْتُكَ فِى آثَارِكَ الغُرِّ مِثْلَما تُنَبِّئُ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ بَشَائِره (٧٣)

عَرَفْتُ (جَمِيلاً) فى جَمِيلِ بَيَانِه يُشَاطِرُنِى وِجْدَانَه وأُشَاطِره (٧٤)

تُجَاوِرُنِى فى دَوْحَةِ النِّيلِ رُوحُه ورُوحِى بِدَوْحِ الرَافِدَيْنِ تُجَاوِره (٧٥)

إِذَا اُجتَمَع القَلْبَانِ فَالْكَوْنُ كُلُّهُ مَكَانٌ، وإِنْ شَقَّتْ وطَالَتْ مَعَابِره (٧٦)

لَنَا نَسَبٌ فى المَجْد يَجْمَعَ بَيْنَنَا تَعَالَتْ أَوَاسِيه، وشُدَّتْ أَوَاصِرُهْ (٧٧)

---

(٧١) ذللت : هونت وسهلت . ومتنا الطريق : ناحيتاه ، وهما اللذان يكون السير فيهما ؛ ويريد الطريق عامة . ودياجره : ظلماته ، الواحدة : ديجور . جعل ذكر اسم المليك عونا للسارى على قطع صعاب الطريق ، ونورا له يهتدى به فى ظلماته . وفيه إشارة الى حبه والاخلاص له حتى إن النفس لتتملل عند الصعاب بسماع اسم المليك فتقوى وتنشط .

(٧٢) يقدر النهى : يعرف لذوى العقول الراجحة قدرهم وشأنهم . وباجتلائك : أى بالتمتع بالنظر إليك . يقول : إنى أعرف لك شأنك ومنزلتك بين الشعراء بما قرأت لك وسمعت عنك ، وإن كنت لم أحظ برؤيتك . وهذا ما سيعود إليه فيما يأتى .

(٧٣) الغر : الناصعة البيضاء . وإذا مدح شىء وصف بالبياض ، أى إنه نقى من العيوب ومما يشوبه ، فهو خالص صاف . والبشائر : جمع بشارة ، وهى الاخبار بخبر محبوب ترغب فيه . جعل آثاره كطلائع الصباح كلاهما ينبىء عن جميل محبوب .

(٧٤) البيان : الفصاحة . ويشاطرنى : يقاسمنى . أى إن خواطرك من خواطرى ، فنحن فى ذلك متفقان .

(٧٥) دوحة النيل : رياض مصر . والدوحة (فى الأصل) : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والرافدان : دجلة والفرات . أى إنهما وإن افترقا يدنيهما يلتقيان بروحيهما .

(٧٦) شقت : صعبت وامتنعت على السالك . والمعابر : الطرق يعبر فيها . وطول المعابر مما يضنى المسافر ويزيد فى تعبه .

(٧٧) لنا : أى للمصريين والعراقيين . الأواسى : الدعائم ؛ الواحدة : آسية . والأواصر : جمع آصرة ، وهى القرابة والصلة . يقول إن مجد العروبة الذى يجمع بيننا قوى مكين .

أَلَسْنَا حُمَاةَ القَوْلِ فى كُلِّ مَحْفِلٍ ... تَتِيهُ بِنَا فى كُلِّ أَرْضٍ مَنَابِرُهْ ؟ (٧٨)

*
* *

صَبَبْتُ عَلَيكَ الدَّمْعَ سَحًّا ، ومَدْمَعِى ... عَزِيزٌ ، وَلكِنْ أَجْوَدُ الدُّرِّ نادِرُه (٧٩)

وأَرْسَلْت فِيك الشِّعْرَ لَوْعَةَ مُوجَعٍ ... تَئِنُّ قَوَافيه ، وتَبْكِى صَدَائِره (٨٠)

عَلَيْك سَلَامُ اللهِ نُورًا ورَحْمةً ... وغَادتْك من سَيْبِ الإِلهِ مَوَاطِره ! (٨١)

---

(٧٨) تتيه : تفخر وتزهى . يتمدح بقومه بذكر أجلى صفة فيهم وهى الفصاحة واللسن .

(٧٩) سحا مدرارا . يقول : إنى على قلة بكائى بكيت عليك كثيراً ، ولكن هذا الدمع الذى يجىء فى الندرى ، هو أصدق الدموع وأغلاها ، كالدر أجوده ما عزّ منه وقل.

(٨٠) القوافى : جمع قافية ، وهى آخر كلمة ، أو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة . أو هى آخر حرف ساكن فى البيت إلى أول ساكن يليه مع الحركة التى قبل الساكن . ويريد بالقوافى والصدائر : أواخر الأبيات وأوائلها . أى إن شعره كله تحسّ فيه الحزن واللوعة ، سواء فى ذلك أوله وآخره .

(٨١) غاداه : باكره . والسيب : العطاء . والمواطر : السحب الماطرة . والعرب إذا دعت لميت بالرحمة سألت الله أن يمطر قبره .

الحرب

حينما شبت نار الحرب الكبرى ، وشاعت الأخبار بوصف ويلاتها وأرزائها ، واقترب الألمان من باريس فى أول الأمر ثارت شاعرية الشاعر ، واشتدت آلامه لما يصيب الانسانية فى سبيل أطماعها ، فأنشأ هذه القصيدة فى سنة ١٩١٤ م

مَنْ سَلَبَ الأعْيُنَ أنْ تَهْجَعَا ؟ ... وبَزَّ ذَاتَ الطَّوْقِ أنْ تَسْجَعَا ؟ (١)

ومَنْ رَمَى بالشَّوْكِ فى مَضْجَعِى ... فَبِتُّ مَكْلُومَ الْحَشَا مُوجَعَا ؟ (٢)

رَوَّعَنِى واللَّيْــلُ فى زِيِّهِ ... مِنْ مُرْجِفَاتِ الْخَطْبِ مارَوَّعا ! (٣)

طاحَتْ بِأَهْلِ الْغَرْبِ نارُ الْوَغَى ... وهَبَّت الرِيحُ بِهِمْ زَعْزَعا (٤)

---

(١) الهجوع : النوم ليلا ، وبابه خضع . والبز : النزع وأخذ الشىء بجفاء وقهر . وذات الطوق : الحمامة المطوقة أى التى فى عنقها من الريش ما يشبه الطوق . وسجع الحمام : هديره . يشير إلى أن أهوال الحرب ونكباتها قد أفزعت العالم وأقلقته فسلبت الأعين نومها ، والحمامة هديرها .

(٢) المضجع : موضع الضجوع وهو النوم على الجنب . ومكلوم : مجروح . والحشا : ما اشتمل عليه الجوف . والمعنى أنه لا يستقر على فراشه من القلق ، ويبيت مجروح الحشا شاكياً متألماً ، وما أبدع المناسبة بين شطرى هذا البيت ، كأنما رمى الشوك فى مضجعه أدى إلى جرح حشاه فبات جريحاً متألما .

(٣) روعنى : أفزعنى . والزى : الهيئة . والخطب : النازلة والمصيبة ، ومرجفاته : شدائده . و « ما روع » تركيب يفيد التفخيم والتهويل ، ولا ريب أن الترويع فى الليل أفظع وأشنع من الترويع فى النهار ، والمعنى أنه قد أفزعنى ، والليل فى ثيابه السود ، ما يجلّ عن الوصف من أنباء الحرب وشدائدها وأوزارها .

(٤) طاح يطوح ويطيح : هلك أو أشرف على الهلاك . والوغى : الحرب . وريح زعزع : شديدة تزعزع الأشياء . يقول إن نار الحرب العظمى قد أهلكت أهل الغرب ، وعصفت بهم ويلاتها .

طافَ عَلَيْهِمْ بالرَّدَى طائِفٌ فَاخْتَرَمَ الأَنْفُسَ لَمَّا سَعَى (٥)
وصاحَ فيهِمْ لِلتَّوَى صائِحٌ فَصَمَّتِ الأَسْماعُ مُذْ أَسْمَعا (٦)
فى الْبَرِّ ، فى الْبَحْرِ ، ومِنْ فَوْقِهِمْ لم يَتْرُكِ الْمَوْتُ لَهُمْ مَوْضِعا (٧)
يَجْمَعُهُمْ جَبَّـــارُهُمْ عَنْوَةً وإنَّما لِلْمَوْتِ مَنْ جَمَّعا ! (٨)
يَحْسُو دَمَ الْقَتْلَى ، فَأَظْمِئْ بِهِ وَيَنْهَشُ اللَّحْمَ ، فما أَجْشَعا ! (٩)
لم يَكْفِهِ رُمْحٌ ولا مُرْهَفٌ فاتَّخَذَ الْمِنْطادَ والْمِدْفَعا (١٠)
وَخَبَّ فِيهـــا راكِباً رَأْسَهُ لِلشَّرِّ ما خَبَّ وما أَوْضَعا (١١)
قَدْ غَصَّتِ الأَرْضُ بِأَشْلائِهِمْ وأَصْبَحَ الْبَحْرُ بِهَا مُتْرَعَا (١٢)

---

(٥) طاف : دار . والردى : الهلاك . واخترم : أهلك . وفى هذا البيت إشارة إلى الآية الكريمة : (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) ١٩ سورة القلم .

(٦) صاح : صرخ وصوت . والتوى : الهلاك والموت . وصمت الأسماع : بطلت ، يقول : وصرخ فيهم صارخ الموت فأصيبوا بالصمم لهول صيحته وشدتها .

(٧) المعنى أن الموت لم يترك لهم مأمنا ، فهو يتخطفهم فى البر والبحر وينصب عليهم من فوقهم ، يشير بذلك إلى عدد الحرب وأدواتها من مدافع ورماح وغواصات وسفن وطائرات وغيرها .

(٨) الجبار : العاتى المستكبر ، والمراد القائد . وعنوة : قهراً .

(٩) يحسو : يشرب شيئا فشيئا . نهش اللحم ونحوه من بابى ضرب ونفع أخذه : بالأسنان والأضراس . والجشع : أشد الحرص ، وبابه طرب . تخيل أن جامع الجنود يشرب دماء القتلى والجرحى وينهش لحومهم ، ثم عجب من ظمئه وجشعه ، فهو عطشان لا يرتوى ، ومنهوم لا يشبع .

(١٠) يريد بالمرهف السيف المرقق القاطع ، ومعنى البيت أنه لم يكتف بالمألوف من عددها كالرمح والسيف ، بل استخدم فيها كل ما استطاعت العقول اختراعه من أدوات التخريب .

(١١) خب : أسرع ، والخبب ضرب من العدو . وركب رأسه : مضى على وجهه بغير روية لا يطيع مرشداً . والايضاع : الاسراع فى السير .

(١٢) غصت : امتلأت . والأشلاء : جمع شلو وهو العضو ، وأشلاء الانسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق . ومترع : مملوء ، والمعنى أن ما تطاير وتفرق من أشلاء القتلى قد ملأ البر والبحر ،

وآنَ لِلعِقْبانِ أنْ تكتفي   وآنَ لِلحِيتانِ أنْ تشبعا (١٣)
صَواعِقُ المُنْطادِ لا تُتَّقَى   وصَوْلَةُ الألغامِ لَنْ تُدْفَعا (١٤)
أُطْلِقَ عَزْرائِيلُ مِنْ قِدِّهِ   يَرْتَعُ أنَّى شاءَ أنْ يَرْتَعا (١٥)
تُطْرِبُهُ الحَرْبُ بأزْجالِها   ويَسْتَبِيهِ السَّيْفُ إنْ قَعْقَعا (١٦)
كأنَّما في صَدْرِهِمْ غُلَّةٌ   أبَتْ بِغَيْرِ المَوْتِ أنْ تُنْقَعا (١٧)
كأنَّهُمْ سِرْبُ قَطاً عُطَّشٍ   صادَفْنَ مِنْ وِرْدِ الرَّدَى مَشْرَعا (١٨)

---

(١٣) آن : حان . والعقبان : جمع عقاب وهى من جوارح الطير . والحيتان : جمع حوت وهو العظيم من السمك ، والمعنى أنه قد أتى الوقت الذى تشبع فيه جوارح الطير والسمك بما زحم البر والبحر من جثث القتلى وأشلائهم .

(١٤) الصواعق : جمع صاعقة وهى الموت وكل عذاب مهلك ونار تسقط من السماء ، والصاعقة أيضاً النازلة الكهربائية لا تصيب شيئاً إلا دكته وأحرقته . والصولة : البطش والسطوة . والألغام : جمع لغم وهو الارجاف الحاد ، أى الزلزال الشديد ، ويراد به ما يخبأ فى البحر من أوعية تحشى بالمواد المدمرة وتنفجر عند التماس . والمعنى أن الموت يتخطف الناس فى كل مكان ، وهم لا يستطيعون اتقاءه ولا دفعه ، فنيران المناطيد والطيارات تنصب عليهم من فوقهم ، وألغام البر والبحر تفتك بهم .

(١٥) عزرائيل : ملك الموت . والقد : سير من جلد غير مدبوغ قد يقيد به الأسير . ويرتع : يقبض أرواح الناس بكثرة ، ورتع فى الأصل معناها أكل وشرب ما شاء فى خصب وسعة ، أو أكل وشرب بشره . والمعنى أن كثرة أدوات الاهلاك والتدمير جعلت ملك الموت طليقاً يرتع فى أرواح الناس حيث شاء .

(١٦) الطرب خفة تصيب من يشتد به السرور . والأزجال : جمع زجل وهو الجلبة والتطريب ورفع الصوت . ويستبيه : يأسره ويستميله . والقعقعة : حكاية صوت السلاح ، والمعنى أن أصوات الحرب تطرب ملك الموت ، وقعقعة السلاح تستميله ، لأنه يظفر بما يهوى من أرواح القتلى .

(١٧) الغلة : حرارة العطش . وأبت : امتنعت . وتنقع : تسكن ، من نقع الماء العطش من باب قطع وخضع أى سكنه ، يقول كأن فى صدور المتحاربين حرارة عطش امتنعت أن تنطفىء إلا بالموت .

(١٨) السرب : القطيع والجماعة . والقطا : ضرب من الحمام ، الواحدة قطاة . وعطش : جمع عاطش اسم فاعل من عطش . وصادفن : وجدن . والورد : الاشراف على الماء وغيره . والردى : الهلاك . والمشرع : مورد الشاربة أى الموضع الذى يستقون منه كالمشرعة ، والمعنى كأن المتحاربين جماعة من القطا عطاش لم يجدن موضعاً يستقين منه غير مشرع للهلاك .

كَأَنَّهُمْ والنَّارُ مِنْ حَوْلِهِمْ   جِنٌّ تَأَلَّوْا أَنْ يَبِيدُوا مَعًا (١٩)

صارُوا مِنَ الْعِثْيَرِ فى ظُلْمَةٍ   لا تُبْصِرُ الْعَيْنُ بِهَا الإِصْبَعَا (٢٠)

٭
٭ ٭

كَمْ فارِسٍ يَمْرَحُ فى سَرْجِهِ   يَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ وقَدْ أَيْنَعَا (٢١)

كَأَنَّهُ الصَّمْصَامُ إِذْ يُنْتَضَى   وعامِلُ الرُّمْحِ إِذا أُشْرِعَا (٢٢)

ما ضَنَّ بالرِّفْدِ على وَافِدٍ   ولا لَوَى حَقًّا ولا ضَيَّعَا (٢٣)

تَمْشِى بَناتُ الْحَىِّ فى إِثْرِهِ   يَرْشُقْنَهُ بِالزَّهْرِ إِذْ وُدِّعَا (٢٤)

---

(١٩) الجن : خلق يجهل الناس حقيقتهم ويعرفون بعض أوصافهم وأحوالهم ، ويضربون بهم المثل فى البطش والتجبر والشدة . وتألوا : حلفوا . ويبيد : يهلك . يشبه المتحاربين ، تحيط بهم نيران الحرب وتغمرهم أسباب الهلاك ، بجن أقسموا أن يهلك بعضهم بعضاً . وفى هذا البيت إشارة إلى أن الحرب تعود بالخسارة على الغالب والمغلوب جميعاً .

(٢٠) العثير : الغبار ، والمعنى أنهم لكثرة ما أطلق من المدافع والبنادق وأثير من سنابك الخيل قد انعقدت فوقهم طبقات كثيفة من الدخان والغبار ، حتى صاروا فى ظلمة حالكة شديدة السواد لا يبصر الانسان فيها إصبعه .

(٢١) الفارس راكب الفرس . والمرح : شدة النشاط والفرح . وأينع : أدرك وكمل نماؤه . يقول إن كثيراً من الفرسان يخرجون إلى هذه الحرب مرحين فوق سروج الخيل يهتزون لفرط نشاطهم اهتزاز الغصن الذى أدرك وكمل نماؤه ، وسيخبرنا الشاعر بعد أبيات أن مصير هؤلاء الهلاك .

(٢٢) الصمصام : السيف لا ينثنى . وينتضى : يسل أى يجرد من غمده . وعامل الرمح : صدره . وأشرع : أميل أو رفع عند القتال . يشبه الفارس فى البأس والمضاء بالسيف القاطع المسلول والرمح المشرع .

(٢٣) ضن : بخل . والرفد : العطاء والصلة . ووافد : آت ووارد . ولوى الحق : جحده ، يصف هذا الفارس الشجاع بالجود والمحافظة على الحقوق .

(٢٤) الحى : القبيلة أو البطن من بطون العرب ، ويراد به هنا قوم الفارس وعشيرته . وتمشى بنات الحى فى إثره : يتبعنه عن قرب . ويرشقنه : يرمينه . وودع : شيع عند سفره . يقول إن هذا الفارس قد ملك قلوب فتيات قومه بمرحه ونشاطه وكمال خلقته وبأسه وشجاعته وسخائه وكرمه وصيانته للحقوق فهن يمشين وراءه معجبات به جانيات عليه ، يرمينه بالزهر وقت توديعه إعجابا وحباً .

مِنْ كُلِّ بَيْضاءِ الطُّلَى طَفْلَةٍ ... أَسْطَعَ مِنْ بَدْرِ الدُّجَى مَطْلَعا (٢٥)
تَكُفُّ غَرْبَ الدَّمْعِ أَنْ يُرْتَأَى ... وتَحْبِسُ الزَفْراتِ أَنْ تُسْمَعا (٢٦)
لَجَّ بِهِ المَوْتُ فَأَوْدَى بِهِ ... وحَزَّ مِنْهُ اللِّيتَ والأَخْدَعا (٢٧)
ماتَ فلا قَبْرٌ لَهُ ماثِلٌ ... ولا بَكَى الباكِي وَلا شَيَّعا ! (٢٨)

* * *

سَلْ « لِيجَ » ما حَلَّ بأَرْجائِها ... فَقَدْ غَدَتْ أَرْجاؤُها بَلْقَعا (٢٩)
واسْأَلْ « نَمُورًا » ما دَهَى أَهْلَها ... فقدْ نَعاهَا البَرْقُ فيما نَعَى (٣٠)

(٢٥) الطلى : الأعناق أو أصولها . وطفلة : رخصة ناعمة . وأسطع : أعلى وأرفع ، والمراد أبهى وأجمل . والدجى : جمع دجية وهى الظلمة . والمطلع : الطلوع . يصف الفتيات المودعات ببياض الأجسام والنعومة واللين ، وبأن طلوعهن على الناس أبهى وأجمل من طلوع البدر .

(٢٦) تكف : تمنع . وغرب الدمع : مسيله أو انهلاله من العين . ويرتأى : يرى . والزفرات : جمع زفرة وهى إخراج النفس طويلا ممدوداً ، والمعنى أن هؤلاء الفتيات الحسان يكتمن عن الناس حبهن لهذا الفارس وحزنهن على فراقه ، فهن يمنعن مسيل الدمع من أن يراه الناس ، ويحبسن أنفاس الحسرة حتى لا تسمع فيفتضح حبهن . أو أنهن يخفين كل هذا حتى لا يزعجن فارسهن الراحل بآلام تلازمه فى سفره .

(٢٧) لج به الموت : لازمه . وأودى به : أهلكه . وحز : قطع . والليت : صفحة العنق . والأخدع : شعبة من عرق الوريد . والمعنى أن الموت لازم هذا الفارس فأهلكه .

(٢٨) ماثل : قائم منتصب . وشيعه : خرج معه ليودعه ويبلغه منزله . يقول : إنه على الرغم من نباهة شأنه مات ميتة الخامل وطحنته رحى الحرب وابتلعته لجتها فلا يعرف له قبر ، ولا بكاه باك ، ولا شيعه مشيع .

(٢٩) « ليج » إحدى المدن البلجيكية التى استولى عليها الألمان بعد تخريبها بمدافعهم . والأرجاء : جمع رجا وهو الناحية . وغدت : صارت . والبلقع : الأرض القفر الخالية من أسباب العمران والحياة .

(٣٠) « نامور » مدينة بلجيكية استولى عليها الألمان عقب استيلائهم على « ليج » فى أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤ . ودهاه الأمر يدهاه : أى نزل به . ونعيت الميت نعيا من باب نفع : أخبرت بموته . يقول : وأسأل مدينة «نامور» أى خطب نزل بأهلها ، فقد أخبر البرق بخرابها .

وسائِلِ الرَّوْضَ ذَوَى نَبْتُـهُ وسائِلِ الْأَطْلالَ والْأَرْبُعا (٣١)

* * *

باريسُ ! والْعُسْرَى إِلَى يَسْرَةٍ وغايَةُ الْعارِضِ أَنْ يُقْشِعا (٣٢)

أَعَزَّكِ الْخَطْبُ بِأَوْجالِهِ ؟ وَكُنْتِ عُشَّ النَّسْرِ أَوْ أَمْنَعا (٣٣)

كُنْتِ لِطُلَّابِ الْهُدَى مَعْهَدًا وَكُنْتِ رَوْضاً لِلْهَوَى مُمْرِعا (٣٤)

ما أَحْسَنَ السِّينَ وجِيرانَهُ وأَحْسَنَ الْمُصْطافَ والْمَرْبَعا ! (٣٥)

---

(٣١) الروض : جمع روضة وهى الموضع المعجب بمائه ونباته وأزهاره . وذوى : ذبل . والأطلال : جمع طلل وهو ما شخص من آثار الديار . والأربع : جمع ربع وهو محلة القوم ومنزلهم . وفى هذا البيت والبيتين قبله تحسر وأسف على ما أدت إليه الحرب من خراب ودمار .

(٣٢) باريس كبرى المدن الفرنسية ومقر الحكومة ، وقد كادت تسقط فى أيدى الألمان فى أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤ . والعسرى : الضيق والشدة والصعوبة . واليسرة : اسم مرة من يسر الأمر من بابى قرب وتعب أى سهل واتسع . والعارض : السحاب يعترض فى الأفق ويراد به هنا الغمة والضيقة . ويقشع : ينكشف . يهون على باريس وأهلها ما أصابهم من شدة الحرب وأهوالها ، ويمنيهم باليسر وانكشاف الغمة وحسن العاقبة .

(٣٣) عزك : غلبك ، والهمزة للاستفهام ، ويراد بالاستفهام هنا التعجب . والخطب : النازلة الشديدة . والأوجال : جمع وجل وهو الخوف . والنسر من جوارح الطير يضرب المثل بعشه فى العز والمنعة ، وأمنع : أعز وأقوى وأحصن . يتعجب من أن تتغلب شدائد الدهر ومخاوفه على باريس ، وقد كانت مثل عش النسر فى المنعة والأمن والعزة ، بل كانت أقوى وأعز منه وأحصن .

(٣٤) الهدى : الرشاد . والمعهد : المنزل الذى لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه . والروض : جمع روضة وهى الموضع المعجب بمياهه وعشبه وأزهاره . والهوى : العشق أو ميل النفس نحو شهواتها . وأمرع الوادى : أخصب وكثر كلؤه . يقول إن باريس كانت تجمع بين جد الحياة ولعبها . فهى منزل يتردد إليه طلاب الهدى والعلم والرشاد ، وهى مجال فسيح ممتع لأهل الغى واللهو والمرح .

(٣٥) السين : نهر مشهور بفرنسا يمر بمدينة باريس . ويريد بجيران السين أهله وسكان واديه . والمصطاف : الموضع الذى يقيم فيه الناس صيفا . والمربع : منزل القوم فى الربيع ، يتعجب من جمال نهر السين ومن البلاد حوله فى طيب مغانيها واعتدال جوها فى الصيف والربيع .

أَرِيعَتِ الْحَسْنَاءُ فِى خِدْرِهَا ؟   نَعَمْ ، دَعَاهَا الذُّعْرُ أَنْ تَهْلَعَا ؟ (٣٦)
عَهْدِى بِهَا كَانَتْ نَؤُومَ الضُّحَى   مَلُولَةً نَاعِمَةً رَعْرَعَا (٣٧)
مَا خَطْبُهَا وَالنَّارُ مِنْ حَوْلِهَا   وَالْمَوْتُ لَمْ يَتْرُكْ لَهَا مَفْزَعَا ؟ (٣٨)

* * *

ضَرَاغِمَ الْمَاءِ ، ثِبُوا وَثْبَةً   آنَ لِهَذَا الْغِيلِ أَنْ يُمْنَعَا ! (٣٩)
دَعَاكُمُ الْجَارُ فَكُنْتُمْ إِلَى   دُعَائِهِ مِنْ صَوْتِهِ أَسْرَعَا (٤٠)

---

(٣٦) ريعت : أفزعت وأخيفت من الروع وهو الفزع والخوف . والحسناء : المرأة الجميلة . والخدر : الستر . والذعر : الفزع والخوف . وتهلع : تجزع أى تفقد الصبر على احتمال ما نزل بها . يقول : أخافت حسناء باريس المدللة المنعمة وهى مطمئنة فيما اعتادته من أمن وسلام ، ثم يجيب بأن دواهى الحرب وما انتابها من الخوف والفزع أضعفها عن احتمال ما نزل بها ، يشير بذلك إلى ما كان فى أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤ من هجوم الألمان على باريس واقتراب فرسانهم منها حتى خيل إلى الناس أن المدينة ستسقط لا محالة ، ولهذا سارعت الحكومة الفرنسية فرحلت عنها إلى مدينة بوردو .

(٣٧) نؤوم الضحى : كناية عن الترف والرفاهة ولين العيش . وملولة : من الملل وهو السآمة والضجر ، والمراد أنها لانغماسها فى الترف كانت تمل كل شىء وتسأمه ، وهذا من مظاهر الرفاهة وخصائص الحسان . ناعمة : متنعمة . والرعرع : اليافعة الحسنة الاعتدال مع حسن شباب ، والمعنى أنى كنت أعرف هذه الحسناء مترفة متنعمة معتدلة القوام حسنة الشباب تمل كل شىء إدلالا منها ، وتتأخر فى النوم فلا يحملها على التبكير ما يحمل العاملات المجهودات من النساء ، يشير بهذا البيت والبيتين قبله وبعده إلى أن الحرب لم تقتصر مخاوفها وأهوالها على الجيوش المتحاربة ، بل جاوزتها إلى الآمنات الناعمات من النساء فهتكت الستور وشملت ربات الخدور .

(٣٨) الخطب : الشأن والأمر . والمفزع : الملجأ ، يستفهم متعجباً عن شأنها وقد أحاطت بها النار ، ولم يترك الموت لها ملجأ تطلب فيه الأمن والسلامة .

(٣٩) الضراغم : جمع ضرغام وهو الأسد . والوثوب : الطفر والقفز . وآن : حان . والغيل : الأجمة أى الشجر الكثير الملتف ، والغيل مسكن الأسد عادة . ويمنع : يحمى ، يريد بضراغم الماء رجال الأسطول الانجليزى وجنود البحر ، شبههم بالأسود وحضهم على حماية عرينهم .

(٤٠) يريد بالجار مملكة « بلجيكا » من ممالك أوربا الشمالية ، وهى إلى الجنوبى الشرقى من الجزائر البريطانية . يقول إنه لما دعاكم الجار إلى إنجاده ونصرته كنتم أسرع إلى إجابة دعائه من صوته ، أى إن صوت استنجاده لم يكد يصل إليكم حتى بادرتم إلى نجدته .

وَسِرْتُمُ لِلْمَوْتِ فِي جَحْفَلٍ   ما ضَمَّ رِعْدِيداً وَلاَ إِمَّعا (٤١)
مِنْ كُلِّ شَعْشَاعٍ خَفِيفِ الْخُطَا   ذِي مِرَّةٍ مُنْجَرِدٍ أَرْوَعا (٤٢)
لَوْ مَادَتِ الْأَجْبَالُ مِنْ تَحْتِهِ   أَوْ خَرَّتِ الأَفْلاَكُ ما زُعْزِعا (٤٣)
سَلُوا بِحَارَ الأَرْضِ عَنْ مَجْدِكُمْ   إِنَّ بِهَا سِرًّا لَكُمْ مُودَعا (٤٤)
كَانَتْ وَلاَ زَالَتْ لَكُمْ سَاحَةً   تَبْنُونَ فِيها الشَّرَفَ الأَفْرَعا (٤٥)
تَهْوَى طُيُورُ الْماءِ أَعْلاَمَكُمْ   فَتَقْتَفِيهَا حُوَّماً وُقَّعا (٤٦)

(٤١) الجحفل : الجيش الكثير . والرعديد : الجبان . والامع والامعة : الرجل يتابع كل أحد على رأيه لا يثبت على شيء ، والمراد بالامع هنا الضعيف المتردد الحائر ، يقول إنكم سرتم لنصرة جاركم مقبلين على الموت في جيش كثير جرار ليس فيه جبان ولا ضعيف متردد .

(٤٢) الشعشاع : الطويل المسرع . والخطا : جمع خطوة وهي ما بين القدمين ، وخفيف الخطا : كناية عن السرعة والمضاء . والمرة : القوة وشدة العقل . والمنجرد : النشيط ذو الهمة ، يقال انجرد للأمر أي شمر له واهتم . والأروع : من يعجبك بشجاعته ، يقول إن هذا الجيش تألف من كل طويل القامة خفيف الحركة جاد في سيره نشيط قوي شجاع .

(٤٣) مادت : زلزلت وتحركت ، والأجبال : جمع جبل . وخرت : سقطت . والأفلاك : مدارات النجوم ، والمراد النجوم نفسها . وزعزع : اضطرب وتحرك ، يقول إنه لو مادت الجبال من تحت هؤلاء الجنود البواسل أو سقطت النجوم من فوقهم ما تزعزعوا ولا اضطربوا ، يصفهم بمنتهى الشجاعة والجلد .

(٤٤) المجد : العز والشرف . ومودع : محفوظ مصون . يقول إن البحار تشهد لهؤلاء القوم بالعز والشرف والسؤدد لكثرة ما رأت من مظاهر بطولتهم وأسرار عظمتهم .

(٤٥) الساحة : الناحية وفضاء بين دور الحي ، والأفرع : الأعلى ، يقول إن البحار كانت ولا زالت ميدان مجد لكم تبنون فيه الشرف الرفيع العالي بما تبهرون به العالم من عظمتكم البحرية الحربية .

(٤٦) تهوى : تحب . والأعلام : جمع علم . وتقتفيها : تتبعها . وحوم : دائرات حولها طائفات بها ، مفردها حائم ، أو حائمة ، من حام الطائر أي دار . ووقع : حاطات نازلات بها ، مفردها واقع أو واقعة ، من وقع الطائر أي حط ونزل . والمعنى أن طيور الماء لكثرة ما ترى أعلامكم ذاهبة آئبة في البحار ألفتها واطمأنت إليها ، فهي إما حائمة حولها وإما واقعة عليها مطمئنة في حماها .

قَدْ طافَ « نِلْسُنْ » حَوْلَ أُسْطُولِكُمْ مُسْتَصْرِخاً غَضْبَانَ مُسْتَفْزِعا(٤٧)
يُغْضِبُهُ يا خَيْرَ أَشْبالِهِ أَنْ يَبْلُغَ القِرْنُ بِكُمْ مَطْمَعا(٤٨)

*
* *

يا خَالِقَ النَّاسِ ، طَغَى شَرُّهُمْ فَاهْدِ الحَيارَى واكْشِفِ المَهْيَعا!(٤٩)
لم يُشْبِهُوا الإِنسانَ فى خَلَّةٍ وأَشْبَهُوا الحَيَّاتِ والأَسْبُعا(٥٠)
قَدْ رُفِعَ الإِحْسانُ مِنْ بَيْنِهِمْ وأَوْشَكَ الإِيمانُ أَنْ يُرْفَعا(٥١)
لَوْلا سَنَا هَدْيِكَ فى بَعْضِهِمْ لَدُكَّتِ الأَرْضُ بِهِمْ أَجْمَعا(٥٢)

---

(٤٧) « نلسن » من أبطال الانجليز وقائد أسطولهم إبان الحرب الفرنسية . ومستصرخ : يصرخ بقومه للاغاثة وينفخ فيهم من عزيمته وبطشه . ومستفزع : مستغيث مستنصر : يقول إن روح نلسن طافت حول الأسطول غاضبة مستنصرة مستحثة للعزائم .

(٤٨) الأشبال : جمع شبل وهو ولد الأسد ، القرن : كفؤك فى الشجاعة ، شبه « ولسن » بالأسد وجنود الأسطول بالأشبال . وصف فى هـذا البيت وتسعة الأبيات قبله رجال الأسطول الانجليزى .

(٤٩) طغى : كثر وجاوز الحد . والحيارى : جمع حيران وجمع حيرى أيضاً ، وهم الذين لا يدرون وجه الصواب . والمهيع : الطريق البين . يشكو إلى الله تعالى كثرة شرور الناس وطغيانهم وفتك بعضهم ببعض ، ويدعوه أن يهدى الحيارى منهم ، ويكشف لهم طريق الأمن والسلام .

(٥٠) الخلة : الخصلة . والأسبع : جمع سبع وهو المفترس من الحيوان . والمعنى أن المتحاربين بما يرتكبونه من الفظائع قد فقدوا فضائل الانسانية وأخلاقها وإن بقيت فيهم صورتها ، وشابهوا الحيات والحيوانات المفترسة فى الفتك والبطش والقسوة والعدوان .

(٥١) يقول إن الرفق والاحسان قد نزعا من قلوب الناس وكاد الايمان بالله تعالى وكتبه ورسله يرفع من بينهم ، ولا ريب أن الاحسان من شعب الايمان أو من ثمراته ، فالمجرد من الاحسان يكاد يكون مجرداً من الايمان . والشاعر يشير بهذا البيت والذى قبله إلى أن الحرب تخرج الانسان من طبيعته وتجرده من الأخلاق الفاضلة وتجعله سفاحاً سفاكا ظالماً قاسياً كالضاريات من الوحوش والسباع ، هذا إلى أنها تنزع من قلبه الرفق والاحسان وتكاد تجرده من الايمان .

(٥٢) السنا : النور . والهدى : الهداية والرشاد . والدك : الدق والهدم . يقول إنه لولا بقية من الناس هديتهم بنورك وكرمتهم بهدايتك لحوت الأرض ومن عليها .

الحُبّ والحَرْب

سنة ١٩١٦

ما لى فُتِنْتُ بلحْظِكِ الْفَتَّاكِ ... وسَلَوْتُ كُلَّ مَلِيحَةٍ إلَّاكِ ؟ (١)
يُسْرَاكِ قَدْ مَلَكَتْ زِمامَ صَبابَتِي ... ومَضَلَّتِي وهُدَايَ فى يُمْنَاكِ (٢)
فَإذا وَصَلْتِ ، فَكُلُّ شَىْءٍ باسِمٌ ... وإذَا هَجَرْتِ، فَكُلُّ شَىْءٍ باكِى (٣)
هذا دَمِى فى وَجْنَتَيْكِ عَرَفْتُهُ ... لا تَسْتَطِيعُ جُحُودَهُ عَيْنَاكِ ! (٤)

(١) فتنت المرأة الرجل : استمالته ودهلته أى سلبت بالعشق قلبه . واللحظ : النظر بمؤخر العين ، والفتاك : القتل على غفلة . وسلوت الشىء ، وسلوت عنه : نسيته وصبرت على فقده . والملاحة : البهجة وحسن المنظر

(٢) الزمام : المقود وهو الخيط الذى يقاد به البعير ونحوه . والصبابة : رقة الهوى . ومعنى البيت أنك مسيطرة على أمرى : ففى إحدى يديك زمام هواى ومحبتى ، وفى اليد الأخرى هداى وضلالتى ، وفى البيت إشارة إلى أن المرأة تستطيع بتأثيرها وبما فيها من سحر أن توجه الرجل إلى المقاصد السامية إذا كملت نفسها وطهر حبها ، كما تستطيع أن توجهه إلى الشرور والآثام إذا كانت آثمة شريرة ، ومن لطف التعبير أن يخص الصبابة بيسراها حيث القلب وهو موطن الحب .

(٣) معنى هذا البيت أن وصلك يجعل الدنيا فى عينى مشرقة باسمة والحياة طيبة هنيئة ، وهجرانك يجعلها كالحة عابسة ، فأنت دنياى

(٤) الوجنة من الانسان : ما ارتفع من لحم خده . يتخيل العاشق أنه قتيل الحب صريع الغرام ، وأن دمه قد ظهر فى خدى معشوقته ، وأنه من الوضوح والبيان بحيث لا تستطيع أن تنكره عيناها ، وخص بالذكر عينيها لأنهما جميلتان ساحرتان تنبعث منهما سهام الغرام ، وفى التعبير إشارة إلى أنهما هما اللتان سفكتا هذا الدم . وقد يقال إن نحول جسم المحب وامتقاع لونه راجع إلى أن محبوبته قد سلبته دمه فظهر فى وجنتيها .

لو لم أَخَفْ حَرَّ الْهَوَى وَلَهِيبَهُ ... لَجَعَلْتُ بَيْنَ جَوَانِحِى مَثْوَاكِ (٥)

إِنِّى أَغَارُ منَ الْكُئُوسِ فَجَنِّبِى ... كَأْسَ الْمُدَامَةِ أَنْ تُقَبِّلَ فَاكِ (٦)

خَدَعَتْكِ ما عَذْبَ السُّلافُ وإِنَّمَا ... قد ذُقْتِ لَمَّا ذُقْتِ حُلْوَ لَمَاكِ (٧)

لَكِ مِنْ شَبَابِكِ أَوْ دَلالِكِ نَشْوَةٌ ... سَحَرَ الأَنَامَ بِفِعْلِهَا عِطْفَاكِ (٨)

*
* *

قَالَتْ خَلِيلَتُهَا لهـا لِتَلِينَهَا ... ماذا جَنَى لَمَّا هَجَرْتِ فَتَاكِ ؟ (٩)

هِىَ نَظْرَةٌ لاَقَتْ بِعَيْنِكِ مِثْلَهَا ... ما كَانَ أَغْنَاهُ وما أَغْنَاكِ ! (١٠)

قد كَانَ أَرْسَلَهَا لِصَيْدِكِ لاَهِياً ... فَفَرَرْتِ مِنْهُ وعادَ فى الأَشْرَاكِ (١١)

عَهْدِى بِهِ لَبِقَ الْحَدِيثِ فَمَا لَهُ ... لاَ يَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ حِينَ يَرَاكِ ؟ (١٢)

---

(٥) الهوى : الحب والعشق . والجوانح : الأضلاع التى تحت الترائب مما يلى الصدر، واحدتها جانحة . والثوى : الاقامة أو مكانها من ثوى بالمـكان يثوى ثواء وثويا أى أقام به .

(٦) المدام والمدامة : الخمر

(٧) فاعل خدع ضمير مستتر يعود على المدامة وما نافية . والسلاف : الخمر . واللمى مثلثة اللام : سمرة مستحسنة فى باطن الشفة ، والمراد الشفة نفسها ومعنى البيت أنك قد انخدعت لما ذقت الخمر فظننتها عذبة طيبة سائغة ، والحقيقة أنك لم تذوقى شيئا غير حلاوة شفتيك وعذوبتهما .

(٨) تدللت المرأة ، ودلت تدل ، وهى حسنة الدل والدلال : وذلك أن ترى الرجل جرأة عليه فى تغنج وإغراء كأنها تخالفه وليس بها خلاف . النشوة : السكر . وسحر : استمال وجذب . والأنام : جميع الخلق . والعطف : الجانب ، ومعنى البيت أن لهذه المحبوبة من نضارة شبابها وحسن دلالها ولين عطفيها نشوة تستميل الخلق وتسحرهم ، وتغنيها عن نشوة الخمر .

(٩) خليلتها : صديقتها ، وفتاك : عاشقك .

(١٠) معنى البيت أنه نظر إليك نظرة فنظرت إليه مثلها ، وما كان أغناكما عن هذه النظرات التى أعقبتـكما حباً .

(١١) اللهو : اللعب والعبث . والأشراك : جمع شرك وهو حبالة الصيد وما ينصب للطير، المعنى أنه كان أرسل إليك نظراته على سبيل العبث واللعب ليوقعك فى حبه ، ولـكنك فررت منه ووقع هو فى حبائل الغرام .

(١٢) اللبق : الحاذق فى عمله ، والمراد بلباقة الحديث فصاحة المنطق وطلاقة اللسان .

إِيَّاكِ أَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ عَرَفَ الْحَيَاةَ بِحُبِّهِ إِيَّاكِ(١٣)
إِنَّ الشَّبَابَ وَدِيعَةٌ مَرْدُودَةٌ والزُّهْدُ فِيهِ تَزَمُّتُ النُّسَّاكِ(١٤)
فَتَشَمَّمِي وَرْدَ الْحَيَاةِ ، فَإِنَّهُ يَمْضِي، ولا يَبْقَى سِوَى الأَشْوَاكِ(١٥)
لم تُنْصِتِي ، وَمَشَيْتِ غَيْرَ مُجِيبَةٍ حَتَّى كَأَنَّ حَدِيثَهَا لِسِوَاكِ(١٦)
وَبَكَتْ عَلَيَّ ، فَمَا رَحِمْتِ بُكَاءَهَا ما كانَ أَعْطَفَهَا، وما أَقْسَاكِ !(١٧)

٭ ٭ ٭

عَطَفَتْ عَلَى النَّيِّرَاتُ وساءلَتْ مَذْعُورَةً قَمَرَ السَّمَاءِ أَخَاكِ(١٨)
قَالَتْ نَرى شَبَحًا يَرُوحُ ويَغْتَدِي وَيَبُثُّ في الأَكْوانِ لَوْعَةَ شَاكِي(١٩)

---

(١٣) يحذرها أن تقتله بالقطيعة والهجران ، لأنه لم يعرف لذة الحياة إلا بها ، فكيف تكون سبباً فى فقده الحياة .

(١٤) الوديعة : ما تدفعه إلى غيرك من مال ونحوه ليحفظه عنده إلى أن تطلبه وتسترده . والزهد فى الشيء : تركه والاعراض عنه . والتزمت : التوقر والتحرج . والنساك : جمع ناسك وهو الزاهد العابد ، تحضها على تلبية دواعى الصبا والانتفاع بمرح الشباب ، قبل أن تسترده الأيام فان الزهد فيه من تشدد النساك المنصرفين بطبعهم عن زينة الحياة وطيباتها .

(١٥) المراد بورد الحياة نعيمها وملاذها التى تنقضى ولا يكون بعدها إلا انمحاء الجمال بالكبر والمرض .

(١٦) يأسف على أنها لم تستمع لكلام صاحبتها ولم تعبأ به ، ومشت فى كبر وصلف دون أن تجيبها ، حتى كأنما كانت تحادث غيرها .

(١٧) يقول إن صديقتها رثت لحاله وبكت عليه ، ولم ترق محبوبته لهذا البكاء ، ثم يعجب من قسوتها وعطف صاحبتها ، وقد كانت محبوبته أولى الناس بالحنان والعطف عليه .

(١٨) النيرات : النجوم المضيئة . وخصها بالذكر لأنه يبيت يرعاها ويرقبها . ومذعورة : فزعة مشفقة .

(١٩) الشبح : الشخص . والرواح : الرجوع بالمشى . والاغتداء : الانطلاق فى أول النهار ، ومعنى يروح ويغتدى أنه يتردد حيران جيئة وذهوبا . يبث : يذيع وينشر . واللوعة : حرقة الحب .

أَنَّاتُ مَجْرُوحٍ يُمَالِجُ سَهْمَهُ وزَفِيرُ مَأْسُورٍ بِغَيْرِ فَكاكِ(٢٠)
يَقْضِى سَوادَ اللَّيْلِ غَيْرَ مُوَسَّدٍ عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ ، وقَلْبٌ ذاكِ(٢١)
حَتَّى إذا ما الصُّبْحُ جَرَّدَ نَصْلَهُ أَلْفَيْتَهُ جِسْماً بِغَيْرِ حَراكِ(٢٢)
إنَّا نَكادُ أَسًى عَلَيْهِ ، ورَحْمَةً لِشَبا بِهِ ، نَهْوِى مِنَ الْأَفْلاكِ(٢٣)
مِنْ عَهْدِ قابِيلٍ ولَيْسَ أمامَنا فى الأرْضِ غَيْرُ تَشاكُسٍ وعِراكِ(٢٤)
ما بَيْنَ فاتِكَةٍ تَصُولُ بِقَدِّها وفَتًى يَصُولُ بِرُمْحِهِ فَتَّاكِ(٢٥)

---

(٢٠) الأنات : جمع أنة وهى صوت المريض وتأوهه . ويعالج : يحاول تخفيف آلام سهمه فيزيده ذلك ألماً . والسهم : واحد النبل ، وهو ما يرمى به عن قوس ونحوها . وزفر يزفر زفراً وزفيراً : أخرج نفسه ممدوداً طويلا . والمأسور : الأسير المقيد ، والمعنى أن له أنات كأنات الجريح وزفرات كزفرات الأسير .

(٢١) وسده الوساد : جعله يتكئ عليه ، والوساد : المتكأ أو المخدة ، ومعنى غير موسد أنه قلق لا يستقر على فراش . ومسهدة : مؤرقة ساهرة . وذاكٍ : مشتعل متوقد .

(٢٢) النصل : حديدة السهم والرمح والسكين والسيف ونحوها ، وتجريد النصل : إخراجه من غمده . والمعنى حتى إذا ظهر الصبح كأنه نصل ظهر من غمده وجدته جسما ليس به حركة ، والخطاب لقمر السماء .

(٢٣) الأسى : الحزن . ونهوى : نسقط . والأفلاك : جمع فلك وهو مدار النجم .

(٢٤) العهد : الزمان . وقابيل وهابيل : ابنا آدم عليه السلام قرّب كل منهما إلى الله قرباناً فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فحنق على أخيه وقتله ، وقصتهما فى القرآن الكريم : سورة المائدة ، الآيات ٢٧ — ٣١ . والتشاكس : الاختلاف والشقاق والشراسة . والعراك : القتال .

(٢٥) الفتك : البطش أو القتل على غرة ، والمراد بالفاتكة المرأة الجميلة تستهوى عاشقها وتستهيمه . وصال على قرنه : حمل عليه وقاتله ، والمراد أنها تغلب العاشق وتستولى على قلبه . والقد : اعتدال القامة وحسن التقطيع ، وفى الكلام تشبيه ضمنى للقد بالرمح .

٭
٭ ٭

يا أرضُ وَيْحَكِ قَدْ رَوِيتِ فأَسْئِرى ... وكَفاكِ مِنْ تِلْكَ الدماءِ كَفاكِ ! (٢٦)

فى كُلِّ رَبْعٍ مِنْ رُبُوعِكِ مَأْتَمٌ ... وثَوَاكِلٌ ونَوادِبٌ وبَواكِى (٢٧)

قد قامَ أهْلُ العِلْمِ فيكِ ودَبَّرُوا ... بَرِئَتْ يَدِى مِنْ إثْمِهِمْ ويَداكِ ! (٢٨)

كاشَفْتِهِمْ سِرَّ العَناصِرِ فانْبَرَوْا ... يَتَخَيَّرُونَ أمَضَّها لِرَداكِ (٢٩)

نَثَرُوا كِنانَتَهُمْ ، وكُلُّ سِهامِها ... لِلْفَتْكِ والتَّدْمِيرِ والإهْلاكِ (٣٠)

دَخَلُوا عَلَى العِقْبانِ فى أوْكارِها ... وتَسَرَّبُوا لِمَسابِحِ الأسْماكِ ! (٣١)

---

(٢٦) ويح : كلمة رحمة . وروى من الماء يروى ريا ، ويعدى بالهمزة والتضعيف فيقال أرويته ورويته . والسؤر : البقية والفضلة . وأسأر : أبقى فى الاناء بعد شربه بقية . يطلب الشاعر للأرض الرحمة ويقول لها إنك قد شربت من دماء الناس حتى ارتويت فكفى عما بقى منها وحسبك ما فات . وفى هذا البيت إشارة إلى ما أصاب العالم من ويلات الحرب العظمى وأوزارها .

(٢٧) الربع : المنزل ومحلة القوم . والمأتم : المناحة ، وأصله نساء يجتمعن فى الخير والشر . والثواكل : جمع ثاكل وهى المرأة التى فقدت ولدها . والنوادب : جمع نادبة وهى المرأة التى تندب الميت أى تعدد محاسنه .

(٢٨) التدبير فى الأمر : النظر إلى ما تئول إليه عاقبته ، أو فعله عن غير فكر وروية ، والمراد أن العلماء قد استخدموا أفكارهم وعلومهم فى ابتداع أدوات التدمير ووسائل الاهلاك . والاثم : الذنب .

(٢٩) العناصر : الأصول ، والمراد بسرها خواصها وصفاتها . وانبرى للشىء : تجرد له ، والمراد أنهم تأملوا العناصر ، وأجادوا الفحص عن أضرارها واختيار أبلغها أذى . وأمضها : أشدها إيلاما . والردى : الهلاك . كأنه يعاتب الأرض بأنها هى التى كشفت لهؤلاء العلماء عن مكنون سرها وقوى عناصرها فاستخدموها فى تدميرها ، فاذا لامت أحداً فنفسها تلوم .

(٣٠) الكنانة : جعبة من الجلد توضع فيها السهام ، ونثر الكنانة إنما يكون لاختيار أصلب السهام وأعظمها تأثيراً . والفتك : البطش والقتل على غفلة . والتدمير : الاهلاك .

(٣١) العقبان : جمع عقاب وهو من جوارح الطير . والأوكار : جمع وكر وهو عش الطائر . والتسرب : الدخول فى السرب وهو الجحر أو البيت فى الأرض ، والمراد أن العلماء قد ابتدعوا من الطيارات والغواصات وغيرها ما أزعجوا بها سكان الهواء والماء .

فَتَأَمَّلِى ، هَلْ فى تُخُومِكِ مَأْمَنٌ ؟ أَمْ هَلْ هُنالِكَ مَعْقِلٌ بِذُراكِ ؟ (٣٢)

ظَهْرُ اللُّيُوثِ وذاكَ أَصْعَبُ مَرْكَبٍ أَوْفَى وأَكْرَمُ مِنْ أَدِيمِ ثَراكِ (٣٣)

لَيْتَ الْبِحارَ طَغَتْ عَلَيْكِ وسُجِّرَتْ أو أَنَّ مَنْ يَطْوِى السَّماءَ طَواكِ ! (٣٤)

☆
☆ ☆

لم يَبْقَ فى الْإِنْسانِ غَيْرُ ذَمائِهِ فَدَراكِ يا رَبَّ السَّماءِ دَراكِ ! (٣٥)

وإِذا النُّفُوسُ تَفَرَّقَتْ نَزَعاتُها قامَتْ إِذا قامَتْ بِغَيْرِ مَساكِ (٣٦)

والسَّيْفُ أَظْلَمُ ما فَزِعْتَ لِحُكْمِهِ والْحَزْمُ خَيْرُ شَمائِلِ الأَمْلاكِ (٣٧)

---

(٣٢) التخوم : معالم الأرض وحدودها مفردها تخم . وأم للاضراب . والمعقل : الملجأ . والذرا : جمع ذروة وهى من كل شىء أعلاه . والمعنى أن فظاعة الحرب وأهوالها وقسوتها لم تبق على ظهر الأرض مأمناً .

(٣٣) الليوث : جمع ليث وهو الأسد . والأديم : ظهر الأرض . والثرى : التراب الندىّ . والمعنى أن ظهور الآساد — على الرغم من أنها أشد المراكب صعوبة — أكثر من ظهر الأرض وفاء وكرماً وأقل منه غدراً وخطراً .

(٣٤) طغى البحر : هاجت أمواجه وارتفعت وزادت مياهه حتى جاوزت الحد ، وطغيان البحار على الأرض إغراقها . وسجرت : زيد اضطرابها وغليانها . والشاعر يشير بالشطر الثانى من هذا البيت إلى الآية القرآنية الكريمة « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا ، إنا كنا فاعلين » ١٠٤ — سورة الأنبياء .

(٣٥) الذماء : بقية النفس . ودراك : أدرك . يدعو أن تلحق الناس رحمة الله ولطفه .

(٣٦) النزعات : المذاهب والميول . والمساك : الموضع يمسك الماء ويراد به هنا الحائل الذى يقف فى وجه الميول الشريرة والأطماع المبيدة ، والمعنى أن اختلاف نزعات الدول وتفرق أطماعها ومآربها يسبب انحلالها وتفرقها واندفاعها فى طريق الشر .

(٣٧) فزع إليه : لجأ إليه عند الفزع وهو الخوف . والحزم : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة ، وحزم فلان رأيه أتقنه . والشمائل : الأخلاق والطباع ، مفردها شمال . والأملاك : جمع مَلك ، ومعنى البيت أن الحرب أظلم وسيلة يلجأ إليها الناس ويحتكمون ، وأن علاج الأمور بالحزم خير ما يتصف به الملوك .

وَمِنَ الدِماء طَهارَةٌ وعَدالَةٌ ... وَمِنَ الدِماءِ جِنايَةُ السُّفّاكِ[٣٨]
والْعِلْمُ مِيزانُ الْحياةِ فإنْ هَوَى ... هَوَتِ الْحياةُ لأَسْفلِ الأَدْرَاكِ[٣٩]

(٣٨) السفاك : جمع سافك ، اسم فاعل من سفك الدم بمعنى أراقه ، ومعنى البيت أن القتل قد يكون قصاصاً وعدلا وطهراً لا إثم فيه ، وقد يكون ظلماً وجريمة يرتكبها سفاك غاشم .

(٣٩) هوى : سقط . والأدراك : جمع درك وهو أقصى قعر الشيء ، ومعنى البيت أن العلم فى جميع أحواله ميزان تعرف به الحياة وتقدر على حسب ما يصل إليه من رفعة أو انحطاط ، فاذا سقط العلم فتوجه إلى الافتنان فى أساليب الشر ، وابتكار وسائل التدمير ، سقطت معه الحياة إلى أسفل حضيض .

لَيلَةٌ ولَيلى

١٩١٧

وَلَيْلَةٍ حَالِكَةِ الْجِلْبَابِ أَغْطَشَ مِنْ خَافِيَةِ الْغُرَابِ(١)
كَأَنَّهَا صَحِيفَةُ الْمُغْتَابِ أَوْ حَظُّ مَحْدُودٍ مِنَ الْكُتَّابِ(٢)
أَوْ غَمَرَاتُ الزَّاخِرِ الْخِضَمِّ(٣)
وَقَفْتُ فِيهَا وِقْفَةَ الْمُلْتَاحِ أُسَائِلُ النَّجْمَ عَنِ الصَّبَاحِ(٤)

---

(١) حالكة : شديدة السواد . والجلباب : الملحفة ، أو هو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ، أو هو ما يغطى به من ثوب وغيره ، وحلوكة جلباب الليلة كناية عن شدة ظلامها . وأغطش : اسم تفضيل من غطش الليل يغطش أى أظلم . وخافية الغراب : واحدة الخوافى وهى ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، أو هى الأربع اللواتى بعد المناكب ، أو هى سبع ريشات بعد السبع المقدمات ، أو هى ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح ، وخوافى الغراب أشد سواداً من قوادمه . ولهذا يضرب بها المثل فى السواد .

(٢) المغتاب : الذى يذكر غيره بما يكره ، أو الغيبة بالكسر ، والاغتياب : أن يتكلم إنسان خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه ، وصحيفة المغتاب صحيفة مسودة بالذنوب والآثام . ولهذا حسن تشبيه الليلة المظلمة بها فى السواد . والحظ : النصيب والجد والبخت . والمحدود : الممنوع من البخت وغيره . ويريد بالكتاب الأدباء ، والمحروم منهم سيئ الحظ شديد الشعور بسواد عيشه ، ولهذا صح تشبيه الليلة المظلمة بحظ المحروم من الكتاب .

(٣) الغمرات : جمع غمرة وهى كثرة الماء ومزدحمه . والزاخر : الطامى الممتلئ . والخضم : البحر . يقول ورب ليلة شديدة الظلام أشد سواداً من خافية الغراب كأنها صحيفة آثام المغتاب أو حظ محروم من الكتاب أو غمرات بحر طام ممتلئ ، وقفتُ فيها الخ .

(٤) الملتاح : المتغير من هم أو سفر أو نحوها ، يقال لاحته النار والسموم ولوّحته أى غيرته وسفعت وجهه ، ولاحه السفر والعطش ولوحه . وأسائل : أسأل ، يقال سألته عن كذا وساءلته عنه ، ومساءلة النجم عن الصباح كناية عن طول الليل .

فَقَالَ سَلْ عَنْهُ عَتِيقَ الرَاحِ أَوْ وَجَنَاتِ الْخُرَّدِ الْمِلاَحِ (٥)

فَلَيْسَ لِى بِشَأْنِهِ مِنْ عِلْمِ (٦)

إنّى رَأَيْتُ الْعُــرُبَ الْحِسَانَا يَصْبُغْنَ مِنْهُ الْخَدَّ وَالْبَنَانَا (٧)

وَرَاهِباً ، أَظُنُّــهُ فُـلاَنَا أَحْضَرَ بِالأَمْسِ هُنَا دِنَانَا (٨)

وَرَاحَ وَهْىَ مُفْعَمَاتٌ تَهْمِى (٩)

يا سارِقاتِ الصُبْحِ طَالَ لَيْلِى ! فَدَيْتُكُنَّ بَعْضَ هَذَا الدَلِّ ! (١٠)

---

(٥) العتيق : القديم . والراح : الخمر . والوجنات : جمع وجنة وهى ما ارتفع من لحم الخد . والخرد : جمع خريدة وهى البكر لم تمسس ، أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة . والملاح : جمع مليحة وهى الجميلة .

(٦) الشأن : الأمر والحال ، يقول وقفت فى هذه الليلة وقفةَ مَن غيره السهر والسهاد أسأل النجم عن الصباح ، فقال سل عنه الخمر المعتقة ، أو خدود الخفرات الحسان الجميلات من النساء ، فلست أعلم عنه شيئا ، وفى قوله « سل عنه عتيق الراح » تشبيه ضمنى لوجوه الحسان اللائى يتغزل بهن بالصباح فى البياض والاشراق ، وما أجمل أن يجعل الشاعر هذا الغزل الرقيق جواباً من النجم لمّا ساءله عن الصباح . إن هذا تأليف بديع وسيسير عليه الشاعر فى الأبيات التالية .

(٧) العُرُب : جمع عروب وهى المرأة الضاحكة المتغزلة . والحسان : جمع حسنة أو حسناء . والبنان : أطراف الأصابع ، الواحدة بنانة .

(٨) الراهب : عابد النصارى . والدنان : جمع دَنّ وهو وعاء للخمر ، كهيئة الحب إلا أنه أطول منه وأوسع رأساً .

(٩) راح : رجع . ومفعمات : مملوءات . وتهمى : تسيل . لما سأل النجم فى الأبيات السابقة عن الصباح ، وأجابه بقوله «سل عنه عتيق الراح أو وجنات الخرد الملاح» ، أراد أن يعزز الجواب السابق ، ويؤكد تشبيه الحسان والخمر بالصباح فقال : على لسان النجم إنى رأيت الضاحكات المتغزلات الحسان من النساء يصبغن من الصباح خدودهن وبنانهن ، ورأيت أحد العباد من النصارى قد أحضر هنا أمس دنانا ، وحملها وهى مملوءات تسيل خمراً معتقة ، والمعنى أن الصباح قد نهب ، فقسم منه فى خدود الحسان ، وقسم فى بطون الدنان ، والشعراء يتغنون بخمر الرهبان لأنها أجود أنواع الخمر وأعتقها .

(١٠) فديتكن : جعلت نفسى فداء لكن إذا أصابكن مكروه . والدل والدلال : أن ترى المرأة الرجلَ جرأة عليه كأنها تخالفه وليس بها خلاف .

هَلْ جازَ فِى دِينِ الْغَرامِ ذُلِّى ؟ مَنْ لِى بِأَنْ أَلْقَى الصَّبَاحَ مَنْ لِى؟ (١١)

بِاللَّمْحِ أَوْ بِاللَّمْسِ أَوْ بِاللَّثْمِ (١٢)

فِيكُنَّ ذاتُ حَسَبٍ ودِينِ مُشْرِقَةُ الطَّلْعَةِ وَالْجَبِينِ (١٣)

كَأَنَّها إِحْدَى الظِّباءِ الْعِينِ مَنْ عاذِرِى فِيهاَ، وَمَنْ مُعِينِى؟ (١٤)

عِيلَ بِهاَ صَبْرِى وَطَاشَ حِلْمِى (١٥)

عَلِقْتُهاَ صامِتَـــةَ الْحِجْلَيْنِ أَنْصَعَ مِنْ سَبِيكَةِ اللُّجَيْنِ (١٦)

---

(١١) الدين : العادة والسيرة والحكم .

(١٢) اللمح : مصدر لمحه من باب قطع أى أبصره بنظر خفيف . واللثم : التقبيل وبابه فهم ، جعلهن سارقات للصبح ، وهذا تشبيه ضمنى كما سبق ، ثم شكا طول ليله بسبب العشق وهجر الحبيب ، ثم دعا بأن تكون نفسه فداء لهن ، ثم سألهن إقلالاً ما يعانيه من دلالهن ، واستفهم مستنكراً أن يجوز فى مذهب الحب والعشق إذلاله ، وتمنى أن يجد ما يساعده على لقاء حبيباته الشبيهات بالصباح ، تمنى أن يلقاهن بالنظر أو باللمس أو اللثم ، وهو هنا يترقى فى مظاهر اللقاء ، فينتقل من من الأدنى إلى الأعلى .

(١٣) الحسب : مصدر حسُب كشرُف وكرم ، وهو ما يعده الانسان من مفاخر آبائه ، أو هو الشرف الثابت له ولآبائه . ومشرقة : مضيئة . والطلعة : الوجه . والجبين : ناحية الجبهة فوق الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وعن شمالها .

(١٤) الظباء : جمع ظبى وهو الغزال ، تشبه به المرأة فى الرشاقة وجمال العنق والعيون . والعين : جمع عيناء وهى الحسنة العينين الواسعتهما. وعذره من باب ضرب ، والاسم العذر بضم العين أى رفع عنه اللوم .

(١٥) عِيلَ صبرى : غلب . وطاش السهم عن الهدف : انحرف وعدل . والحلم : الأناة والعقل ، يقول إن فى النساء اللائى تغزل بهن فتاة ذات حسب ودين مضيئة الوجه والجبين كأنها ظبية جميلة العينين واسعتهما ، ثم يسأل عمن يعذره فى حبها، ومن يُعينه على أمره ، فان صبره على هجرها ضعف وغلب ، وحلمه انحرف عن الصواب واضطرب .

(١٦) علقتها : من باب فرح هويتها وأحببتها . والحجل بكسر الحاء وفتحها : الخلخال ، وصامتة الخلخالين أى لا يسمع لهما حس ، وذلك كناية عن امتلاء ساقيها . وأنصع : أخلص وأشد بياضاً . وسبك الفضة وغيرها : أذابها ، وبابه ضرب . واللجين : الفضة .

حَوْراءَ مِلْءَ الْقَلْبِ ، مِلْءَ الْعَيْنِ   كَأَنَّهَا اللِّقَاءُ بَعْدَ الْبَيْنِ (١٧)

أَوْ عَوْدَةُ الشِّفاءِ بَعْدَ السُّقْمِ (١٨)

حَدِيثُهَا سُلافَةُ النَّدِيمِ   وَخُلْقُهَا تَوَاضُعُ الْيَتِيمِ (١٩)

فَدَيْتُهَا مِنْ مَلَكٍ كَرِيمٍ !   تَعْرِفُ فِيهَا نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٠)

أَنْقَى وأَصْفَى مِنْ نِطَافِ الغَيْمِ (٢١)

أَبْرَزْنَهَا يَوْماً فَقُلْتَ وَاهَا !   قُتِلْتُ إِنْ شَبَّبْتُ فِي سِوَاهَا ! (٢٢)

كَأَنَّهَا ، وَالْحُسْنُ قَدْ جَلَّاهَا   لُؤْلُؤَةٌ ، تَبْهَرُ مَنْ رَآهَا (٢٣)

أَلْقَى بِهَا الْغَوَّاصُ قُرْبَ الْيَمِّ (٢٤)

---

(١٧) حوراء : صفة من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها . والبين : الفراق .

(١٨) السقم : المرض ، يقول إنه أحبها ممتلئة الجسم والساقين بيضاء حوراء يملأ حسنها القلب والعين ، كأنها اللقاء بعد الفراق أو عودة الشفاء بعد المرض .

(١٩) السلافة : الخمر . والنديم : من ينادمك أى يجالسك على الشراب .

(٢٠) النضرة : الحسن والبهاء والرونق .

(٢١) النطاف : جمع نطفة وهى الماء الصافى . والغيم : السحاب ، يقول إن حديثها ساحر جذاب كالخمر ، وفى خلقها تواضع محبوب كتواضع اليتيم ، ثم يدعو بأن تكون نفسه فداء لها فانها أشبه بملك كريم ، تعرف فيها رونق الترف وجمال النعيم ، وهى أنقى وأصفى من ماء السحاب الذى يضرب به المثل فى النقاء والصفاء .

(٢٢) أبرزنها : أظهرنها ، وضمير الفاعل يعود إلى أترابها اللائى كن معها . وواها : أتلهف وأتعجب . وشبب بالمرأة : ذكرها فى شعره وتغزل بها .

(٢٣) جلاها : كشفها وأوضحها . تبهر : تغلب بحسنها ، يقال بهر القمر أى أضاء حتى غلب ضوءُه ضوء الكواكب ، فهو باهر .

(٢٤) الغواص : من يغوص فى قرار البحر لاستخراج اللؤلؤ . واليم : البحر . يقول إن لداتها وصاحباتها أظهرنها يوماً فتعجب وتلهف ودعا على نفسه بالموت إن هو شبب بغيرها ، ثم شبهها فى البهاء والصفاء بلؤلؤة باهرة مشرقة ألقى الغواص بها قرب البحر ، وفى هذا إشارة إلى المبالغة فى شدة صفائها ، إذ شبهها باللؤلؤة قبل أن يزول بهاؤها بالزمن والاستعمال .

لَيْلاَىَ يا مضيئة اللَّيْـلاَتِ ! يا مَلَكَ الرَّحْمَـةِ والنَّجاةِ ! (٢٥)
عَرَفْتُ مِنْـكِ كَرَمَ الصفاتِ وَقِيمَةَ الْحَيَـاةِ فى الْحَيَـاةِ (٢٦)
إنْ كانَ لِى نُعْمٌ فأَنْتِ نُعْمِى (٢٧)

(٢٥) النجاة : مصدر نجا من كذا ينجو ، يقول إن ليلاه يشرق بها ظلام الليل لجمالها ، وإنها شبه ملك يهب للناس الرحمة والنجاة من الشر .

(٢٦) يقول إنه عرف منها الصفات الـكريمة أى إنها علمته كرم الصفات وعرفته مقدار الحياة العزيزة الهنيئة الطيبة .

(٢٧) نعم : اسم فتاة شبب بها عمر بن أبى ربيعة. يقول : إن كان لى محبوبة فى الحياة فأنت محبوبتى . شبب بمحبوبته أولا ضمن أترابها ولداتها من النساء ، ثم أفردها بالنسيب والتشبيب فوصفها بالحسب والدين وإشراق الوجه والجبين وجمال العيون واتساعها وامتلاء الجسم والبياض الخالص والحور وعذوبة الحديث والتواضع والبهاء والرونق ورغد العيش والرفاهية والنقاء والصفاء والتفوق على أترابها ، كل ذلك فى عبارات ساحرة ، وتشبيهات بارعة ، وأسلوب يصور شدة الوجد والحنين أبلغ تصـوير .

بَغْدَادُ

ألقيت فى حفل افتتاح المؤتمر الطبي العربى ببغداد فى ٩ من فبراير سنة ١٩٣٨ م

بَغْدَادُ ، يَا بَلَدَ الرَّشِيدِ ! وَمَنَارَةَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ ! (١)
يَا بَسْمَةً لَمَّا تَزَلْ زَهْرَاءَ فى ثَغْرِ الْخُلُودِ (٢)
يَا مَوْطِنَ الْحُبِّ الْمُقِيمِ وَمَضْرِبَ الْمَثَلِ الشَّرُودِ (٣)
يَا سَطْرَ مَجْدٍ لِلْعُرُوبَةِ خُطَّ فى لَوْحِ الْوُجُودِ (٤)

---

(١) بغداد : مدينة عظيمة على شاطئ نهر دجلة من بلاد العراق ، وكانت مقر الخلافة العباسية ، بناها أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين سنة ١٤٥ هـ . والرشيد هو هارون الرشيد خامس خلفاء بنى العباس تولى الخلافة (١٧٠ هـ — ١٩٣ هـ) وكان عصره عصر نعيم ورخاء ، وفى زمنه ازدهرت بغداد وعظم شأنها . والمنارة : موضع النور ومنبثقه . والمجد : الشرف والرفعة . والتليد : القديم . يخاطب الشاعر بغداد منوهاً بها ، متغنياً بعصورها المشرقة الزاهية ، مشيراً إلى ما كانت عليه فى زمن الرشيد من أبهة وعظمة وشرف ورفعة .

(٢) البسمة : اسم مرة من البسم وهو أقل الضحك وأجمله . وزهراء مشرقة متلألئة . والثغر : الفم أو الأسنان ، أو مقدمها حيث يكون الابتسام . والخلود : الدوام والبقاء . يقول إنها فى ثغر الوجود ابتسامة خالدة باقية لا تزال متلألئة مشرقة .

(٣) الشرود : السائر الذائع المنتشر . يشير إلى ما تتجه به قلوب المسلمين إلى هذه المدينة من الحب الثابت المقيم ، وإلى ما حظيت به من وفور العمران واتساع الملك وبعد الصيت ، حتى صارت فى ذلك مضرب الأمثال على تعاقب الأجيال ، وحديث الركبان فى كل مكان .

(٤) المجد : الرفعة والشرف . والعروبة : مصدر عرب لسانه عروبة إذا كان عربياً فصيحاً ، والمراد بها هنا القومية العربية .
يقول إن بغداد فى صفحة الكون سطر يقرأ الناس فيه مجد العروبة وما كان للعرب ولغتهم ودينهم من عز وشرف ورفعة وسلطان .

يَا رَايَةَ الْإِسْـلامِ ، وَاْ إِسْـلَامُ خَفَّاقُ الْبُنُودِ(٥)
يَا مَغْرِبَ الْأَمَلِ الْقَدِيـــمِ ، وَمَشْرِقَ الْأَمَلِ الْجَدِيدِ(٦)
يَا بِنْتَ دِجْلَةَ ، قَدْ ظَمِئْـــتُ لِرَشْفِ مَبْسِمِكِ الْبَرُودِ(٧)
يَا زَهْرَةَ الصَّحْرَاءِ ، رُدِّ ى بَهْجَةَ الدُّنْيَا وَزِيدِى(٨)
يَا جَنَّةَ الْأَحْـــلَامِ ، طَا لَ بِقَوْمِنَا عَهْدُ الرُّقُودِ(٩)
يَا بُهْرَةَ الْمُلْكِ الْفَسِيـــحِ ، وَصَخْرَةَ الْمُلْكِ الْوَطِيدِ(١٠)

---

(٥) خفاق : مهتز متحرك ، والبنود : جمع بند وهو العلم الـكبير ، فارسى معرّب . يشير إلى ما كان للاسلام فى أيام العباسيين الأولى من قوة وبأس واتساع ملك وسلطان ، فقد كانت بنوده تخفق فى مشارق الأرض ومغاربها ، وكانت بغداد آنئذ أكبر راياته ، ومقر ملـكه ، ومركز قوته ، وعنوان عظمته ، ومنارة مجده .

(٦) يقول إذا كانت تلك الآمال القديمة قد غربت فى هذه المدينة بغروب دولة بنى العباس ، فقد أشرق اليوم منها أمل جديد ، يشير بذلك إلى نهضة العراق الحاضرة وما يرجى له من تقدم يستعيد به مجده التليد .

(٧) الرشف : مصدر رشف من باب ضرب وقتل أى مص الماء وشربه قليلا قليلا ، وهذا أسكن للعطش ، أو الرشف : أخذ الماء بالشفتين ، وهو فوق المص . والمبسم : الثغر ، وهو ما تقدم من الأسنان حيث يكون الابتسام ، والمراد الريق . والبرود : البارد .
يريد أنه قد سافر إليها يحفزه الشوق والحب والاعجاب ، فهو كالعاشق الواله يرجو أن يرشف ثغر معشوقته ، ويطفىء لوعة حبه بريقها البارد العذب .

(٨) البهجة : الحسن .
يرجو أن تبلغ بغداد فى حاضرها ما بلغته فى ماضيها من بهجة وحسن وكمال ، والانفراد بالعظمة والأبهة والجلال ، وأن تزيد فى كل هذا على ما كان لها فى سالف الزمان ، ويخاطبها بقوله « يازهرة الصحراء » مشيراً إلى أنها فيما يجاورها من الصحارى كالزهرة المشرقة الناضرة .

(٩) الرقود : النوم
يقول إن بغداد جنة تسرح فيها أحلام الماضى وذكرياته الجميلة ، ثم يوازن بين الماضى والحاضر، فيرى أن الأمم العربية الأسلامية قد اعتورها الضعف وطال عليها زمن الخمول ، وهو بهذا يحفزها إلى اليقظة والنهوض .

(١٠) بهرة الملك : قصبته ومقره . والوطيد : الثابت المتين ، ما زال الشاعر يتغنى بماضى بغداد وتاريخها المجيد ، وهو فى هذا البيت يقول إنها كانت للملك الاسلامى العريض الواسع المـكين قصبة ومقراً وينبوع عز ومركز قوة .

يَا زَوْرَةً تُحْيِي الْمُنَى إنْ كُنْتِ صَادِقَةً فَعُودِي![11]

* * *

بغْدَادُ ، يا دَارَ النُّهَى وَالْفَنِّ ، يا بَيْتَ الْقَصِيدِ[12]

نبتَ الْقَرِيضُ عَلَى ضِفَا فِكِ بَيْنَ أفْنَانِ الْوُرُودِ[13]

سَرَقَ التَدَلُّلَ مِنْ « عِنَا نٍ » وَالتَفَنُّنَ مِنْ «وَحِيدِ»[14]

يَشْدُو كَأَنَّ لَهَاتَهُ شُدَّتْ عَلَى أوْتَارِ عُودِ[15]

---

(١١) الزورة : اسم مرة من الزيارة . والمنى جمع منية وهى ما يتمناه الانسان ويريده ويرجوه، يقول إن هذه الزيارة قد أحيت آماله ، وبعثت أمانيه ، وتركت فى نفسة أجل أثر ، وهو من أجل ذلك يرجو أن تعود وتتكرر ، وفيه إشارة إلى شغف الشاعر بالتردد إلى تلك المدينة العظيمة المزدحمة بمعانى الجمال والجلال .

(١٢) النهى : العقول ، واحدتها نهية . والقصيد : جمع القصيدة من الشعر، مثل سفين وسفينة، وهم يقولون هذا بيت القصيد لأجود بيت فيه ، والمراد أنها أعظم بلاد الدولة الاسلامية العربية . مدحها بأنها دار العقول وموطن الفنون وبيت قصيد الاسلام وأحسن بلاده ، أو أنها البيت الذى نشأ فيه الشعر .

(١٣) القريض : الشعر. والضفاف : جمع ضفة بفتح الضاد وكسرها وهى جانب النهر والوادى . والأفنان : الأغصان . والورود : جمع ورد .

(١٤) سرق أى الشعر . والتدلل : الملاحة والتثنى واللين . وعنان : جارية الناطفى كانت مغنية رائعة الحسن فاتنة الدلال. والتفنن : التصرف والتنويع فى فنون الغناء وضروب الألحان. ووحيد : اسم مغنية اشتهرت فى العصر العباسى بافتنانها فى الغناء ، ولابن الرومى قصيدة فى وصفها . يقول إن هذا الشعر العباسى لحسنه كأنه سلب عنان جمال تدللها ووحيد حسن تفننها .

(١٥) يشدو : يغنى ، أى الشعر ، واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . والعود من المعازف وآلات اللهو والطرب ، وأوتاره: خيوطه وأسلاكه التى تنبعث منها الأصوات إذا هزها ضارب العود
والمعنى أن هذا الشعر إذا غنى كان عذب الغناء ساحر الألحان، كأنما أوتار صوته شدت إلى عود.

بَغْـدَادُ ، أَيْنَ الْبُحْـتُرِيُّ ؟ وَأَيْنَ أَيْنَ ابْنُ الْوَلِيدِ ؟(١٦)

ومَجَالِسُ الشُّـعَرَاءِ فِى بَيْتِ ابْنِ يَحْيَى وَالرَّشِيدِ ؟(١٧)

أَيْنَ الْقِيَانُ الضَّاحِكَا تُ يَمِسْنَ فِى وَشْيِ الْبُرُودِ ؟(١٨)

السَّاحِرَاتُ الْفَاتِنَا تُ النُّجْلُ مِنْ هِيفٍ وَغِيدِ(١٩)

السَّاهِرَاتُ مَعَ النُّجُو مِ الْآنِفَاتُ مِنَ الْهُجُودِ(٢٠)

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ الطُّلَى مَهْضُومَةِ الْكَشْحَيْنِ رُودِ(٢١)

---

(١٦) البحترى : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية المقربين إلى الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ، وكانت ولادته بمنبج (وهى بلدة قديمة بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦ هـ ، وتوفى بها سنة ٢٨٤ هـ

ومسلم بن الوليد الملقب بصريع الغوانى كان أيضاً من الشعراء المفلقين فى عهد هارون الرشيد ، وهو أول من تكلف البديع فى شعره ، وكانت وفاته بجرجان سنة ٢٠٨ هـ .

(١٧) ابن يحيى هو الفضل بن خالد بن برمك ، وكان هو وأخوه جعفر وأبوهما يحيى من وزراء الرشيد وأنبه الناس وأبعدهم صيتا وأرفعهم قدرا وأعظمهم كرما ، وبلغ من أمرهم أنهم زاحموا الخليفة فى نفوذه وسلطانه ، وأصبح الملك فى قبضتهم ، ولهذا غضب عليهم الرشيد وفتك بهم . وكانوا إلى كياستهم وحسن سياستهم رجال فضل وعلم وأدب ، وكانت مجالسهم ونواديهم مقصد الشعراء وكعبة البلغاء والأدباء .

(١٨) القيان : جمع قينة وهى الأمة المغنية . ويمسن : يتبخترن ، وبابه باع ، والتبختر : مشية حسنة . والوشى : مصدر وشيت الثوب من باب وعد أى رقمته ونقشته ، والوشى أيضاً نوع من الثياب الموشية ، تسمية بالمصدر . والبرود : جمع برد وهو الثوب المخطط .

(١٩) النجل : جمع نجلاء صفة من النجل بفتحتين وهو سعة العين وحسنها . وهيف : جمع هيفاء صفة من الهيف بفتحتين وهو ضمر البطن ورقة الخاصرة . وغيد : جمع غيداء صفة من الغيد بفتحتين وهو لين الأعطاف والتثنى .

(٢٠) الآنفات : جمع آنفه اسم فاعل من أنف من الشىء من باب تعب أى استنكف واستكبر وأنف منه : تنزه عنه ، وأنف منه : كرهه . والهجود : النوم ليلا ، مصدر هجد من باب قعد . والمعنى أنهن يهجرن النوم ويطلبن السهر فى المرح والغناء واللهو .

(٢١) الطلى : الأعناق أو أصولها ، واحدتها طلية أو طلاة ، ومهضومة : ضامرة لطيفة . والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، ومهضومة الكشحين : هيفاء ضامرة البطن رقيقة الوسط . ورود : رقيقة لينة ناعمة ، وصفهن ببياض الأجسام والهيف ونعومة الجسم .

يَخْطِرْنَ حَتَّى تَعْجَبَ الْـ ... أَغْصَانُ مِنْ لِينِ الْقُدُودِ (٢٢)
وَإِذَا سَفَرْنَ فَأَيْنَ ضَوْ ... ءُ الشَّمْسِ مِنْ شَفَقِ الْخُدُودِ؟ (٢٣)
يَعْبَثْنَ بِالْأَيَّامِ ، وَالْـ ... أَيَّامُ أَعْبَثُ مِنْ وَلِيدِ ! (٢٤)
خَبَأَ الْجَمَالُ لَهُنَّ كَنْـ ... زاً بَيْنَ سَالِفَةٍ وَجِيدِ (٢٥)

✡
✡ ✡

كَمْ جَاشَ جَيْشُكِ بِالْفَوَا ... رِسِ مِنْ أَسَاوِرَةٍ وَصِيدِ ! (٢٦)
لِلنَّصْرِ فِي أَعْلَامِهِمْ ... صِلَةٌ بِأَبْنَاءِ الْغُمُودِ (٢٧)

---

(٢٢) يخطرن : يتبخترن ، خطرت المرأة : اهتزت فى مشيتها وتبخترت . والقدود : جمع قد وهو القامة وحسن التقطيع والاعتدال .
يقول إنهن يتبخترن فى مشيهن فتظهر محاسن قدودهن حتى إن الأغصان التى يضرب بها المثل فى اللين والتثنى يأخذها العجب ويستولى عليها الدهش من لين هذه القدود ورقتها .

(٢٣) سفرن : كشفن عن وجوههن ، وبابه ضرب . والشفق : بقية ضوء الشمس وحمرتها فى أول الليل . شبه خدودهن بالشفق فى الحمرة والبهاء ، ثم جعلها أبهى وأعظم إشراقاً وتلألؤاً من ضوء الشمس .

(٢٤) الوليد : الطفل المولود . يقول : قدكن يعبثن بالأيام ويلعبن ويلهون بها ولا يخشين صروفها مع أن الأيام أعبث من طفل ، وقد عبثت بهن وأزالت ذلك الصفو وذاك السرور .

(٢٥) السالفة : جانب العنق . والجيد : العنق أو مقدمه أو موضع القلادة منه . تغنى الشاعر فى هذا البيت والأبيات قبله بما كانت بغداد تشتهر به من عبقرية وعلم وفن وأدب ، ووصف ما كانت تفيض به فى عصورها الأولى من أسباب المجون واللهو ، ومجالس الشعر والغناء ، ومظاهر النعيم والرفاهة ، ومجالى الحضارة والعمران ، وسيصف فى تسعة الأبيات الآتية ما كان لها من جيوش جراره ، وبأس شديد وملك عظيم .

(٢٦) جاش جيشك : ماج واضطرب لكثرته كالبحر الزاخر المائج . والفوارس : جمع فارس وهو راكب الفرس . والأساورة : جمع أسوار بضم الهمزة وكسرها وهو القائد والجيد الرمى بالسهام . والصيد : جمع أصيد وهو الملك ورافع رأسه كبراً والأسد .

(٢٧) الغمود : جمع غمد وهو جفن السيف ، وأبناء الغمود : كناية عن السيوف ، والمعنى أن النصر يسير تحت ألويتهم موصولا بسيوفهم .

مُلْكٌ إِذَا صَوَّرْتَهُ عَجَزَ الْخَيَالُ عَنِ الصُّعُودِ (٢٨)
وجُهُودُ جَبَّارِينَ تَصْغُرُ دُونَهَا شُمُّ الْجُهُودِ (٢٩)
الرُسْل تَتْلُو الرُسْلَ مِنْ بِيضٍ صَقَالِبَةٍ وَسُودِ (٣٠)
سَارُوا « لِقَصْرِ الْخُلْدِ » يُعْشِي طَرْفَهُمْ وَهَجُ الْحَدِيدِ (٣١)
يَتَعَثَّرُونَ ، كَأَنَّهُمْ يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْقُيُودِ (٣٢)
الْجَوُّ يَسْطَعُ بِالظُّبَا وَالْأَرْضُ تَزْخَرُ بِالْجُنُودِ (٣٣)

---

(٢٨) يقول لقد كان ذلك الملك رفيعاً عظيما يعجز الخيال عن تصويره والاحاطة به وإدراك غايته على الرغم من أن الخيال بطبعه فسيح الرحاب بعيد المدى .

(٢٩) الجهود : جمع جهد وهو الوسع والطاقة والمقدرة . وجبارين : جمع جبار وهو القاهر الغالب . وشم : جمع أشم وهو المرتفع العالى .

(٣٠) الصقالبة : جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية ، والمراد الأمم والممالك الأوربية المجاورة لبحر الخزر والبحر الأسود فى الشمال والغرب . يصور الشاعر فى هذا البيت وأربعة الأبيات بعده مظهراً من مظاهر عز بغداد وعظمة ملكها وهيبة خلفائها وامتداد سلطانهم فقد كانت رسل الملوك والأمم على اختلاف أجناسها وبعد مواطنها تفد على هؤلاء الخلفاء متوالية متتابعة تخطب ودهم وتدين لهم بالطاعة والخضوع فيبهرهم ما يرون من أبهة السلطان ووفور العمران، ويملأ قلوبهم خوفا ورهبا ما يشاهدون من آلات البطش والفتك ووسائل القوة والجبروت ، وبخاصة زمن الرشيد والمأمون .

(٣١) يريد بقصر الخلد قصر الخليفة ببغداد ، وفى تسميته بهذا إشارة لطيفة إلى فخامته ومشابهته جنة الخلد . والطرف : العين . ويعشى طرفهم : يصيب عيونهم بالعشا ، وهو سوء البصر بالليل والنهار ، ووهج الحديد : توقده ولمعانه. وصف ما يجده الرسل فى طريقهم إلى قصر الخليفة من جنود مدججين، لأسلحتهم ودروعهم بريق ولمعان يعشى العيون .

(٣٢) عثر فى مشيه وتعثر : كبا وزل وسقط . والحلق : جمع على غير قياس لحلقة. والمعنى أنهم لشدة ما أصابهم من رهبة وهيبة ودهش وانبهار يتعثرون فى مشيهم كأنهم يمشون وهم مقيدون .

(٣٣) يسطع : يرتفع ، والمراد يزدحم ويتلألأ من قولهم سطعت النار إذا ارتفعت وعظم لهبها واشتد توقدها ، وسطعت الرائحة إذا علت وانتشرت . والظبا : جمع ظبة وهى حد السيف والرمح ونحوهما ، والمراد ما يحمله الجنود من آلات القتال كالسيوف والرماح ونحوها . وتزخر : تمتلىء .

حَتَّى إِذَا رَجَعُوا بَدَا بِجِبَاهِهِمْ أَثَرُ السُّجُودِ(٣٤)

* * *

الْفَلْسَفَاتُ عَرَفْتِهَا وَالْعِلْمُ طِفْلٌ فِي الْمُهُودِ(٣٥)

وَالْغَرْبُ يَنْظُرُ فِي خُمُودٍ نَحْوَ قَاتِلَةِ الْخُمُودِ(٣٦)

كَمْ مَوْئِلٍ لِلْمُسْتَجِيرِ، وَمَنْهَلٍ لِلْمُسْتَفِيدِ(٣٧)

وَ «الْجَاحِظُ» الْمَرِحُ اللَّعُوبُ يَغُوصُ لِلدُّرِّ الْفَرِيدِ(٣٨)

---

(٣٤) بدا : ظهر . والجباه : جمع جبهة وهى موضع السجود ، أو هى مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية . يقول وإذا رجع هؤلاء الرسل من المثول أمام الخليفة ظهرت فى جباههم آثار السجود له ، وهذا يدل على شدة خضوعهم وعلى ما كان للخلفاء من قوة وسلطان .

(٣٥) الفلسفات : جمع فلسفة وهى البحث فى أصول العلم وأسرار الكون . والمهود : جمع مهد وهو الموضع يهيأ للصبي ويوطأ ، والمعنى أنها سبقت العالم فى مجال العلوم والمعارف ، فكانت تدرس الفلسفة فى حين غيرها ما زال يحاول معرفة مبادئ العلوم .

(٣٦) الخمود : السكون والخمول ، وأصله مصدر خمدت النار من باب قعد إذا ماتت فلم يبق منها شىء ، وقيل إذا سكن لهبها وبقى جمرها . يقول وقد كانت الأمم الأوربية تنظر فى توان وضعف وتأخر وكسل إلى بغداد التى قتلت الخمود وضربت للعالم أحسن الأمثال فى الجد والاختراع والعلم والنشاط ونباهة الشأن .

(٣٧) الموئل : الملجأ . والمستجير : اللاجئ المستعيذ المستغيث . والمنهل : المورد وعين الماء يستقى منها . يصف كثرة ما اشتهرت به وقتئذ من حماية اللاجئين وإفادة المستفيدين من طلاب العلم والأدب والمال والتجارة وغيرها .

(٣٨) الجاحظ : هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر الكنانىّ البصرىّ ، ولد بالبصرة حوالى سنة ١٦٠ هـ ، وكان راوية متكلما فيلسوفاً كاتباً مصنفاً أديباً عالماً بالحيوان والنبات وصافاً لأحوال الناس فكه المجلس خفيف الروح غاية فى الظرف وطيب الفكاهة ، ومن مؤلفاته المشهورة كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين وكتاب البخلاء ، وطريقته فى الكتابة لا تزال قدوة ومثالا عالياً لنوابغ الكتاب ، وكانت وفاته ببغداد سنة ٢٥٥ هـ وقد نيف على التسعين . والمرح : الخفيف الفرح النشيط . والدرّ : اللآلئ العظيمة ، الواحدة درّة . والفريد : المنفرد بالبهاء والنفاسة . جعله فى كتابته وتأليفه وحسن اختياره للألفاظ والأساليب كمن يغوص لاستخراج فرائد اللآلئ .

بَغْدَادُ ، يا وَطَنَ الْأَدِيبِ ، وَأَيْكَةَ الشِّعْرِ الْفَرِيدِ (٣٩)
جَدَّدْتِ أَحْلَامِي ، وَكُنْتُ صَحَوْتُ مِنْ عَهْدٍ عَهِيدِ (٤٠)
جَمَحَ الْخَيَالُ فَمَا اطْمَأَنَّ ، وَلا اسْتَقَرَّ إِلَى خُلُودِ (٤١)
جَازَ الْقُرُونَ النَّائِيَاتِ ، وَفَكَّ أَسْرَارَ الْعُقُودِ (٤٢)
ذَكَرَ الْعُهُودَ فَأَنَّ لِلذِّكْرَى ، وَحَنَّ إِلَى الْعُهُودِ (٤٣)
وَاهْتَاجَهُ الطَّيْفُ الْبَعِيدُ ، فَجُنَّ لِلطَّيْفِ الْبَعِيدِ (٤٤)

---

(٣٩) الأيكة : واحدة الأيك وهو الشجر الكثير الملتف . والغريد : المغرد من غرد الطائر كفرح أى رفع صوته وطرّب وغنى . جعل بغداد كالأيكة الفينانة ، وجعل الشعراء فيها كطيور الغرد .

(٤٠) عهد عهيد : زمن قديم ، والمعنى أن حوادث الزمان وصروف الأيام كانت قد أيقظت الشاعر وأطارت أحلامه منذ زمن طويل ، فلما رأى بغداد وفتن بها جددت آثارها أحلامه ، وهيجت ذكرياتها أشواقه ، فطار به خياله إلى آفاق ذلك الماضى المجيد ، وسيوضح الشاعر هذا المعنى ويفصله فى خمسة الأبيات الآتية .

(٤١) جمح الخيال : ذهب مسرعا نشيطا لا يثنيه شيء ، أو غلبه على أمره واعتزّه وانفلت لايلوى على أحد ، كما يجمح الفرس براكبه . واطمأن : استقر وثبت ، وخلود : بقاء وتريث وانتظار .

(٤٢) القرون : جمع قرن وهو مائة سنة . والنائيات : البعيدات . والعقود : جمع عقد وهو العشرة من العدد ، فالعقود عشرات السنين . والمعنى أن خياله تخطى مئات السنين واطلع على أسرار عشراتها حتى وصل به إلى ذلك العصر الذهبي .

(٤٣) العهود : جمع عهد وهو الزمان والمنزل المعهود به الشيء . والمعنى أن خياله لما وصل به إلى عصور بغداد الأولى تذكر تلك الأزمنة أو المنازل التى كانت حافلة بحياة المرح واللهو ، وأسباب العز والرفاهة ، ومظاهر المجد والعظمة فأنّ لذكراها وتوجع ، وحن إليها واشتاق .

(٤٤) اهتاجه : أثاره وهيج شوقه وأذكى شعوره . والطيف : الخيال الطائف . يصف شدة تأثره وهيجان شعوره بطيف ذلك الماضى البعيد المجيد .

وَصَبَا إِلَى ظِلِّ الْعُرُو ... بَةِ فِي حِمَى الْمُلْكِ الْعَتِيدِ (٤٥)

* * *

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ ارْكُضِي ... مِلْءَ الْعِنَانِ، وَلَا تَهِيدِي (٤٦)
سُودِي، فَآمَالُ الْمُنَى ... وَالْعَبْقَرِيَّةِ أَنْ تَسُودِي (٤٧)
هَذَا أَوَانُ الْعَدْوِ لَا الْ ... إِبْطَاءِ وَالْمَشْيِ الْوَئِيدِ (٤٨)
اَلْمَجْدُ أَنْ تَتَوَثَّبِي ... وَإِذَا وَثَبْتِ فَلَا تَحِيدِي (٤٩)
وَتُحَلِّقِي فَوْقَ النُّجُو ... مِ بِلَا شَبِيهٍ أَوْ نَدِيدِ (٥٠)
وَإِذَا شَدَا الْكَوْنُ الْمَفَا ... خِرَ كُنْتِ عُنْوَانَ النَّشِيدِ (٥١)

---

(٤٥) صبا : مال وتاق . والعروبة مصدر عرب لسانه إذا كان عربيا فصيحا . والمراد القومية العربية . والحمى : المكان المحمى الذى لا يُقرب ولا يجترأ عليه . والعتيد : العظيم . يقول إنه حن ومال إلى ما كان للعروبة من ظل ظليل فى حماية ملكها العظيم . وصف الشاعر فى هذا البيت والأبيات قبله ما اهتاج خياله لما رأى بغداد وشاهد آثارها وازدحمت حوله ذكريات ماضيها المجيد ، وأشاد بكثير من مزاياها وتغنى بما اشتهرت به فى العصور الخالية . وهو فى الأبيات الآتية يحض الشعوب العربية على النهوض ، ويحفزها إلى الجد ، ويدعوها إلى الحياة الطيبة العزيزة .

(٤٦) اركضى : أمر من الركوض وهو العدو والاسراع . والعنان ككتاب : سير اللجام الذى تمسك به الدابة . وملء العنان : كناية عن شدة الركوض ونهاية الاسراع . ولا تهيدى : لا تبالى أو تخافى .

(٤٧) سودى : أمر من السيادة . والمنى : جمع مُنية وهى ما يتمناه الانسان ويريده ويهواه . والعبقرية : الكمال والقوة .

(٤٨) الوئيد : التأنى ، والمراد بالمشى الوئيد السير البطىء .

(٤٩) المجد : العز والرفعة والشرف . ولا تحيدى : لا تميلى ، حاد عنه : مال وعدل .

(٥٠) تحليق الطائر : ارتفاعه فى طيرانه . والنديد : المثل والشبيه .

(٥١) شدا : غنى وترنم . والمفاخر : جمع مفخرة وهى ما يفتخر به من الخصال الحميدة والمناقب والمكارم . والنشيد : الشعر المتناشد أى المقروء ، والمراد ما يتغنى به من المفاخر ، والمعنى أنها تكون فى مقدمة الأمم التى يفتخر بها العالم ويتغنى الوجود بمناقبها . والخطاب فى هذه الأبيات للأمة العربية .

لَا تَخْطِئِي حَـدَّ الْعُـلاَ مَا لِلْمَعَالِي مِنْ حُدُودِ! (٥٢)
مَنْ يَصْطَدِ النَّمِرَ الْوَثُو بَ يَعِفُّ عَنْ صَيْدِ الْفُهُودِ (٥٣)

* * *

هَـذِي طَـلَائِعُ نَهْضَـةٍ ذَهَبَتْ بِآثَارِ الرُّكُودِ (٥٤)
بَغْـدَادُ أَشْرَقَ نَجْمُـهَا وَبَدَا بِهَا سَعْدُ السُّعُودِ (٥٥)
سَلَـكَتْ إِلَى الْمَجْدِ الْقَدِيـمِ مَحَجَّةَ النَّهْجِ السَّدِيدِ (٥٦)
وَزَهَتْ بِأَقْمَارِ الْهُـدَى وَسَطَتْ بِأَظْفَارِ الْأُسُودِ (٥٧)

---

(٥٢) يراد بالحد فى الشطر الأول الحقيقة ، والمعنى أنه نهاها عن الخطأ فى فهم معنى العلا والاقتصار على مظاهره الـكاذبة ، وقال إن المعالى مجالها غير محدود ، وليست لها غاية تنتهى عندها .

(٥٣) وثوب : صيغة مبالغة من الوثب ، والمعنى أن الانسان إذا كان فى حياته قويا عالى الهمة بعيد الغاية ترفع عن القناعة بنيل صغير المطالب . أهاب الشاعر بالأمة العربية فى هذا البيت وسبعة الأبيات قبله إلى الاسراع فى طريق السيادة والمجد واستحثها على الجد والعمل المثمر لبلوغ تلك الغاية الرفيعة ، وهو فى الأبيات الآتية يتغنى بطلائع النهضة الحالية فى الأمم العربية ويشدو بتقدم بغداد والأمة العراقية ويحيى أهلها والعاملين من أبنائها .

(٥٤) الطلائع : جمع طليعة وهى فى الأصل من يُبعث فى مقدمة الجيش ليطلع طِلْع العدو. وطلائع النهضة : مقدماتها وبشائرها . والركود : السكون والخمول .

(٥٥) يمتدح نهضة بغداد ، ويقول لقد أضاء نجمها ، وظهرت فيها أمارات الرقى وعلامات اليمن والاقبـال .

(٥٦) سلك الطريق : ذهب فيه وبابه دخل . والمحجة : جادّة الطريق أى معظمه . والنهج : الطريق الواضح . والسديد : الصائب المستقيم . يقول إنها أخذت تستعيد ما كان لها من شرف تالد وعز قديم ، وسلـكت إلى غايتها سبيلا واضحاً وطريقاً مستقيماً ، فهى جديرة بالوصول إلى تلك الغاية .

(٥٧) زهت : افتخرت وتاهت ، ويريد بأقمار الهدى علماءها الأعلام وقادتها وزعماءها الذين يهدونها سبيل الرشاد . وسطت : صالت وقهرت وبطشت . مدح الهداة المصلحين من علمائها وزعمائها ، وأشاد بالأبطال الشجعان من جنودها .

بَغْدَادُ ، إِنَّا - وَفْدَ مِصْـــرَ - نَفِيضُ بِالشَّوْقِ الأَكِيدِ(٥٨)

جِئْنَا نُحَيِّي الْعِلْمَ وَالْـ آدَابَ فِي الْعَدَدِ الْعَدِيدِ(٥٩)

مَرْآكِ عِيـــدٌ لِلْمُنَى فُزْنَا بِهِ فِي يَوْمِ عِيدِ(٦٠)

أَهْلُوكِ أَهْلُونَا ، وَأَبْنَاءُ الْعَشِيرَةِ وَالْجُدُودِ(٦١)

بَيْنَ الْقُلُوبِ تَشَوُّفٌ كَتَشَوُّفِ الصَّبِّ الْعَمِيدِ(٦٢)

حَتَّى يَكَادَ يُحِبُّ نَخْلَكِ نَخْلُ أَهْلِي فِي «رَشِيدِ»(٦٣)

شَطَّتْ مَنَازِلُنَا ، وَمَا احْتَاجَ الْفُؤَادُ إِلَى بَرِيدِ(٦٤)

الرَّافِدَانِ تَمَازَجَا فِي الْحُبِّ بِالنِّيلِ السَّعِيدِ(٦٥)

---

(٥٨) كان الوفد الذى يشير إليه الشاعر مؤلفاً من حضرته والمرحوم الأستاذ الشيخ أحمد عمر الاسكندرى ممثلين للمجمع اللغوى ، ثم من أطباء على رأسهم سعادة على ابراهيم باشا .

(٥٩) العديد الكثير .

(٦٠) المنى : جمع منية وهى ما يتمناه الانسان ويريده ويهواه . وبه : بالمرأى . جعل رؤية بغداد عيداً ، احتشدت فيه الأمانى ، وتحققت الآمال ، وأشار بالشطر الثانى إلى موافقة حفلة افتتاح المؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٣٨ م) ليوم عرفة (وقفة عيد الأضحى من ذى الحجة سنة ١٣٥٦ هـ)

(٦١) العشيرة القبيلة . يشير بهذا البيت إلى ارتباط الأمتين المصرية والعراقية بأواصر وثيقة ورحم واشجة وأصل واحد هو الأصل العربى المجيد .

(٦٢) التشوف : التطلع إلى الشىء والنظر والاشراف ، والمراد الحب والاشتياق . والصب : العاشق المستهام ، صفة من الصبابة وهى حرارة الشوق ورقة الهوى . والعميد : الذى هدّه العشق وأضناه الغرام .

(٦٣) رشيد : بلد الشاعر من بلدان مديرية البحيرة على فرع النيل الغربى (فرع رشيد) قريبة من مصبه ، والشاعر يشير هنا إلى شدة ما بين مصر والعراق من حب ووداد حتى كاد نخل بلده يحب نخل بغداد .

(٦٤) شطت : بعدت . المعنى أن قلوب الأمتين متصلة ، وأرواحهم مؤتلفة على الرغم من تباعد الديار وتباين البلدان .

(٦٥) الرافدان : دجلة والفرات .

وَتَعَانَقَ الظِّلَّانِ : ظِـلُّ الطَّاقِ وَالْهَرَمِ الْمَشِيدِ(٦٦)
جِئْنَاكِ نَسْتَبِقُ الْخُطَا أَنْضَاءَ أَوْدِيَةٍ وَبِيدِ(٦٧)
طَالَتْ بِنَا الصَّحْرَاءُ حَتَّى خِلْتُهَا أَبَدَ الْأَبِيدِ(٦٨)
يَتَخَلَّصُ الْمَرْمَى الْمَدِيدُ بِهَا إِلَى مَرْمًى مَدِيدِ(٦٩)
كَتَخَلُّصِ الْحَسْنَاءِ مِنْ وَعْدٍ طَوَتْهُ إِلَى وُعُودِ(٧٠)

---

(٦٦) الطاق : إيوان كسرى وهو على مسافة غير بعيدة من بغداد ، ويريد بالهرم هرم الجيزة الأكبر على مقربة من مدينة الجيزة فى جنوبيها الغربى ، وهو إحدى عجائب الدنيا ، وبه عرفت مصر وامتازت من سائر الممالك والبلاد ، بناه الملك خوفو مؤسس الأسرة الرابعة من الأسر الملكية المصرية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة . والمشيد : المطلى بالشيد وهو ما تطلى به الجدران من جص ونحوه ، والمشيد أيضاً : الرفيع العالى . كنى بتعانق ظل الطاق وظل الهرم عما بين مصر والعراق من ود وائتلاف ، ووصف فى هذا البيت وخمسة الأبيات قبله الروابط التاريخية والقومية التى تربط الأمتين .

(٦٧) نستبق الخطا : نبتدرها ونعاجلها ونسرع فيها . والخطا : جمع خطوة . وأنضاء : جمع نضو وهو المهزول الذى أضعفه السفر وأضناه أى هزله . والبيد : جمع بيداء وهى الصحراء . يقول إننا أتينا إليك مسرعين يحدونا الشوق ، ويحفزنا الحب ، وقد أنضانا طول السفر ، وأجهدنا بعد الطريق وكثرة ما قطعنا من أودية وصحارى .

(٦٨) خلتها : ظننتها . والأبد : الدهر والزمان والدائم ، ومن كلامهم لا أفعله أبد الأبيد وأبد الآباد ، وذلك إذا أرادوا التوكيد وتأبيد النفى وتخليده ، والمعنى أن تلك الصحراء قد طالت واتسعت وامتدت أرجاؤها حتى ظننتها فضاء لا حد له ولا غاية ينتهى إليها ، كالدهر المؤبد الذى لا يعرف له أمد ولا نهاية ، وهو يريد بالصحراء هنا بادية الشام فى شمال الجزيرة العربية، ويجتازها المسافر من دمشق إلى بغداد بسيارة (نرن) فى نحو ٢٠ ساعة .

(٦٩) المرمى : اسم مكان من الرمى ، والمراد مرمى العين ومدى البصر . والمديد : البعيد الطويل . وهذا أيضاً وصف لاتساعها وانفساح مداها وبعد غايتها .

(٧٠) يقول إن الطرف فى هذه الصحراء الشاسعة يتخلص من مدًى بعيد إلى مدًى بعيد كما تتخلص الفتاة الحسناء وهى تمطل عاشقها من وعد تطويه إلى وعود أخرى لا نهاية لها ، وهذا تشبيه بديع يصور أبلغ تصوير طول السفر فى الصحراء وقلق المسافر فيها وحيرته ، وشدة شغفه بتجاوزها فهو كلما ظن نفسه قريباً من نهايتها اتسعت أمامه كأنها تماطله ، وما أحسن كلمة « طوته » فى الشطر الثانى فان الوعد يطوى بعدم الوفاء كما يطوى الطريق بقطعه واجتيازه .

بَحْرٌ بلاَ شَطَّيْنِ يَزْ خَرُ بِالتَّنَائِفِ وَالنُّجُودِ (٧١)

وَسَفِينَتِى « نَرْنٌ » بِهَا مَا فِى فُؤَادِى مِنْ وُقُودِ (٧٢)

جِئْنَا إِلَى الْغَازِى سَلِيلِ الْعُرْبِ وَالْحَسَبِ الْمَجِيدِ (٧٣)

نَخْتَالُ بَيْنَ هِبَاتِهِ فِى ظِلِّ إِحْسَانٍ وَجُودِ (٧٤)

أَحْيَا الْمُنَى بِالْعَزْمِ وَالتَّدْبِيرِ والسَّعْيِ الْحَمِيدِ (٧٥)

وغَدَتْ بِهِ سُوحُ الْعُرو بَةِ مَنْهَلاً عَذْبَ الْوُرُودِ (٧٦)

---

(٧١) يزخر : يعظم ويمتد ويزدحم . والتنائف : جمع تنوفة وهى المفازة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس . والنجود : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض .

(٧٢) أراد بالسفينة السيارة الكبيرة الصحراوية التى كان يركبها . و « نرن » اسم شركة أجنبية تملك السيارات الكبيرة التى تغدو وتروح فى تلك الصحراء بين دمشق وبغداد . والوقود : بضم الواو وفتحها النار أو اتقادها . يصف حرارة اشتياقه إلى بلوغ بغداد ، أو يصف ما يساور المسافر من حرقة الوجد وشدة الهم وبلبلة الخاطر .

(٧٣) جلالة الملك غازى ملك العراق ابن المغفور له الملك فيصل بن المغفور له الملك حسين . وسليل : ابن . والحسب : ما يعده الانسان من مفاخر آبائه . والمجيد : الشريف العزيز الكريم .

(٧٤) نختال : نزهى ونفتخر . وهباته : عطاياه . والجود : الكرم . والبذل : السخاء .

(٧٥) أحيا المنى : بعث الأمانى وأعاد آمال أمته فى حياة العز والرفعة . والعزم : الارادة القاطعة القوية . مدحه باحياء آمال شعبه ووصفه بالعزم القوى والتدبير المحكم وحسن تصريف الأمور والسعى المشكور فى صلاح الرعية .

(٧٦) السوح : جمع ساحة وهى الناحية والفضاء بين دور الحى ، والمراد بالعروبة القومية العربية . والمنهل : المورد أى مكان النهل وهو الشرب ، والورود مصدر ورد الماء إذا بلغه ووافاه ، والمراد المورد والماء . يقول إن ساحات العروبة قد أصبحت بفضل هذا الملك الناهض العظيم كالمناهل عذب ماؤها وساغ شرابها .

فِي نَهْضَةِ « الْفارُوقِ » والْـــغَازِي غِـنًى لِلْمُسْتَزِيدِ(٧٧)

« فارُوقُ » مُنْبَثَقُ الرَجَا ء ومُلْتَـقَى الرُكْنِ الشَدِيدِ(٧٨)

عَاشَا وَعَاشَ الشَرْقُ فِي عِزٍّ وَفِي عَيْشٍ رَغِيـدِ(٧٩)

---

(٧٧) أراد أن نهضة هذين الملكين الشابين العظيمين نهضة واسعة شاملة رفيعة .

(٧٨) منبثق : اسم مكان من انبثق السيل ونحوه إذا تفجر وانبجس . والركن : العز والمنعة .

(٧٩) عيش رغيد : حياة طيبة كريمة هنية .

عيد دار الإذاعة

أذيعت هذه القصيدة فى ٣١ من مايو سنة ١٩٣٨ م حينما احتفلت دار الاذاعة بانتهاء العام الرابع من إنشائها .

فَتَاةَ الْقَرِيضِ ، اهْبِطِى مِنْ عَلِ   مَدَدْتُ يَدَىَّ ، فَلَا تَبْخَلِى (١)
كَبَا بِفَتَى الشِعْرِ طُولُ الصُعُودِ   فَإِنْ كُنْتِ رَاحِمَةً فَانْزِلِى (٢)
يَحِنُّ إِلَيْكِ حَنِينَ الْمَشِيبِ   إِلَى ضَحَكَاتِ الصِبَا الْمُخْضِلِ (٣)
سَلَا بِكِ لَيْلَى وَأَتْرَابَهَا   وَنَامَ عَنِ الْعَذْلِ وَالْعُذَّلِ (٤)

---

(١) القريض : الشعر . وهبط : نزل وبابه جلس . ومن عَلِ : من مكانك العالى . تخيل الشاعر الشعر فتاة حسناء فاتنة ثم تغزل بها وطلب إليها أن تهبط اليه من عليائها .

(٢) كبا : انكب على وجهه وسقط ، والمراد أن طول الصعود قد جهده وأضناه وأتعبه . ويريد بفتى الشعر نفسه . وجدير بفتاة الشعر أن ترحم فتى الشعر فتنزل إليه وتريحه من بعض ما يعانيه بطول الصعود ، وفى نزولها إليه معنى الانقياد .

(٣) الحنين : الشوق وتوقان النفس ، وقد حن إليه يحن بالكسر حنيناً . والمشيب : الشيب ، والمراد الأشيب . والضحكات : جمع ضحكة اسم مرة من الضحك . والصبا : الصغر ، يقال هذا صبي أى غلام بيّن الصبا . والمخضل : الندى الناعم ، خضل الشىء كفرح . وأخضل : ندى وترشف نداه . يقول إنه يشتاق إليها اشتياق الأشيب إلى ضحك الصبا ومرحه ، والغرض تصوير شدة الوجد والحنين .

(٤) سلاه وعنه كدعاه ورضيه سلواً وسلوا وسلواناً وسلياً : نسيه . والأتراب : جمع ترب بكسر التاء وهو من يساويك فى سنك ، يقال هو تربى ، وهى تربى . والعذل : اللوم ، وبابه نصر وضرب ، والعذل : جمع عاذل . يقول إنه سلا بهذه المعشوقة عن ليلى ولداتها ومثيلاتها من الغيد الحسان ، ويريد أنه بسلوه عن هاتيك الحسان قد ارتاح من عذل العاذلين .

شَغَلْتِ فَتَاكِ بِسِحْرِ الْبَيَانِ   وَلَوْلَا عُيُونُكِ لَمْ يُشْغَلِ(٥)
يَرَاكِ مِنَ اللَّيْلِ فِي بَدْرِهِ   وَفِي شَعْرِهِ الْفَاحِمِ الْمُسْبَلِ(٦)
وَفِي كُلِّ آهٍ رَمَاهَا الْهَوَى   عَلَى شَطِّ مَدْمَعِهِ الْمُرْسَلِ(٧)
وَيَلْقَاكِ فِي كُلِّ وَجْهٍ صَبِيحٍ   بِغَيْرِ الْمَلَاحَةِ لَمْ يُصْقَلِ(٨)
وَمِنْ فِيكِ يَسْمَعُ نَجْوَى الْغُصُونِ   وَيُصْغِي إِلَى هَمْسَةِ الْجَدْوَلِ(٩)
تَعِيشِينَ فِي زَاخِرٍ مِنْ ضِيَاءٍ   يُصَفِّقُ بِالْأَمَلِ الْمُقْبِلِ(١٠)

---

(٥) المراد بالعيون هنا : خيار الشعر وما كان منه معجباً ساحراً ، ففي هذه الكلمة تورية . يقول إنه شغل عن سواها من الحسان الفاتنات ببيان لها كالسحر يستميل النفوس ويجتذب القلوب ، وإنه ما كان ليشغل بها عن سواها لولا ما في هذا البيان من عيون ساحرة وأبيات من الشعر رائعة باهرة ، والمعنى أن سحر البيان أبلغ أثراً من سحر الغيد الحسان .

(٦) الفاحم : الأسود ، وأسبل الأزرار والستر ونحوهما أرخاه . يقول إنه يبصر جمال هذه المعشوقة في وجه البدر كما يرى سواد شعرها الفاحم المنسدل في ظلمة الليل الحالكة الداجنة ، والمعنى أن هذه المظاهر وأشباهها تثير شاعرية الشاعر وتهيج إلهامه ، وسيفصل الشاعر في الأبيات الآتية شيئاً كثيراً من هذه المظاهر ، ويسبح في خيال هذا الغزل إلى أمد بعيد .

(٧) آه : كلمة تقال عند الشكاية والتوجع . والهوى : الحب . والشط : شاطئ النهر وجانبه ، والمدمع : مجرى الدمع من العين . والمرسل : المصبوب الجاري ، يقول وإنه يرى هذه المحبوبة في التأوه المنبعث عن العشق يرسله المحب العاشق وعيناه تفيضان بالدموع صبابة وشوقاً .

(٨) صبيح : مليح جميل ، والملاحة : الحسن والجمال . ويصقل : مضارع صقل السيف ونحوه من باب قتل أي جلاه ونعمه .

(٩) النجوى : اسم من المناجاة وهي إسرار الكلام وإخفاؤه وعدم الجهر به . وأصغى إليه : مال بسمعه نحوه . والهمسة : اسم مرة من الهمس وهو الصوت الخفي ، والجدول : النهر الصغير . يقول إنه يسمع من فم هذه المحبوبة حفيف الأغصان الذي يشبه حديث النجوى ويصغي إلى خرير الجداول الذي يشبه همس الهامس .

(١٠) زاخر : صفة من زخر الوادي والبحر ونحوهما من باب خضع إذا امتد جداً وارتفع واتسع . والتصفيق باليدين : التصويت بهما . لما شبه الضياء الفسيح بالبحر الزاخر جعله مصفقا كتصفيق الموج ، وهذا من لطيف المجاز .

تَحُومُ الْمَلَائِكُ مِنْ فَوْقِهِ ... كما حَامَ طَيْرٌ عَلَى مَنْهَلِ (١١)

رَوِينَا بِهِ فَنَسِينَا الْحَيَاةَ ... وَمَا دِيفَ فِيهَا مِنَ الْحَنْظَلِ (١٢)

وَذُقْنَا سُلَافاً أَبَتْ أَنْ تَرِفَّ ... بِكَفِّ النُّوَاسِيِّ والْأَخْطَلِ (١٣)

إِذَا قُتِلَتْ أَحْيَتِ الشَّارِبِينَ ... فَكَيْفَ إِذَا هِيَ لَمْ تُقْتَلِ (١٤)

كَأَنَّ الْحُبَابَ عَلَى وَجْهِهَا ... وُعُودٌ حَصَلْنَ وَلَمْ تَحْصُلِ (١٥)

---

(١١) حام الطائر وغيره حول الشيء : دار ، وبابه قال . والملائك والملائكة جمع الملك بفتح الميم واللام ، ويطلق الملك على الواحد والجمع . والمنهل : موضع النهل وهو الشرب . يقول إن الملائكة تحوم من فوق هذا الضياء الزاخر كما يحوم الطير فوق المنهل العذب .

(١٢) روى من المـاء بالكسر يروى روًى بوزن رضاً وريا بكسر الراء وفتحها وارتوى وتروى كله بمعنى واحد . والحنظل : نبت مر . يقول إننا ارتوينا من ماء هذا البحر الزاخر فأنسانا صفاؤه وعذوبته مرارة الحياة ومتاعبها . يشير بهذا إلى أن الشعراء يعيشون من خيالهم وشعرهم فى عالم روحى بعيد عن هموم الحياة وأثقالها .

(١٣) السلاف : الخمر . وأبت : امتنعت . وترفّ : تبرق وتتلألأ من رف لونه يرف رفا ورفيفاً إذا برق وتلألأ . والنواسى : هو أبو نواس الحسن بن هانئ شاعر فارسى الأصل ، ولد بقرية من كورة خورستان شرقى البصرة سنة ١٤٥ هـ ومات ببغداد سنة ١٩٩ هـ ومدح الرشيد وابنه محمداً الأمين من خلفاء الدولة العباسية ، وهو أشعر الشعراء المحدثين بعد بشار ، وأكثرهم تفنناً ، وقد امتاز بقصائده الخمريات ومقطعاته المجونيات . والأخطل : هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبى من الشعراء المتقدمين فى الدولة الأموية ، وقد اشتهر بالتعمق فى وصف الخمر وانفرد بذلك دون شعراء عصره . مات سنة ٩٥ هـ . يقول إننا شربنا من هذا المنهل خمراً لم يصل إلى مثلها الأخطل وأبو نواس ، يصف شعره بأنه سلس رائع عذب سائغ كالخمر ، ويقول إن الأخطل وأبا نواس لم يبلغا شأوه ، وهذا من الشاعر فخر مقبول .

(١٤) قتلت : مزجت بالماء ، يقول إن هذه الخمر تحيى شاربيها أى تنعشهم إذا شربوها ممزوجة ، ثم يستفهم متعجباً عن حالها معهم إذا شربوها خالصة غير ممزوجة ، وما أحسن المقابلة (الطباق) فى هذا البيت بين قتلت وأحيت ؟ ثم ما أبدع إسناد الاحياء إلى قتيل ، ثم ما أجمل التعجب من حالها إذا هى لم تقتل .

(١٥) الحباب بفتح الحاء : النفاخات التى تعلو الماء ونحوه وهى اليعاليل . يشبه اليعاليل فى سرعة ظهورها ثم اختفائها بوعود أرسلها أصحابها ثم أسرعوا إلى خُلفها .

عِدِينِي عِدِينِي فَتَاةَ الْقَرِيضِ ... وَإِيَّاكِ إِيَّاكِ أَنْ تَمْطُلِي (١٦)

تَعَالَيْ نُقَبِّلُ وَجْهَ الرَّبِيعِ ... بَشِيرِ الْمُنَى وَمُنَى الْمُجْتَلِي (١٧)

وَنَجْمَعُ مِنْ زَهْرِهِ ما نَشَاءُ ... وَنَرْفُلُ فِي ثَوْبِهِ الْمُخْمَلِ (١٨)

تَعَالَيْ نَطِيرُ بِرِيشِ الْأَثِيرِ ... وَنَعْلُو بِهِ حَيْثُمَا يَعْتَلِي (١٩)

نَمُرُّ كَمَا مَرَّ طَيْفُ الْخَيَالِ ... أَلَمَّ لِمَامًا وَلَمْ يَحْلُلِ (٢٠)

فَبَيْنَا نُحَدِّثُ أَهْلَ الْحِجَازِ ... إِذَا صَوْتُكِ الْعَذْبُ فِي الْمَوْصِلِ (٢١)

نُحَيِّي بَنِي الْعَرَبِ الْأَوْفِيَاءِ ... وَنُسْمِعُهُمْ غَرَدَ الْبُلْبُلِ (٢٢)

---

(١٦) عديني : أمر من وعدني كذا يعدني وعداً . والقريض : الشعر . ومطله بدينه أو حقه من باب نصر إذا سوّفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى ، وأصله من مطل الحداد الحديدة إذا ضربها لتمتد وتطول ، وكل ممدود ممطول . يقول لها عديني بالوصل واللقاء ويحذرها التسويف والمماطلة .

(١٧) المنى : جمع منية وهى ما يتمناه الانسان ويقدر حصوله ، والمجتلى : اسم فاعل من اجتليت الشىء بمعنى نظرت إليه . نظم الشاعر هذه القصيدة فى فصل الربيع أجل فصول السنة وأحفلها بمظاهر الحسن والبهاء وهو يدعو فتاة الشعر أن تشاركه فى تقبيل وجه الربيع بشير الأمانى وأمنية المجتلى .

(١٨) رفل فى ثيابه من باب نصر : أطالها وجرها متبختراً . وثوب مخمل : ذو خمل أى أهداب كالقطيفة ونحوها . سبح الشاعر فيما سبق من الأبيات فى خيال خصيب بديع وغزل رائع رقيق انتقل منه فى الأبيات الآتية انتقالا لطيفاً إلى الاشادة بالاذاعة وتحية دارها .

(١٩) يراد بالأثير الطبقة الجوية التى تسير فيها موجات الصوت .

(٢٠) طاف الخيال طيفاً من باب باع : ألمّ ونزل . وطيف الخيال : مجيئه فى النوم ، وطيف الخيال : الخيال الطائف فى المنام وهذا هو المراد هنا . وألمّ الرجل بالقوم إلماماً أتاهم فنزل بهم . ولماماً : غِبّاً وحيناً بعد حين ، والمراد قليلا . ولم يحلل : لم ينزل ، والمراد لم يُقم .

(٢١) الموصل : من بلاد العراق فى شماليها على نهر دجلة ، والخطاب فى صوتك لفتاة الشعر .

(٢٢) الأوفياء : جمع وفى صفة من الوفاء . والغرد بفتحتين : التطريب فى الصوت والغناء . والبلبل : طائر من طيور الغرد ، ويريد بغرد البلبل شعره الذى يترك فى النفوس مثل أثر الغناء . يقول لفتاة الشعر : تعالى نحيي بشعرنا الكرام الأوفياء من بنى العرب ونسمعهم من الشعر العذب الرائع المطرب ما يشبه تغريد البلابل .

أُولَئِكَ قَوْمِي بُنَاةُ الْفَخَارِ ... وَزَيْنُ الْمَحَافِلِ وَالْجَحْفَلِ (٢٣)
وَلَوْلَا الإِذَاعَةُ عَاشَ الْكِرَامُ ... حُمَاةُ الْعُرُوبَةِ فِي مَعْزِلِ (٢٤)

* * *

أَدَارَ الإِذَاعَةِ مِنْ مُخْلِصٍ ... عَنِ الْوُدِّ وَالْعَهْدِ لَمْ يَنْكُلِ (٢٥)
هَنَاءٌ بِأَعْوَامِكِ الْمُشْرِقَاتِ ... وَأَيَّامِ نَهْضَتِكِ الْحُفَّلِ (٢٦)
وُلِدْتِ وَلِلْعِلْمِ أَسْرَارُهُ ... وَقَدْ كُنْتِ مِنْ سِرِّهِ الْمُعْضَلِ (٢٧)

---

(٢٣) بناة : جمع بان . والفخار : اسم من الافتخار وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك . والمحافل : جمع محفل اسم مكان من حفل القوم من باب ضرب أى اجتمعوا . والجحفل : الجيش الكثير .

(٢٤) حماة : جمع حام اسم فاعل من حماه يحميه من باب رمى أى منعه وصانه . والعروبة : مصدر عرب لسانه بضم الراء إذا كان عربياً فصيحاً ، والمراد بالعروبة هنا القومية العربية . والمعزل : اسم مكان من عزلت الشيء عن غيره من باب ضرب أى نحيته عنه ، ويقال هو عن هذا الأمر بمعزل أى مجانب له . أشاد الشاعر فى هذا البيت وخمسة الأبيات قبله بفضل الاذاعة وتنقلها فى مشارق الأرض ومغاربها ، واتخذ من ذلك وسيلة إلى تحية العرب وتمجيدهم والافتخار بهم ، وسينتقل فى الأبيات الآتية إلى تحية دار الاذاعة المصرية وبيان فضلها وتهنئتها بمرور أربع سنوات على إنشائها .

(٢٥) الهمزة فى أول هذا البيت للنداء ، والود : الحب . والعهد : الموثق والوفاء والحفاظ ورعاية الحرمة . وينكل : يتأخر وبابه قعد . يقال نكل الرجل إذا أراد أن يفعل شيئاً فهابه وجبن عنه وتأخر ، ونكل عن اليمين : امتنع منها .

(٢٦) هناء : اسم من هنأه بكذا تهنئة . والمشرقات : المتلألئات المضيئات . والحفل : جمع حافل بمعنى مملوء مجتمع ، والمراد أن أيامها ممتلئة بالنفع العام وضروب الثقافة .

(٢٧) المعضل : الخفى الذى لا يسهل الاهتداء إليه ، وأصله من أعضل الأمر إذا اشتد وعسر ، وأعضل الداء الأطباءَ إذا غلبهم . يقول مخاطباً دار الاذاعة إن للعلم أسراره وقد كنت قبل مولدك سراً من أسرار العلم المعضلة الخفية ، يريد أنها ثمرة من ثمار العبقرية التى كشفت الكثير من أسرار الكون وأظهرت آيات الله تبارك وتعالى فى خلقه .

بَذَلْتِ الثَّقَافَةَ لِلظَّامِئِينَ وَلَوْلَا يَمِينُكِ لَمْ تُبْذَلِ[(٢٨)]

وَنَبَّهْتِ وَسْنَانَ جَفْنِ الصَّبَاحِ بِآيٍ مِنَ الْكَلِمِ الْمُنْزَلِ[(٢٩)]

وَغَنَّيْتِ حَتَّى تَعَزَّى الْحَزِينُ وَقَرَّ الشَّجِىُّ وَهَامَ الْخَلِى[(٣٠)]

تَرَانِيمُ مَا سَمِعَتْهَا الْفُنُونُ بِأَوْتَارِ إِسْحَاقَ أَوْ زَلْزَلِ[(٣١)]

---

(٢٨) بذل الشيء : أعطاه وجاد به . والثقافة : مصدر ثقف ككرم وفرح أى صار حاذقا فطنا ، والمراد بالثقافة هنا العلم النافع . والظامئين : العطاش .

(٢٩) نبهه من نومه : أيقظه . والوسنان : صفة من الوسن وهو النعاس . وجفن العين غطاؤها من أعلاها وأسفلها ، وهو مذكر . والآى : جمع آية وهى من القرآن كلام متصل إلى انقطاعه ، أو هى ما يحسن السكوت عليه . والكلم المنزل : كلام الله عز وجل وهو القرآن الكريم . يقول إن هذه الدار توقظ جفن الصباح الوسنان بآيات من القرآن الكريم . والمعنى أنها فى أول النهار تنبه النائمين بما تذيعه من آى الذكر الحكيم .

(٣٠) تعزى : سلا وصبر . وقر : استقر واطمأن . والشجى : فعيل بمعنى مفعول من شجاه الحزن والهم أى أصابه . والشجو : الهم والحزن وهو سبب اضطراب الحزين وقلقه ، ولهذا عبر الشاعر بقرار الشجى عن ذهاب شجوه وهمه . وهام : أحب وعشق . والخلى الخالى من الهم والعشق وهو ضد الشجى . يقول إن الغناء الذى تذيعه الدار يسلى الحزين ويطمئن المهموم الشجى ويحمل الخالى على العشق والغرام .

(٣١) ترانيم : جمع ترنيمة أو ترنيم وهو ترجيع الصوت بالغناء . والفنون هنا صناعات الغناء وهى فى الأصل الأنواع والأحوال واحدها فن ، والفن أيضاً التزيين . والأوتار : جمع وتر وهو فى الأصل شرعة القوس ومعلقها ، والمراد بالأوتار هنا الأسلاك التى يهزها المغنى فتنبعث منها أصوات الغناء . وإسحاق بن ابراهيم الموصلى كان مغنيا ذائع الصيت فى عهد هارون الرشيد وابنه عبد الله المأمون ، وهو فارسى الأصل ، وقد ورث الولوع بالغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين ، وتعلم الضرب بالعود من « زلزل » وكان إلى جانب شهرته بالغناء فقيها عالما صادقا عفيفا . وزلزل : مغن بغدادى مشهور ، كان يضرب المثل بضربه العود (وهو أول من أحدث العيدان) ، واسمه منصور وأصله من سواد أهل الكوفة ، وقد تعلم الغناء من إبراهيم الموصلى ، وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم . يقول إن هذه الترانيم والأغانى التى نسمعها الآن من دار الاذاعة لم يستطع مثلها كبار المغنين فى أشهر عصور الغناء الأولى من أمثال إسحاق وزلزل .

وَكَمْ قَدْ هَزَلْتِ لِتَشْفِى النُّفُوسَ ... فَكَانَ مِنَ الْجِدِّ أَنْ تَهْزِلِى (٣٢)

*
* *

مَضَتْ مِصْرُ تَصْعَدُ نَحْوَ السَّمَاءِ ... وَتَسْمُو عَلَى مَسْبَحِ الْأَجْدَلِ (٣٣)
وَأَضْحَتْ مِنَ الْعِلْمِ فِى رَوْضَةٍ ... وَمِنْ عِزَّةِ الْمُلْكِ فِى مَعْقِلِ (٣٤)
تَتِيهُ بِتَارِيخِ أَمْجَادِهَا ... وَتُزْهَى بِفَارُوقِهَا الْأَوَّلِ (٣٥)

---

(٣٢) الهزل : ضد الجد ، وقد هزل من باب ضرب . يقول إن الدار كثيراً ما تذيع فنونا من الهزل لترفه عن النفوس التى نهكها جد الحياة ، ولذلك كان هزلها هذا ضرورة من الضرورات التى تدخل فى باب الجد فهو يشحذ العزائم ويبعث الهمم . أبان الشاعر فى هذا البيت والأبيات قبله كثيراً من فواضل دار الاذاعة وآثارها ، وسيتغنى فى الأبيات الآتية بنهضة مصر الخالدة وعزة الملك العتيد المؤثل وفخر البلاد بفاروقها العظيم .

(٣٣) المسبح : اسم مكان من سبح يسبح سبحا وسباحة . والأجدل : الصقر وهو أقوى جوارح الطير وأرفعها طيرانا .

(٣٤) الروضة : أرض ذات عشب وشجر وزهر . وعزة الملك : قوته وعظمته . والمعقل : الملجأ والمعتصم . يقول إن مصر قد صارت بسبب انتشار العلوم فيها فى شبه روضة أريضة وإنها بملكها القوى العزيز فى حصن حصين .

(٣٥) تتيه : تفخر وتتكبر . والأمجاد : جمع على غير قياس لمجيد أو ماجد وهما صفتان من المجد وهو العز والشرف والكرم . وتزهى : تتيه وتفخر .

اللغة العربية ودار العلوم

أهدى الشاعر هذه القصيدة إلى صحيفة دار العلوم فى سنة ١٩٣٤ لتنشر فى أول جزء من أجزائها

يا ابنةَ السابقين من قَحْطانِ ! وتُراثَ الأمجادِ من عَدْنانِ ![١]
أنتِ علَّمْتِنى البيانَ فما لى كلما لُحْتِ حار فيكِ بيانى ؟[٢]
رُبَّ حُسْنٍ يعُوقُ عن وَصْفِ حُسْنٍ وجَمالٍ يُنْسِى جَمالَ المَعانى[٣]
كنْتُ أشْدو بَيْنَ الطُّيورِ بذِكْرا كِ فتعلو أَلْحانَها ألحانى[٤]
وأصوغُ الشِّعرَ الذى يَفْرَعُ النَّجْـمَ وتُصْغِى لِجَرْسِه الشِّعْرَيانِ[٥]
يا ابنةَ الضَادِ أنتِ سِرٌّ من الْحُسْـنِ تجلَّى عَلَى بَنِى الإنسانِ[٦]
كنتِ فى الْقَفْرِ جَنَّةً ظَلَّلَتْها حالياتٌ من الْغُصونِ دَوانى[٧]

---

(١) ابنة السابقين : يريد اللغة العربية . قحطان : أبو العرب العاربة . تراث : ميراث . الأمجاد : جمع ماجد ، الكريم الشريف . عدنان : أبو العرب المستعربة .

(٢) لاح الشىء : بدا وظهر .

(٣) يعوق : يصد ويمنع .

(٤) شدا الشعر : غنى به أو ترنم . الألحان : جمع لحن ما يطرّب به من الأصوات .

(٥) فرع القومَ : علاهم بالشرف أو الجمال . الجرس : الصوت . الشعرى : كوكب وهما شعريان ، تزعم العرب أنهما أختا سهيل .

(٦) ابنة الضاد : اللغة العربية .

(٧) القفر : المفازة لا نبات بها . الغصون الحاليات الدوانى : أى المتحلية بالثمر القريبة القطوف .

لغةُ الفنِّ أنتِ والسِحْرِ والشِّعْـــرِ، ونُورُ الحِجَا ، وَوَحْيُ الجَنانِ (٨)
رُبَّ جَيْشٍ من الحَديدِ تَوَلَّى واجِفَ القلبِ من حَديدِ اللِّسانِ (٩)
وبَيانٍ بَنَى لِصاحِبِهِ الخُلْـــدَ مُطِلاًّ مِنْ قِمَّةِ الأزمانِ (١٠)
وقصيدٍ قد خَفَّ حتَّى عَجِبْنا كَيفَ نالَتْهُ كِفَّةُ الأوزانِ ! (١١)

* * *

بلغ العُرْبُ بالبلاغةِ والإِسْـــلامِ أوْجًا ، أعْيَا عَلَى كَيْوانِ (١٢)
لَبِسوا شَمْسَ دَوْلَةِ الفُرْسِ تاجاً ومَضَوْا فى مَغافِرِ الرُومانِ (١٣)
وجَرَوْا يَنْشرون فى الأرْضِ هَدْياً مِنْ سَنا العِلْمِ أو سَنا القُرآنِ (١٤)

---

(٨) الحجا : العقل . الجنان : القلب .

يناجى الشاعر فى هذه الأبيات الثمانية اللغة العربية قائلا إنها علمته حسن البيان ، حتى جال فى كل ميدان ، ولكنه يسأل فى عجب وحيرة ، ما له وقد ملك منها الزمام يحار فى وصفها وذكر محاسنها ، ثم يجيب بأن من الحسن ما يعوق عن وصف الحسن ، ومن الجمال ما يبهر الرائى فيأخذ عليه مسالك الكلام ، ويذكر أنه كان يتغنى بذكرها ، وأن ذلك التغنى أعذب من تغريد الطير ، وأن شعره الذى يصوغه فيها يعلو النجم جمالا وشرفا ، ويملأ أرجاء الكون نغما ، حتى لتصغى لاستماعه الشعريان .
ويعود الشاعر إلى مناجاة لغته العربية قائلا إنها تحوى من الحسن سره وقد تجلى على الناس جميعا ، ثم يشبهها فى أيامها الأولى بجنة مورقة الأغصان حالية بالثمر دانية القطوف ، ويقول إنها غدت لغة الفن والبيان الساحر والخيال الرائع ، وإنها نور العقول وإلهام القلوب .

(٩) المراد بالجيش من الحديد : ذو الأسلحة والعدد . وحديد اللسان : القاطع ، من حد السيف يحِد حدة أى صار حاداً وحديدا أى قاطعا

(١٠) مطلا : مشرفا . قمة كل شىء : أعلاه

(١١) القصيد : جمع القصيدة من الشعر مثل سفين وسفينة . كفة الأوزان بالكسر والفتح والضم لغة .

(١٢) الأوج : غاية الأرتفاع . أعيا على كيوان : عز عليه وصعب . وكيوان : زحل .

(١٣) كانت الشمس رمزا لتاج الفرس . والمغافر جمع مغفر كمنبر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة

(١٤) الهدى : الرشاد . والسنا : النور

لا تَضِلُّ الشُّعُوبُ مِصْباحُها العِلْـــــمُ ، يُؤاخِيهِ راسِخُ الإيمانِ[١٥]

فإذا أُطْـــفِئَ السِّراجُ فَمَيْنٌ وضَـلالٌ ما تُبْصِرُ العَيْنانِ ![١٦]

أينَ آلُ العبّاسِ رَيْحانَةُ الدهْـــــرِ ، وأينَ الـكِرامُ مِنْ مَرْوانِ ؟[١٧]

خَفَتَ الصَوْتُ ، لا البِلادُ بِلادٌ يَوْمَ بانوا ، ولا المَغانِى مَغانِى ![١٨]

أزهرتْ فى حِماهمُ الضَادُ حِيناً وذَوَتْ بَعْدَهُمْ لِغَيْرِ أَوانِ[١٩]

إنْ أصاخَتْ ، فالقَوْلُ غيرُ فَصِيحٍ أَوْ رَنَتْ ، فالوُجوهُ غيرُ حِسانِ[٢٠]

فمضتْ نحوَ مِصرَ مِثْـلَ قَطاةٍ فَزَّعَتْها كَـوَاسِرُ العِقْبانِ[٢١]

يكدُرُ العَيْشُ مرةً ثم يَصْفو كَمْ لِهَـذِى الْحَياةِ مِنْ أَلْوانِ ![٢٢]

---

(١٥) يؤاخيه : يكون له كالأخ معاونة .

(١٦) المين : الكذب . يتحدث الشاعر فى هذه الأبيات الثمانية عن ذلاقة اللسان وقوة البيان وما لهما من تأثير فيقول : يفعل القول البليغ ما لا تفعل القوة ، وكثيرا ما خلد البيان الساحر صاحبه وأبقى ذكره ما بقى الزمان ، وكم من قصائد كأنها السحر فى أخذ النفوس ، لعذوبتها وجمال معانيها ، والعجب أن ينالها علم العروض بميزان وقد بلغت الغاية فى الخفة . ثم يقول إن العرب قد ارتفعوا بالبلاغة والاسلام الى منزله عزت على ارفع الـكواكب وأعلاها ، وإنهم أخضعوا لسلطانهم أعرق ما عرف التاريخ من أمم (دولتى الفرس والرومان) ، وقد دعموا ملـكهم بالعلم والدين ، وأبقى الشعوب وأخلدها على الأيام من خـطّوا ملـكهم على نور العلم وراسخ الأيمان ، فاذا ما أطفىء سراج العلم فان كل ما تراه العينان إنما هو من قبيل الخداع والضلال .

(١٧) الريحانة : طاقة الريحان وهو نبت طيب الرائحة .

(١٨) خفت خفوتا : سكن وسكت — بانوا : فارقوا وارتحلوا . المغانى : جمع مغنى المنزل غنى به أهله ثم ظعنوا ، أو عام .

(١٩) أزهر النبات : نوّر ويريد بازهار اللغة ارتفاع شأنها . الحمى : ما حمى من شىء ، وفى حماهم : أى فى كنفهم ورعايتهم . والضاد : اللغة العربية . ذوت : من ذوى البقل أى ذبل ، ويريد ضعف شأنها .

(٢٠) أصاخ له : استمع . رنا رنوا : أدام النظر بسكون الطرف ، ويريد هنا النظر مطلقا .

(٢١) القطاة : طائر ، فزعه : أخافه . العقاب : طائر والجمع عقبان ، والـكاسر من الطير كالمفترس من الحيوان ، كسر الطائر كسراً وكسورا ضم جناحيه يريد الوقوع

(٢٢) الوان الحياة حالاتها المتباينة من عسر إلى يسر ومن حلاوة إلى مرارة ، ومن كدر إلى صفاء .

ثم هَبَّت زَعازِعٌ تَرَكَتْها بَيْنَ مُرِّ الأَسَى ، وذُلِّ الهَوانِ(٢٣)

وإِذا نَهْضَـةٌ تَدِبُّ بِمِصْرٍ كَدَبيبِ الْحَياةِ فى الأَبْدانِ(٢٤)

وإِذا اليَوْمُ باسِمٌ ، والليـالى مُشْرِقَاتٌ ، والدَهْرُ مُلْقِى العِنانِ(٢٥)

وإِذا الضَادُ تَسْتَعِيدُ جَمـالاً كادَ يَقْضِى عَلَيْه رَيْبُ الزَمانِ(٢٦)

نزلتْ فى حِمَى فُؤادٍ فأَضْحَتْ مِنْ أَياديه فى أعزِّ مَكانِ(٢٧)

مَلِكٌ شـادَ لِلْـكِنانةِ مَجْـدًا فَسَمَتْ بِاسْمِهِ عَلَى البُـلدانِ(٢٨)

كُلَّ يَوْمٍ يَمُدُّ لِلعِـلْمِ كَفًّا خُلِقَتْ لِلْوَفاءِ والإِحْسانِ(٢٩)

---

(٢٣) الزعازع : الشدائد من الدهر . الأسى : الحزن . الهوان : من هان هونا وهوانا ومهانة أى ذل .

(٢٤) تدب : تسير ببطء .

(٢٥) الدهر ملقى العنان : كناية عن الخضوع والانقياد — العنان : سير اللجام . فى هذه الأبيات التسعة ، يستفهم الشاعر فى تحير عن بنى العباس ذوى السيرة العطرة ، من كانوا جمال الدنيا وبهجتها ، و عن الأمويين الكرام ، ويقول إن البلاد قد تغيرت معالمها بعد انقضاء دولتيهم وذهاب ملكهم . خفت الصوت ولم يعد للبلاد ما كان لها فى أيامهم من بهجة وزينة . ثم يذكر ازدهار العربية فى رعاية العباسيين ، وتحت ظلالهم ردحا من الزمن ، حتى صارت لغة الفن والعلم واتسعت لكل ما كان فى هذا العصر من حضارة ، ثم ضعف شأنها بضعف دولتهم حتى لم تجد ملجأ تلجأ إليه غير مصر أيام المماليك ففرت إليها كما تفر القطاة فزعتها كواسر العقبان . وهكذا الحياة بين كدر وصفاء وحلاوة ومرارة ، ودوام الحال من المحال . ثم يشير إلى ما انتاب اللغة من انحطاط وتدهور (أيام العثمانيين) ، وأنها بقيت كذلك حتى دب دبيب النهضة فى مصر كما تدب الحياة فى الأبدان فابتسمت الأيام ، وأشرقت الليالى ، وخضع الدهر .

(٢٦) ريب الزمان : صَرْفه .

(٢٧) أياديه : نعمه .

(٢٨) شاد : بنى . الكنانة : مصر ، سمت : علت . يذكر الشاعر ما كان للمغفور له جلالة الملك فؤاد الأول من فضل على اللغة والبلاد ، فقد أغدق عليهما من إحسانه ، ورعاهما برعايته ، ومد إليهما يداً خلقت للوفاء والاحسان ، حتى أصبحت اللغة فى أعز مكان ، وسمت مصر على غيرها من البلدان بما بناه لها من مجد .

*
* *

إنّ دارَ العُـلُومِ بِنْيَةَ إسما عِيلَ تُزْهَى بهِ عَلَى كلّ بانِ (٣٠)
مَنْ يُسامِي أبا المواهِبِ وَالأشْـــبالِ فى فَيْضِ جُودِهِ أو يُدانى ؟ (٣١)
هى فى مِصْرَ كَعْبَةٌ بَعَثَ الشرْ قُ إليْها طوائِفَ الرُّكْبانِ (٣٢)
قد أعادتْ عَهْدَ الأعارِيبِ فى مِصْـــرَ إلى ناعمٍ من العَيْشِ هانى (٣٣)
وأظلّتْ بِنْتَ الفَـدافِدِ والبيــــدِ بأفْياءِ دَوْحِها الفَيْنانِ (٣٤)
دَرَجَتْ بَيْنَ فِتْيَةٍ وشُـيُوخٍ كلُّهُمْ يَنْتَمِى إلَى سَحْبانِ (٣٥)
وأطَلّتْ من الخِباءِ عَلَيْهِمْ فَسَبَتْهُمْ بِسِحْرِها الفَتّـانِ (٣٦)
فُتِنوا بالعُذَيْبِ والسَّفْحِ والجِزْ عِ ووادِى العَقيقِ والصَّمّانِ (٣٧)

---

(٣٠) البنية بضم الباء وكسرها : ما بنيته . تزهى به : تتيه وتفخر .

(٣١) يساميه: يباريه ويفاخره . المواهب: العطايا . الأشبال: جمع شبل ولد الأسد. يدانى: يقارب.

(٣٢) الركبان : جمع راكب .

(٣٣) الأعاريب جمع أعراب : سكان البادية .

(٣٤) بنت الفدافد والبيد : اللغة العربية . والفدافد: جمع فدفد ، والبيد: جمع بيداء ، وكلاهما بمعنى الفلاة . أفياء : جمع فىء ما كان شمساً فينسخه الظل . الدوح مفرده دوحة : الشجرة العظيمة . والفينان: الحسن الشعر الطويلة . يقص الشاعر فى الأبيات الخمسة السابقة شيئاً من تاريخ دار العلوم وفضلها ، فيقول إن دار العلوم تفتخر وتتيه بمؤسسها العظيم إسماعيل ، من فاق الملوك فليس فيهم من يباريه فى جوده وكرمه ، وإن دار العلوم كعبة يحج إليها من يريد من الشرقيين دراسة اللغة والدين ، وإنها لتفخر باحيائها عهد العرب الخلص فى صورة زاهية جميلة ، وإنها تحمى اللغة العربية وترعاها أجمل الرعاية .

(٣٥) درج : مشى ، ويريد نشأت . فتية وشيوخ : رجال دار العلوم من طلاب وأساتذة . سحبان : بليغ يضرب به المثل .

(٣٦) أطلت عليهم : أشرفت . الخباء : من الأبنية يكون من وبر أو صوف أو شعر . سبتهم : أسرتهم .

(٣٧) فتنوا بالشىء : أعجبوا به . العذيب والسفح والجزع ووادى العقيق والصمان : أمكنة ببلاد العرب .

يتلقَّوْنَ وَحْيَهـا كُلَّ حِينٍ ويُناجُون طَيْفَها كُلَّ آنِ(٣٨)

ويُغَنُّونَ باسمِها مثلَ ما غَـنَّى زُهَيْرٌ بِسيرَةِ ابْنِ سِـنانِ(٣٩)

نثرتْ دُرَّها الفَريدَ فكانوا أسْرَعَ الناسِ فى الْتِقاطِ الُجمانِ(٤٠)

✡
✡ ✡

رُبَّ شَيْخٍ أفْنَى سَـوادَ الليالى ساهِدَ العَيْنِ جاهِدًا غَيْرَ وانى(٤١)

مِنْ بُحُوثٍ، إلَى كتابةِ نَقْدٍ ثُمَّ مِنْ مُعْجَمٍ إلَى دِيوانِ(٤٢)

يَقْنِصُ الآبِداتِ عَزَّتْ عَلَى الصَّيْـدِ، فماسَتْ بَيْنَ الرُّبا والرِّعانِ(٤٣)

سارحاتٍ كأنها قِطَعُ الوَشْـىِ، يُطَرِّزْنَ سُنْدُسَ القِيعانِ(٤٤)

إنْ تسمَّعْنَ نَبْأَةً غِبْنَ فى الرِيـحِ، كَسِرٍّ يُصانُ بالكِتمانِ(٤٥)

---

(٣٨) يتناجون : يتحدثون فى همس .

(٣٩) ابن سنان : هو هرم بن سنان كان جواداً كريما أولع بمدحه زهير بن أبي سلمى ، وزهير شاعر جاهلىّ أجاد الحكمة مع الصدق وعدم المبالغة والسهولة .

(٤٠) الدر معروف ويريد به الكلم ، والجمان : اللؤلؤ واحده جمانة .

(٤١) السهد : الأرق فعله كفرح ، جاهدا : مجتهدا ، الفعل كمنع . والوانى : التعب .

(٤٢) بحوث : جمع بحث . يصف الشاعر فى الأبيات الثمانية السابقة ، رجال دار العلوم بالفصاحة ويصور اللغة فى صورة فتاة حسناء أطلت عليهم من خبائها فأسرتهم بجمالها ، وهو تصوير جميل يفسر شدة ولعهم بها وبديارها ، ثم يقول إنهم بها مشغولون ، يتغنون دائما باسمها كما غنى زهير باسم ممدوحه هرم بن سنان، وهم حريصون على تحصيلها كما يحرص من يرى الدر منثوراً فيسرع إلى التقاطه.
ويمضى الشاعر فى الوصف قائلا إن أبناء دار العلوم ذوو جد واجتهاد ، وقدرة على تذليل مشكلات المسائل والبحث الذى لا ينقطع، وقد يفنى الواحد منهم سواد الليل متنقلاً من بحث إلى نقد ومن معجم إلى ديوان شعر .

(٤٣) يقنص : يصيد . الآبدات : الشاردات من الوحش ، ويريد بها المسائل العلمية المستعصية . عزت على الصيد : صعب صيدها . ماست : تبخترت . الربا : جمع ربوة ما ارتفع من الأرض . الرعان جمع رعن : أنف يتقدم الجبل.

(٤٤) سارحات — مطلقات . الوشى : النقش. التطريز : نقش الثوب ، القيعان : جمع قاع أرض سهلة مطمئنة .

(٤٥) النبأة : الصوت الخفى .

فإذا ما أَمِنَّ يَخْرجْن أرسالاً ، كَخَيْلٍ نَشِطْن من أرْسان(٤٦)

كلُّ جُزْءٍ في جِسْمِهِنَّ له عَيْـنٌ على الشَّرِّ ، أو له أُذْنان(٤٧)

لم يَزَلْ صاحبي يُعالِجُ مِنْهُنَّ نِفارا مُسْتَعْصِياً ، ويُعاني(٤٨)

في فَلاةٍ لا تَحْمِلُ الريحُ فيها غَيْرَ رَنَّاتِ قَوْسِهِ المِرْنانِ(٤٩)

كلّما طارَ خَلْفَهُنَّ تَسَرَّبْـنَ هَباءً ، في غَيْهَبِ النِسْيان(٥٠)

فتراهُ حِيناً كما وَثَبَ اللَّيْـثُ ، وحِيناً يَنْسابُ كالأُفْعُوان(٥١)

وهي تلهو به ، فآناً تُجافِيـهِ ، وآناً تُمْلِي له فتُداني(٥٢)

مرةً في مدَى يَدَيْهِ ، وأُخْرَى ما لَه باقْتِناصِهِنَّ يَدانِ(٥٣)

---

(٤٦) الارسال : جمع رسل القطيع من كل شي ، الأرسان جمع رسن : الحبل .

(٤٧) له عين على الشر : به إحساس دقيق يتقي به الخطر .

(٤٨) النفار : النفور والشرود .

(٤٩) المرنان : ذات الرنين عند شدّ وترها .

(٥٠) الغيهب : الظلام .

(٥١) الأفعوان : ذكر الأفاعي .

(٥٢) تجافيه : تبتعد عنه ، وتملي له : أي تمد له في أسباب الأمل .

(٥٣) مرة في مدى يديه : أي في مقدوره ، وأخرى ما له باقتناصهن يدان : أي ليس له قدرة على اقتناصهن . والشاعر في هذه الأبيات يصور أبرع تصوير المسائل العلمية واستعصائها على هذا الباحث من أبناء دار العلوم ، بآبدات الوحوش ، ويصور الباحث حين يريدها بالصائد تستعصى عليه ثم تنقاد فتقع في قبضته . فيقول : إن هذه الآبدات لا تصاد بسهولة فهي تميس بين مرتفع الأماكن في جمال كأنها الوشي يطرز البقاع المكسوة بالنبات ، فاذا ما سمعت صوتاً ضعيفاً غابت كأنها السر المصون ، حتى إذا أمنت خرجت جماعات كأنها الخيل فكت من أرسانها ، وهي حريصة أشد الحرص تتوقى الصائد كأن كل جزء من أجسامهن عين أو أذن ، ولكن الصائد لا يتطرق إليه اليأس فهو يعالج هذا النفار في فلاة لا أنيس له بها ، ويجرى ليصيدهن ، فاذا رأيته غبن ولكنه محتال فمرة تجده ينقض عليها كأنه الليث ، وأخرى ينساب اليهن في رفق كأنه الأفعوان . وهي به لاهية لاعبة ، فمرة تبتعد منه حتى يكاد ييأس ، وأخرى تمد له في أسباب الأمل فتقترب حتى يطمع .

لم يَقِفْ نادِماً يُقلِّبُ كَفَّيْهِ ، فَعالَ الْمُجَوَّفِ الْحَيْرانِ(٥٤)
ثم كانتْ عَواقِبُ الصَبْرِ أنْ ذَلَّتْ له الشَارِداتُ بَعْدَ الحِران(٥٥)
مَلَّكَتْهُ أعْناقَها فى خُضوعٍ وَحَبَتْه قِيادَها فى لَيانِ(٥٦)
رُبَّ شِعْرٍ له يُرَدِّدُه الدَهْرُ ، فتُصْغِى مَسامِعُ الأكوان(٥٧)
يَتَمَنَّى الرَبيعُ لو تَخِذَتْ مِنْهُ حُلاها ذَوائِبُ الأغْصان(٥٨)
من بَناتِ الخَيالِ لو كان يُسْقَى لَعَدَدْناه من بَناتِ الدِّنان(٥٩)
رَدَّدَتْه القِيانُ يُكْسِبْنَهُ حُسْناً ، فأَرْبَى عَلَى جَمالِ القِيان(٦٠)
قد أثارَ الغُبارَ فى وَجْهِ مَيْمُونٍ ، وَعَفَّى عَلَى فَتَى ذُبْيان(٦١)

(٥٤) تقليب الكف : كناية عن الحيرة . المجوف : من لا قلب له . فعال : أى فعل .

(٥٥) ذلت : خضعت . الحران : مصدر حرنت الدابة فهى حرون (بابه نصر) وهى الدابة التى اذا اشتد جريها وقفت .

(٥٦) الليان : اللين والطاعة .

(٥٧) يردده الدهر : ذائع مشهور .

(٥٨) ذوائب الأغصان : ما تدلى منها .

(٥٩) بنات الدنان : الخمر ، والدّنان : جمع مفرده دن وعاء الخمر .

(٦٠) القيان : جمع قينة الجارية المغنية .

(٦١) أثار الغبار فى وجه ميمون : سبقه ، ويريد بميمون الأعشى ، شاعر جاهلىّ كان العرب يتغنون بشعره ، لم يمدح أحداً إلا رفعه ، أراد الوفود على النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه مات قبل الوصول إليه . وفتى ذبيان : هو النابغة الذبيانى ، كان يضرب له قبة بعكاظ ليحكم بين الشعراء ، مدح النعمان بن المنذر ، وكان بارعاً فى الوصف . ويمضى الشاعر فى هذه الأبيات فى تصويره السابق ، فيقول : وهو أى الباحث (من أبناء دار العلوم) لا يندم ولا يحار كما يفعل الجبان الحيران ولكنه يتدرع بالصبر حتى تدين له وتخضع ، ثم ينتقل من هذا إلى وصف شعره (أى الباحث) فيقول وكم له من شعر جذاب جميل ، يزرى بحسن الربيع ، قد ذاع وانتشر ، يفعل خياله فى النفوس ما تفعل الخمر ، تتغنى به المغنيات ليكسبنه حسناً فيربى حسنه على حسنهن ، وهو بشعره هذا قد فاق الأعشى والنابغة .

*
* *

شِيخَةَ الدارِ ، أَنْتُمُ خَدَمُ الفُصْحَى وحُرّاسُ ذلِكَ البُنْيانِ (٦٢)
لَبِسَتْ جِدَّةَ الصِّبا فى ذَراكُمْ وغَدَتْ من حُلاه فى رَيْعانِ (٦٣)
غَيْرَ أَنَّ الحياةَ تَعْدُو ، ولا يُدْرِكُ فِيها طِلابَهُ المُتوانى (٦٤)
سابِقوها بالدِينِ والخُلُقِ السَّمْحِ وصِدْقِ الوَفاءِ للإِخْوانِ (٦٥)
سابِقوها بالجِدِّ ، فالجِدُّ والمَجْدُ ـ كما شاءتِ العُلا ـ تَوْأمانِ (٦٦)
ذَلِّلُوا للشَبابِ مُسْتَعْصِىَ الفُصْحَى ، فإِنَّ الرَجاءَ فى الشُبّانِ (٦٧)
وانثُرُوها قَلائدًا وعُقُودا تَتَحَدَّى قَلائدَ العِقْيانِ (٦٨)

*
* *

بَسَمَ الدهرُ أَنْ رآكم بِناءً عَبْقَرِيًّا مُوَطَّدَ الأَرْكانِ (٦٩)
كم رَجا الدَهْرُ أَنْ يُشاهِدَ يَوْمًا جَمْعَكم سالمًا من الشَنَآنِ (٧٠)

---

(٦٢) شيخة الدار : جمع شيخ .

(٦٣) جدة الصبا : جديده . الذرا : الظل والكنف . ريعان كل شىء : أوله وأفضله ، وريعان الضحى : بياضه وحسن بريقه .

(٦٤) طلابه : طلبه .

(٦٥) الخلق السمح : السهل الكريم .

(٦٦) توأمان : يريد متلازمان .

(٦٨) مستعصى الفصحى : ما صعب منها .

(٦٨) قلائد العقيان : أى قلائد الذهب .

(٦٩) بناء عبقريا : أى لا نظير له ولا يمكن الاتيان بمثله .

(٧٠) الشنآن : البغض والكراهة .

إنّما الكَفُّ بالبَنانِ ، ولا تُجْــدِي فَتِيلاً كَفٌّ بغير بَنانِ(٧١)
جَمعتْكُمْ أواصِرٌ وصِلاتٌ طَهُرتْ من دَخائلِ الأضْغانِ(٧٢)
فاسلُكوا المَهْيعَ القَويمَ وسيروا في شُعاعِ المُنى وظِلِّ الأماني(٧٣)
واشكُروا للوزيرِ بيضَ أيادِيــه ، ومِدْرارَ فَيْضِهِ الهَتّانِ(٧٤)
يَبذُلُ الخَيْرَ فِطْرَةً ، ليس يَثْنيــه عن الخَيْرِ والصَنيعَةِ ثاني(٧٥)
هو ذُخْرُ الطُلاّبِ ، كم وجدوا فيــه أماناً من طارِقِ الحَدَثانِ(٧٦)
يبْعَثُ الغَيْثَ والرَجاءَ لقاصٍ ويَمُدُّ اليَمينَ برًّا لِداني(٧٧)

---

(٧١) البنان : الأصابع أو أطرافها — الفتيل : السحاة التي في شق النواة ، والمراد الشيء القليل جدا . والشاعر في هذه الأبيات يفيض بالحب والولاء لاخوانه أبناء دار العلوم ، ويحمله هذا على النصح لهم والاخلاص في هذا النصح ، فيقول : أنتم أيها الشيوخ خدم الفصحى ، والحراس لهذا البنيان الفذ ، وبعملكم المجيد في سبيل خدمة هذه اللغة قد أعدتم إليها رونقها وجمالها ، غير أن الحياة سائرة إلى الأمام سير المجد ، ولن يدرك غايته منها متوان ، فسابقوها بالدين تتحلون به ، وبالأخلاق الكريمة تتخذونها شعاراً لكم كما هو شأنكم ، وبالوفاء الصادق لاخوانكم ، وسابقوها بالجد والاجتهاد فان المجد والجد متلازمان . وذللوا للشبان ما استعصى عليهم فان الأمل معقود بأولئك ، ورغبوهم في دراستها وحببوها إليهم ببيان جمالها ، ذلك الجمال الذي يفوق جمال الذهب .

والشاعر إلى جانب هذا الحب والاخلاص لاخوانه مشغوف بهم أشد الشغف ، فهو يعود الى تذكيرهم بقوتهم التي لا تجارى ، قائلا : إن الرجاء معقود في ألا يُشاب جمعهم بشائبة البغض والحقد ، فان الاتحاد قوة ، والكف لا تفيد بغير بنان ، وإن التفرق مآله الضعف والانحلال .

(٧٢) الأواصر : جمع آصرة ويراد بها الصلة . الأضغان : جمع ضغن الحقد .

(٧٣) المهيع : الطريق .

(٧٤) الهتان : الكثير الانصباب .

(٧٥) الصنيعة : المعروف والمنة .

(٧٦) طارق الحدثان : ما يصيب من نوب الدهر .

(٧٧) الغيث : المعونة عند الشدة .

كم له مِنَّةٌ عَلَى الضَادِ هَزَّتْ كُلَّ لَفْظٍ فيها إلَى الشُكْرانِ (٧٨)
سَعِدَ العِلْمُ واسْتَعَزَّ بِحامِي وغَدَا دَوْحُهُ قريبَ المَجانى (٧٩)
سار مُسترشداً بِهَدْى مَلِيكٍ ما لَهُ فى أصَالةِ الرَأْىِ ثانى (٨٠)
مَلِكٌ تَسْعَدُ البِلادُ بِنُعْما هُ ، ويُزْهَى بنورِه القَمَرانِ (٨١)
عاشَ للدِينِ والمَكارِمِ والنُبْلِ وَبَثِّ الْحَياةِ والعِرْفانِ (٨٢)
ولْيَعِشْ للبِلادِ فاروقُ مِصْرٍ قُدْوَةَ الناهِضِينَ رَمْزَ الأَمانى (٨٣)

---

(٧٨) المنة : العطية .

(٧٩) المجانى : جمع مجنى ما يجنى .

(٨٠) أصالة الرأى : قوته وثباته .

(٨١) يزهى : يفتخر .

(٨٢) بث الحياة : نشرها .

(٨٣) القدوة : الأسوة والمثال الذى يحاكى .

يواصل الشاعر فى الأبيات الأخيرة نصحه لاخوانه ، فيذكرهم بما جمعهم من صلات بريئة من الاضغان ، فقد جمعهم العلم والدين والتربية الصحيحة ، وهى من خير الصلات وأطهرها . فعليهم أن يسلكوا الطريق القويم ، وأن يعيشوا فى ظلال المنى والأمانى يعملون على تحقيقها ، وأن يتجهوا بالشكر لصاحب المعالى وزير المعارف إذ ذاك محمد حلمى عيسى باشا لما غمرهم وغمر به معهدهم من صنوف الرعاية ، وما يقدمه للعلم من خدمات فى سبيل نشره وتسهيل طلبه ، ثم يمضى فى مدح الوزير لأنه يعمل الخير بفطرته غير منتظر جزاء ، ولأن الطلاب يجدون فيه ذخرهم والحانى عليهم ، ثم يقول إن منته على اللغة تدعو الى شكره الذى لا ينقطع ، ثم ينتقل من مدح الوزير إلى جلالة الملك المغفور له فؤاد الأول فيقول : إن الوزير إنما يعمل ما يعمل مسترشداً بمليك حباه الله أصالة الرأى ، قد سعدت البلاد بما أغدق عليها من نعم ، ويختتم قصيدته الرائعة بالدعاء للمليك سائلا المولى الكريم أن يبقيه عوناً للدين والمكارم والشرف ونشر الحياة وبث العلم ، ويشفع هذا الدعاء بدعاء آخر اولى العهد ، فى ذلك الحين ، فاروق مصر الذى هو قدوة الشباب ومبعث الآمال .

الوبـاء

انتشر وباء الهيضة المعوية برشيد سنة ١٨٩٥م وحصد الأرواح ، فراع الشاعر الصغير ما رأى ، وأثار عاطفته الشعرية ، فقال هذه القصيدة :

أَيْ هَذَا (الْمِكْرُوبُ) مَهْلاً قَلِيلاَ ... قَدْ تَجَاوَزْتَ فِي سُرَاكَ السَّبِيلاَ ! (١)

لَسْتَ كَالْوَاوِ، أَنْتَ كَالْمِنْجَلِ الْحَصَّـادِ ، إِنْ أَحْسَنُوا لَكَ التَّمْثِيلاَ (٢)

ما غَلَبْتَ النُّفُوسَ بِالْعَزْمِ لَكِنْ ... هَكَذَا يَغْلِبُ الْكَثِيرُ الْقَلِيلاَ (٣)

أَنْتَ فِي الْهِنْدِ فِي مَكَانٍ خَصِيبٍ ... فَلِمَاذَا رَضِيتَ هذا الْمُحُولاَ ؟ (٤)

(١) أي منادى : وأداة النداء محذوفة . والمكروب كلمة أعجمية يراد بها جرثومة المرض أي أصله ، وجراثيم الأمراض في الغالب حيوانات صغيرة إذا دخلت الجسم وتكاثرت فيه وتغلبت عليه ظهرت أعراض المرض ، ويقصد هنا جرثومة الهيضة المعوية (الكوليرا)
والمهل : السكينة والرفق ، والمعنى أرفق واتئد . وتجاوزت : تعديت وانحرفت . والسُّرى : السير ليلا ، والتعبير بالسرى هنا لطيف ذلك أن الجراثيم دقيقة جداً لا ترى غالبا بالعين المجردة فهي من دقتها وصغرها في خفاء كالسارى يخفيه الليل ، وهذا أيضاً شبيه بقولهم سرى فيه السم ونحوه . والسبيل الطريق .

(٢) المنجل : حديدة يقطع بها الزرع . والحصّاد : صيغة مبالغة من حصد الزرع والنبات من بابي ضرب وقتل أي قطعه ، يقول لست أيها المكروب في صورة الواو (أحد حروف الهجاء العربية) كما يشبهك الأطباء ، ولكنك كالمنجل الحصاد إن أجادوا تمثيلك وتشبيهك ، وذلك لأنك تحصد أرواح الناس حصداً . على أن المنجل في جملته شبيه بصورة الواو .

(٣) العزم : الارادة القاطعة القوية ، يقول إنك لم تغلب النفوس بعزمك وقوة إرادتك وإنما غلبتها بتكاثرك ، والكثير يغلب القليل ، وهكذا تجتمع ألوف الألوف منك على النفس الواحدة فتزهقها

(٤) خصيب : صفة من الخصب وهو النماء والبركة ، والخصب أيضاً ضـد الجدب . والمحول : الجدب . يقول كنت مقيما في الهند موطنك الأصلي في مكان مخصب كثير النماء ترتع فيه كيف شئت فلماذا ارتضيت هذا المكان الماحل ؟ ولم طلبت غير وطنك وغزوت غير بلادك ؟ كأنما يعجب الشاعر من انتقال هذا الوباء على الرغم من خصب موطنه ووفور أسباب الحياة والنماء فيه .

أَنْتَ كَالشَّيْبِ إِنْ دَهَمْتَ ابْنَ أُنْثَى ... لَمْ تُزَايِلْ جَنْبَيْهِ حَتَّى يَزُولاَ (٥)

حارَ « بنشنج » فِيكَ يَا بْنَ شَعُوبٍ ... وَنَقَضْتَ الْمُجَرَّبَ الْمَعْقُولاَ (٦)

عَقَدَ الأَمْرَ فَابْتَكَرْتَ لَهُ الْحَلَّ ، وما كَانَ عَقْدُهُ مَحْلُولاَ (٧)

قَامَ يَغْزُوكَ بَيْنَ جَيْشِ الْقَوَارِيـرِ ... فَوَلَّى بِجَيْشِهِ مَخْذُولاَ (٨)

وَتَرَكْتَ الْحُمُوضَ تَجْرَعُهَا الْأَرْ ... ضُ ، وجَرَّعْتَنَا الْعَذَابَ الْوَبِيلاَ (٩)

وبموشى أَرَادَ حَصْرَكَ بِالْجُنْـ ... ـدِ ، وَهَلْ تَحْصُرُ الْجُنُودُ السُّيُولاَ ؟ (١٠)

---

(٥) دهمت : غشيت وفاجأت . تزايل : تفارق . يزول : يذهب ويهلك . يقول إنك أيها المكروب مثل الشيب إن غشيت إنساناً لازمته حتى تهلكه .

(٦) حار : تحير فى أمرك . بنشنج : اسم لمدير الصحة بمصر فى ذلك الزمن ، وشعوب : اسم المنية وهى الموت ، وكنّى هذا المكروب بابن شعوب لشدة فتكه بالناس ، ونقضت : هدمت وأبطلت ، والمراد بالمجرب المعقول ما أعده الأطباء من الأدوية آملين أن يقضوا بها على هذا الداء العياء .

(٧) يقول إن « بنشنج » عقد أمره وأعد عدته لحربك والقضاء عليك فسارعت إلى حل ما عقد ونقض ما أبرم ، وما كان عقد هذا العالم محلولا لولا شدة مراسك وفظاعة أمرك .

(٨) غزا العدو سار إلى قتاله وانتهابه . والقوارير : جمع قارورة وهى ما قر فيه الشراب ونحوه وتكون من زجاج . مخذول : اسم مفعول من خذلته إذا تركت نصرته وإعانته ، والمراد مقهور مغلوب .
يقول إن « بنشنج » أخذ الأهبة لقتالك بجيش من قوارير الأدوية ونحوها ولكنك أفسدت حيله ورددت جيشه مقهوراً .

(٩) الحموض : جمع حمض وهو ما ملح وأمر من النبات ، والمراد به هنا العقاقير التى كانت قد أعدت للقضاء على هذه الجراثيم . وتجرعها : تبتلعها ، وذلك أنهم إذا أرادوا تطهير بيت مثلا صبوا العقاقير على أرضه وجدرانه . وجرعتنا : سقيتنا . والوبيل : الوخيم الثقيل .

(١٠) « موشى » : بلدة من أعمال أسيوط ظهر فيها هذا الوباء أول ما ظهر وحصر عدوه من باب نصر : ضيق عليه وأحاط به ، والمراد بالجند هنا الوسائل والعدد التى أعدت للقضاء على هذا الوباء . السيول : جمع سيل وهو المجتمع من المطر يسيل ويجرى ويغطى الأودية ونحوها ، والاستفهام فى الشطر الثانى معناه النفى . يقول إن هذا العالم أراد الاحاطة بك والتغلب عليك بما أعد لك من جنود الأدوية والحموض والحراس الذين يمنعون اختلاط المصابين بغيرهم ، ولكنك كالسيل الجارف ، والجنود لا تستطيع الوقوف فى طريق السيول ، ولا تقوى على حصرها .

يا ثَقِيلَ الظِّلالِ آذَيْتَ بِالْمَا ... لِ وَ بالنَّفْسِ فَالرَّحِيلَ الرَّحِيلاَ (١١)

مَنْ يَبِتْ عِنْدَهُ الْهِزَبْرُ نَزِيلاً ... كانَ مِنْ قَبْلِ زادِهِ مَأْكُولاَ ! (١٢)

رُبَّ طِفْلٍ تَرَكْتَ مِنْ غَيْرِ ثَدْيٍ ... يَضْرِبُ الْأَرْضَ ضَجَّةً وعَوِيلاَ ! (١٣)

وَفَتَاةٍ طَرَقْتَها لَيْلَةَ الْعُرْ ... سِ وَقَبْلَ الْحَلِيلِ كُنْتَ الْحَلِيلاَ (١٤)

كَحَلُوا جَفْنَها فَكَحَّلْتَ فِيها ... كُلَّ جَفْنٍ أَسًى وَسُهْدًا طَوِيلاَ (١٥)

خَضَبَتْها يَدُ الْمَوَاشِطِ صُبْحًا ... فَمَحَاهُ الْمُطَهِّرُونَ أَصِيلاَ (١٦)

---

(١١) يقول إن جراثيم الهيضة المعوية (الكوليرا) ثقيلة على النفس ، وقد آذت الناس فى أنفسهم وأموالهم ، ولهذا طلب إليها الارتحال ومغادرة البلاد

(١٢) الهزبر : الأسد القوى . والنزيل : الضيف . والزاد : طعام يتخذ للسفر ، والمعنى أن جراثيم الهيضة المعوية كالأسد القوى الشرس إذا نزل بانسان افترسه وأكله قبل أن يأكل ما يقدمه إليه من الطعام .

(١٣) الضجة : الجلبة من ضج يضج من باب ضرب ضجيجاً إذا فزع وجزع وغاب وصاح ، والعويل : رفع الصوت بالبكاء ، يقول : رب طفل فتكت بأمه وتركته من غير مرضعة فطفق يضرب الأرض صارخاً فزعاً ، يرفع صوته بالبكاء حسرة وجزعاً ، والخطاب فى هذا البيت والأبيات بعده « لمكروب الكوليرا » .

(١٤) طرقتها : نزلت بدارها ، والحليل : الزوج ، يقول رب عروس دهمتها ليلة زفافها إلى زوجها ، وتركتها تتقلب على فراش الموت ، وتتجرع غصص الألم ، وكنت قبل حليلها لها حليلا .

(١٥) كحل العين كمنع ونصر ، وكحلها تكحيلا : جعل فيها الكحل . والجفن : غطاء العين من أعلاها وأسفلها . والأسى : الحزن . والسهد : الأرق والسهر . والمعنى أنهم ما كادوا ينتهون من تكحيل أجفانها حتى دهمتهم المصيبة فيها فكحلت أعينهم بالحزن والسهد الطويل .

(١٦) خضبت اليد وغيرها خضباً من باب ضرب بالخضاب وهو الحناء ونحوه . والمواشط : جمع ماشطة وهى التى تحسن تطرية العروس وتجميلها ومشط شعرها أى تسريحه وترجيله ، والتطهير : الغسل والتنظيف ، والمراد بالمطهرين رجال الصحة العامة الذين يكافحون الأوبئة بغسل الموتى ببعض السوائل المطهره القاتلة لجراثيم الأمراض . والأصيل : الوقت من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ، يقول ورب عروس خضبتها المواشط أول النهار فأزال المطهرون خضابها بعد موتها آخر النهار ، والمعنى أن هذا « الوباء » سريع الفتاك بالناس يصيبهم فيهلكهم .

ما رَحِمْتَ الْعُيُونَ تِلْكَ اللَّوَاتِى ... تَرَكَتْ كلَّ عاشِقٍ مَذْهُولا (١٧)

لَوْ رَآها جِبْرِيلُ — أَسْتَغْفِرُ اللَّـــهَ — لَأَلْهَتْ عَنْ وَحْيِهِ جِبْرِيلَا (١٨)

يا قَتِيلَ (الْفِينِيكِ) يَكْفِيكَ قَتْلا ... كَ فَأَغْمِدْ حُسامَكَ الْمَسْلُولا ! (١٩)

إِنَّ فى مِصْرَ غَيْرَ مَوْتِكَ مَوْتاً ... تَرَكَ الْأَرْوَعَ الْأَعَزَّ ذَلِيلا (٢٠)

فَارْتَحِلْ بَارِدَ الْفُؤَادِ قَرِيرًا ... مُرْوِياً مِنْ دَمِ الْعِبادِ الْغَلِيلا (٢١)

---

(١٧) مذهول : اسم مفعول من ذهلنى الشىء عن غيره ذهولا أى شغلنى عنه وأنسانيه ، والمعنى أنه مستهام بتلك العيون غافل عن كل شىء سواها ، يقول إنك لم ترحم تلك العيون الحسان التى تركت كل عاشق مستهاماً بها غافلا عما عداها .

(١٨) جبريل : ملك الوحى . وألهاه : شغله ، يقول لو رأى جبريل هذه العيون الحسان لفتن بها وشغلته عما يحمل من الوحى ، و « أستغفر الله » جملة دعائية معترضة بين الشرط وجوابه ، يستغفر الله من هذا الفرض لأن الملائكة معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

(١٩) « الفينيك » كلمة أعجمية تطلق على بعض السوائل المطهرة القاتلة لجراثيم الأمراض ، وأغمدت السيف اغماداً جعلته فى غمده . والحسام : السيف القاطع . والمسلول : المنتزع من غمده ، يقول لذلك « المكروب » الذى يقتله « الفينيك » يكفيك من قتلت من الناس فكف أذاك عمن بقى منهـــم .

(٢٠) الأروع : من يعجبك بشجاعته . والاعز : اسم تفضيل من العز وهو ضد الذل ، يقول إن فى مصر غير موتك نوعاً آخر من الموت ، يشير إلى موت العزائم والهمم الذى أضعف النفوس وأذلها ، وجعل من خلق للشجاعة والعز ذليلا .

(٢١) بارد الفؤاد : ريان القلب . وقرير : مسرور . والغليل : حرارة العطش ، يقول لقد ظفرت بما أردت فأذهب وأنت ريان الفؤاد ، قرير العين ، قد أرويت غليلك ، وأطفأت حرارة عطشك بدماء من أهلكتهم ، والمعنى أنه لم ينكشف عن البلاد إلا بعد أن فتك بعدد كبير من أهلها .

الجـــزء الثالث

يلي هذا إن شـاء الله